أقلُ الكّلامِ عن سيرة خيرُ الأنّام

سيدنا مُحمد عليه أفضلُ الصلاةِ والسّلام

تحقيق

دكتور

أحمد حسن أبو شامة

الأستاذ

محمد خالد عبد المحسن

الطبعة الثانية

١٤٤٠ هجرية - ٢٠١٩ ميلادية

عنوان الكتاب	أقل الكلام عن سيرة خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
تأليف	د. أحمد حسن أبو شامة أ. محمد خالد عبد المحسن
المقاس	١٤ × ٢١
الناشر	دار نبوغ للنشر والتوزيع
الهاتف	٠١١٠٠٥٢٨٥٢٢
المدير العام	مروة المصري
تصميم الغلاف	فريق عمل الدار
التصحيح اللغوي	فريق عمل الدار
رقم الإيداع	٢٠١٩/٢٢٢٣٢
الترقيم الدولي	٩٧٨-٩٧٧-٦٧٠١-٠٣-٨
الإيميل	darnebog@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

هذا المصنف مصري ١٠٠٪ ويحظر إعادة نشره

أو طبعه أو ترجمته وتوزيعه أو تحويله لعمل فني

مرئي أو مسموع إلا بعد الحصول علي موافقة

الناشر والمؤلف كتابياً وإلا تعرض للمسائلة القانونية

برعاية

دار نبوغ للنشر والتوزيع



(فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ(١٧)).

[الرعد: ١٧]



الإهداء

إلي كل محب ومتيم بسيرة هذا النبي ﷺ

الذي أرسله الله سبحانه وتعالي رحمة للعالمين .....

إلي الباحثين عن الحقيقة ....

إلي الذين تاهوا في دياجير الظلام ....

إلي الذين ضّلوا الطريق فما وجدوا الدليل....

نهدي هذه الرسالة

ليروا فيها الحقيقة ، ويروا فيها النور،

ويذوقوا حلاوة الإيمان

د. أحمد حسن أبو شامة

أ . محمد خالد عبد المحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولي:-

الحمد لله رب المشارق والمغارب، خلق الإنسان من طين لازب ، وجعل منه زوجه وبث منهما الأبناء والأقارب ، وجعل نسله من بين الصلب والترائب ، رزق الإنسان فنّوع له المطاعم والمشارب، وكرمه فحمله في البر علي الدواب ، وفي البحر علي القوارب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي الغالب، شهادة من أيقنّ أن توحيد الله أمر ثابت وواجب ، وأشهد أن نبينا وحبيبنا وقدوتنا سيدنا محمد رسول الله ﷺ من وضّح الله به طريق المذاهب ، شهد له من رآه أن نوره كان علي نور البدر غالب ، اللهم صل وسلم بارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه صلاة تدخلنا بها الجنة وتهب بها اللهم لنا المواهب.

أما بعد ،، فقد ثبت في "الصحيحين" [1] عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متي الساعة يا رسول الله؟ قال ﷺ (ما أعددت لها؟) قال ما أعددت لها من كثير صلاةٍ ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أُحبُّ الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ (أنت مع من أحببت) وانطلاقاً من هذا الحديث الشريف وقول الإمام ابن القيم رحمة الله تعالي عليه في كتابه "مدارج السالكين" (إن المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون ، وإلي علمها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون ، وبروح نسيمها تروح العابدون ، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقُرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلّيت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، تحمَل أثقال السائرين إلي بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها ، وتوَّصلهم إلي منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها ، وتبوئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم علي ظهورها دائماً إلي الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلّغهم إلي منازلهم الأولي من قريب،

١- رواه أحمد والبخاري ومسلم.

تالله لقد ذهب أهلُها بشرف الدنيا والآخرة ، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب فيا لها من نعمة علي المحبين سابغة).

فقد استخرنا الله واعتصمنا به (ومَن يَعْتَصم بالله فَقَدْ هُديَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم (١٠١)) [سورة آل عمران ١٠١] ولكن دفعنا حبنا إلي الله ورَسوله ﷺ أنَ نقرأَ في سيرتهَ العطرة ﷺ، وحاولنا أن نوصلها إلي غيرنا من المحبين غير المتخصصين في العلوم الشرعية بأسلوب سهل موجز فكُتب السيرة النبوية كبيرة وكثيرة ولكننا أردنا أن نوضّحها في هذه الوريقات ولذلك اخترنا لها عنواناً باسم (أقل الكلام عن سيرة خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام) فما لا يدرك كله لا يترك كله هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو تقصير أو نقصان أو نسيان فمنا ومن الشيطان ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرنا مع نبينا وحبيبنا وقدوتنا ورسولنا محمد ﷺ وعلي آله وصحبه أجمعين ، وأن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله في ميزان الحسنات إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وأن ينفع به جميع المسلمين والمسلمات في مشارق الأرض ومغاربها اللهم آمين يا رب العالمين .

د/ أحمد حسن أبو شامة

أ / محمد خالد عبد المحسن

Email : Ahmed.Aboshama16@gmail.com Ph : 01013302540

Email : h121212n@gmail.com ph : 01144348746

ذي الحجة ١٤٤٠ هجرية ، أغسطس ٢٠١٩ميلادية

جمهورية مصر العربية – سوهاج – طهطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية:-

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله محمد ﷺ وعلي آله وأصحابه والسالكين سبيله ، والدَّاعين بدعوته إلي يوم الدين.

الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، ونصلي ونسلم علي المبعوث رحمة للعالمين الصادق الوعد الأمين، وعلي آله الطيبين الطاهرين، وأرض اللهم عن صحابته الغُر الميامين ، أما بعد....،

فقد منَّ الله علينا بفضله ورحمته في إصدار كتابنا بعنوان (أقلُّ الكلام عن سيرة خيرِ الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام) للطبعة الأولي وبتوفيقه سبحانه وتعالي قد نفذت من الأسواق ، ونظراً للإقبال المتزايد من جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها علي هذا الكتاب في علوم السيرة النبوية المطهرة الشريفة ، فقد قمنا بإصدار الطبعة الثانية، ونسأل الله العلّي العظيم الرضا عن القول والقبول في العمل ، وأن يكون هذا الكتاب كتاباً مباركاً ، وأن يكون بداية لعودة كثير من الناس لمحبة سيدنا رسول الله ﷺ وتعظيمه وتوقيره ومعرفة قدره ومقداره العظيم ، ونسأل الله جل وعل علي أن يكون سبباً لرجوع الناسِ إلي حضن النبي ﷺ حنيناً وشوقاً ووجودا ، ونسأل الله أن يكون أعلي وأقيم وأعظم ما كُتِب عن سيدنا رسول الله ﷺ الذي لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق

ونسأله سبحانه وتعالي أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم دون غيره من المخلوقات، وصل اللهم وسلم وبارك علي من أشرقت الأنوار الإلهية عليه ، فأصبح وجهه كالقمر إذا سر إستنار وعلي آله وصحبه وسلم كما تحب وترضي.

د/ أحمد حسن أبو شامة

أ / محمد خالد عبد المحسن

الباب الأول
نسب النبي ﷺ مولدِه ونشأته
الفصل الأول
مولده وطفولته ﷺ

النسب الشريف :-

السيد الأكرم الذي شرف جميع الخلق والكون بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنه بنت وهب الزهرية القرشية[١].

(بن عبدٍ المطلبِ) من زوجه فاطمة بن عمرو المخزومية القرشية [٢]، وكانِ عبد المطلب شيخاً معظماً في قريش يأخذون مشورته في جميع أمورهم ومشكلاتهم ويقدمونه في كل مهماتهم.

(بن هاشم) من زوجه سلمي بنت عمر النجارية الخزرجية[٣].

(بن عبد مناف) من زوجِه عاتكةِ بِنت مرة السلمية[٤].

(بن قُصي) من زوجه حبي بنت حلِيل الخزاعية[٥]، وكان إلي قُصي في الجاهلية حجابة البيت ، وسقاية الحاج ، وإطعامه المسمي بالرفادة ، والندوة وهي الشوري لا يتم أمر إلا في بيته ، واللواء لا تعقد راية لحرب إلا بيده.

ولما أشرف علي الموت جعلها في يد أحد أولاده :عبد الدار ، لكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم علي ألا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه العزة وعلو المكانة والشرف العظيم وكاد يفضي الأمر إلي القتال لولا أن تدارك الأمر عقلاء الفريقين ، فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم إلي أن انتهي الأمر إلي العباس بن عبد المطلب ، ثم لبنيه (أولاده) من بعده ، أما الحجابة فاستمرت بيد بني عبد الدار ، وأقَرَّها لهم الشرع فهي فيهم حتى الآن ، وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد

١- من بني زهرة بن كلاب من قريش.

٢- من بني مخزوم من يقظة بن مرة من قريش.

٣- من بني النجار من الخزرج ، والخزرج إحدي القبيلتين اللتين كانتا تقيمان بالمدينة ، وهما الأوس والخزرج ، وهما أخوان ، وسمي رسول الله ﷺ كلاهما الأنصار.

٤- من بني سليم بن منصور ، احدي قبائل قيس عيلان بن مضر.

٥- من بني خزاعة بن عمرو ، احدي قبائل قمعة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش.

الدار، وأما اللواء فاستمر فيهم حتى أبطله الإسلام الحنيف ، وجعله حقاً للخليفة علي المسلمين يضعه فيمن يراه صالحا لذلك ، وكذلك الندوة.

وينتهي نسب النبي ﷺ إلي ابنِ عدنان[1]، وهذا هو النسب المتفق علي صحته من جميع علماء التاريخ الإسلامي والمحدثين ، أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق ، غاية الأمر أنهم اجمعوا علي نسب الرسول ﷺ ينتهي إلي إسماعيل بن إبراهيم ابي العرب المستعربة، وهو نسب شريف من آباء طاهرون وأمهات طاهرات، لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك إلي أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً ، فهو من أصل قريش التي لها القدم الأولي في الشرف وعلو المكانة بين العرب ، ولا تجد في سلسلة آبائه إلا كراماً ليس فيهم مسترذل أو وضيع بل كلهم سادة وقادة، وكذلك أمهات آبائه ﷺ من أرفع قبائلهن شأنا، ولا شك أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الأصول العربية ، ولم ينل نسبه الشريف وأصله العريق من سفاح الجاهلية بل طهره الله عز وجل من ذلك والحمد لله أن جعلنا من أمته ﷺ.

زواج عبد الله بآمنة وحملها :

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، فزوجه آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وعمره ثماني عشرة سنة، وهي يومئذ كانت من أفضل نساء قريش نسباً وموضعا، ولما دخل عليها حملت بالرسول ﷺ ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين، ودفن بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار ، فإنه كان قد ذهب بتجارة إلي الشام ، فأدركته المَّنية بالمدينة وهو راجع ، ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت ولدها ، فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بثَّ في الكون روح الأدب وتمم مكارم الأخلاق.

وقد حقق الفلكي[2]، أنه كان ذلك صبيحة يوم الأثنين تاسع ربيع الأول الموافق العشرين من أبريل سنة ٥٧١ من الميلاد ، وهو يوافق السنة الأولي من حادثة الفيل[3]، وكان مسقط

١- البخاري (٣٨٥١)، وقال البغوي في "شرح السنة" (١٩٣/١٣) ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان ، وانظر إلي (زاد المعاد) (٧١/١).

٢- محمود الفلكي: مهندس رياضي من علماء مصر، وله آثار تدل علي براعته في علم الفلك والرياضيات والجغرافيا ، توفي عام ١٨٨٥م ، ١٣٠٢هـ

٣- حادثة الفيل: حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب ، كعادتهم هم وكل أمة في التاريخ بالأمور المهمة وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة في سورة الفيل ، ومجملها أن ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حميرة واسمه أبرهة الحبشي أغار علي مكة وقصد هدم الكعبة ، وكان معه فيل كبير لم يكن العرب رأوا مثله من قبل ، فإكراماً للنبي المنتظر وغيرته علي بيته الكريم

رأسه في دار أبي طالب بشِعب بني هاشم ، وكانت قابلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجده تبشره ، فأقبل مسروراً وسماه محمداً ، ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل ذلك عند العرب ، ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الأنبياء كالتوراة ، والإنجيل.

فسألهم جده أن يسميه بذلك إنفاذاً لأمره[١]، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية ، أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثُويبة أمةُ عمه أبي لهب.

الرضاع الشريف:

كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البداية ليكون أنجب للولد ، وكانوا يقولون إن المربي فِي المدن يكون كامل الذهن فاتر العزيمة ، فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهن ، فكان الرضيع المحمود من نصيب حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية ، واسم زوجها أبو كبشة ، وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول ﷺ حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ودرَّت البركات علي أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو علي أربع سنوات[٢].

حادثة شق الصدر[٣][٤]:

وتعتبر هذه الحادثة مهمة للرسول ﷺ وهي شق صدره الشريف وإخراج حظ الشيطان منه ، فأحدث ذلك خوفاً عند حليمة فردته إلي أمه وحدثتها قائلة : بينما هو وإخوته في بهم [٥]، لنا خلف بيوتنا إذا أتي أخوه يعدو ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقّا بطنه فهما يسوطانه[٦]، فخرجت أنا وأبوه نحوه

جعل الله كيد الأعداء في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، وجعلهم كعصف مأكول ، وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم.

١- وقد سئل النبي ﷺ عن بداية أمره فقال (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشري عيسي ورأت أمي أنه يخرج منها نوراً أضاءت منه قصور الشام) رواه أحمد (٢٦٢/٥) ، والحاكم (٦٠٠/٢) ، مجمع الزوائد (٢٢٢/٨).

٢- تربو : تزيد.

٣- يقال حادثة شق البطن ، بدليل قوله في السيرة (فشقا بطنه) ، وقوله ﷺ فشقا بطني.

٤- رواه أبو يعلي كما في (مجمع الزوائد) (٢٢١/٨).

٥- بهم: جمع بهمة : وهي ولد الضأن الذكر والأنثي.

٦- يسوطانه : يدخلان أيديهما في بطنه.

فوجدناه منتقعاً لونه[1]، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بني؟ فقال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم فأقبلا يبتدراني فأضجعاني فشقّا بطني ، فالتمسا فيه شيئاً ، فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو.

وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبى طالب:

ثم إن أمه أخذته منها وتوجهت به إلي المدينة لزيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء[2].

فحضنته أم أيمن ، وكفله ﷺ جده عبد المطلب ، ورِق له رِقّه لم تُعهد له في ولده ، لما كان يظهر عليه ﷺ مما يدل علي أنه له شأناً عظيماً في المستقبل ، وكان يكرمه غاية الكرم ، ولكن لم يلبث عبد المطلبٍ أن توفيٍ بعد ثماني سنوات من عمر الرسول ﷺ فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان رحيماً به وغيوراً عليه ، وكان أبو طالب مقّلاً من المال فبارك الله له في قليله ، وكان الرسول ﷺ في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الأطفال عادة، كما روت ذلك أم أيمن حاضنته ، فكان ﷺ إذا أقبل وقت الطعام جاء الأولاد يختطفونه وهو قانع بما سيسره الله له[3].

١- منتقعاً لونه : أي صار لون وجهه كلون النقع الذي هو التراب.

٢- الأبواء : قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب إلي المدينة.

٣- صحيح السيرة النبوية للعلي ص٥٦.

الفصل الثاني
نشأته ورحلاته ﷺ

السفر إلي الشام :-

ولما بلغ عمره اثنتا عشرة عاماً ، أراد عمَّه ﷺ وكفيله السفر بتجارة إلي الشام ، فاستعظم الرسول ﷺ فراقه له ، وأخذه معه وهذه هي الرحلة الأولي للشام ولم يمكثوا فيها إلا قليلا ، وقد أشرف علي رجال القافلة وهم بقرب بصري بحيرا الراهب ، فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا : إنه لم يظهر للآن وهذه العبارة كثيرا ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول (ولمَّا جاءهم كتابٌ من عند اللَّه مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمَّا جاءهم مَّا عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين) [البقرة: ٨٩].

حرب الفجَّار :-

ولما بلغ عمره ﷺ عشرون عاماً حضر حرب الفجَّار ، وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش، وبين قيس وسببها: أنه كان للنعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة [١]، تجارة يرسلها كل عام إلي سوق عكاظ [٢]، لتباع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي شرف في قومه ليجيزها فجلس يوما وعنده البراض بن قيس الكناني ، وكان فاتكا لكثرة شره وعروة بن عتبة الرحال فقال من يجيز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ ؟ فقال البراض أنا أجيزها علي بني كنانة ، فقال النعمان إنما أريد من يجيزها علي الناس كلهم فقال عروة: أبيت اللعن[٣] ، أكلب خليع يجيزها لك؟ أنا أجيزها علي أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد [٤] وتهامة [٥] فقال البراض : أو تجيزها علي كنانة يا عروة ؟ قال : وعلي الناس كلهم ، فأسرها في نفسه ، وتربَّص له حتى إذا خرج بالتجارة قتله غدرا ، ثم أرسل رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيس قوم عروة.

وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همَّت لتدرك ثأرها ، حتى أدركوا قريش وكنانة بنخلة [٦]، فاقتتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس ، احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ﷺ، ثم إن قيس قالوا لخصومهم : إنَّا لا نترك دم عروة ، فموعدنا عكاظ العام المقبل ، وانصرفوا إلي بلادهم يحرض بعضهم بعضا ، فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكانت معها ثقيف وغيرها.

١- الحيرة: بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس ، فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشر.

٢- سوق عكاظ: سوق كانت تعقدها العرب كل عام لتعرض فيها تجارتها وما قاله شعرائها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب.

٣- كلمة عربية ومعناها باعدت كل ما استحق المذمة.

٤- نجد: هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها.

٥- تهامة: هو ما انخفض من سواحل البلاد العربية ، والشرقي منها يسمي البحرين ، والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب ، واليمامة في الشرق.

٦- نخلة : موضع بين مكة والطائف.

وجمعت قريش جموعها من كنانة والأحابيش وهم حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه أخوته أبو طالب وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم ﷺ ، وكان علي بني أُميةٍ حرب بن أُميه ، وله القيادة العامةِ لمكانه في قريش شرفا ، ثم تناجزوا الحرب ، وكان يوما من أشد أيام العرب ، ولما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار[١].

وكادت الدائرة تدور علي قيس حتى انهزم بِعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح علي أن يحصوا قتلي الفريقين ، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد ، فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريشٍ وتعهد بها حرب بن أمية ، ورهن لسدادها ولده أبا سفيان ، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيرا ما تشبه حروب العرب تبدؤوها صغيرات الأمور حتى ألّف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم.

حِلفُ الفضول :

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جدعان التيمي أحدِ رؤساء قريش ، وكان المتحالفون بنو هاشِم وبني المطلب ابني عبد مناف ، وبنيٍ أسد بن عبد العزي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة تحالِفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قامِوا معه، حتى ترد إليه مظلمته، وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه ، وقال بعد أن شرفه الله بالرسالةِ (لقدِ شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم[٢]، ولو دعِيت به في الإسلام لأجبت[٣]) ، وذلك لأنه ﷺ مبعوث بمكارم الأخلاق ، وقد أقر دين الإسلام كثيرا منها ، يرشدك إلي هذا قوله ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا.

رحلته ﷺ إلي الشام المرة الثانية :

ولما بلغ عمره ﷺ خمس وعشرون عاماً سافر إلي الشام المرة الثانية ، وذلك أن خديجة بنت خويلد الأسدية[٤]، كانت سيدة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه ، فلما سمعت عن النبي ﷺ من الأمانة وصدق الحديثٍ مالم تعرفه في غيره حتى سمّاه قومه الأمين ، استأجرته ليخرج في مالها إلي الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره ، فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وربحا وظهر علي النبي ﷺ في هذه السفرة من البركات [٥] ، ما حببه في قلب ميسرة غلام خديجة.

١- الفجار: لما استُحل فيه من القتال في الأشهر الحرم ، لأن القتال لم يقع في مكة.

٢- الإبل الحمراء هي أغلي أموال العرب.

٣- صحيح السيرة النبوية: ص٥٩ وصححه الإمام الألباني.

٤- من بني أسد بن عبد العزي بن قصي.

٥- منها إظلال الغمامة لرسول الله ﷺ في الحر الشديد.

الفصل الثالث

زواجه وحياته قبل البعثة ﷺ

زواجه ﷺ خديجة رضي الله عنها[1]:-

فلما قَدِما مكة ورأت خديجة ربحها العظيم سرت من الأمين ﷺ وأرسلت إليه تخطُبه لنفسها، وكان عمرها نحو الأربعين وهي من أوسط قريش حسباً وأوسعهم مالاً ، فقام الأمين ﷺ مع أعمامه حتى دخل علي عمهَّا عمرو بن أسد ، فخطبها منه بواسطه عمه أبى طالب فزوجها عمها، وقد خطب أبو طالبٍ في هذا اليوم فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرعٍ إسماعيل وضئنئ معد ، وعنصرِ مضر ، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعله لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً ، وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجلٍ شرفاً ونبلاً وفضلاً وإن كان في المال قُلٌّ ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة ، وقد بذل لها من الصداقِ كذا [2] ، وعلي ذلك تم الأمر ، وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة ، توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة ، وهو ربيب المصطفي ﷺ .

بناء البيت :

ولما بلغ عمره ﷺ خمساً وثلاثين عاماً جاء سيل جارف فصدّع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان أصابها قبل ، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فإنها كانت رضيمة [3] فوق القامة ، فاجتمعت قبائلهم لذلك ، ولكنهم هابو هدمها لمكانتها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ فقالوا: بل الإصلاح ، قال : إن الله لا يهلك المصلحين ، وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا إلي أساس إسماعيل ، وهناك وجدوا صحافاً نقشٍ فيها كثير من الحكم علي عادة ما يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المقدمين ، ثم بدأوا البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ، وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة علي أعناقهم وكان العباس ورسول الله ﷺ فيمن يحمل[4] ، وكان الذي

١- السيرة النبوية لأبي شُهبه (١/ ١٢٢ - ١٢٣).

٢- في السيرة الجليلة خمسمائة درهم.

٣- بناء رضيم : مبني بالصخر.

٤- رواه البخاري (١٥٨٣).

يلي البناء نجار رومي اسمه (باقوم) ، وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون إليه الحجارة ، وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة[1] عن إتمامه علي قواعد إسماعيل.

فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جدار قصير علامة علي أنه من الكعبة ، ولما تم البناء ثمانية عشر ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسعة أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث لا يصعد إليها إلا بدرج أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه، فاختلف أشرافَهم فيمن يضعه ، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب، ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن رجل في قريش آن ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكّموا بينكم من ترضون بحكمه فقالوا : نفوض الأمر لأول داخل فكان هذا الداخل هو الأمين ﷺ فاطمأن الجميع له لما يعهدونه فيه من الأمانة وصدق الحديث وقالوا: هذا الأمين ارتضيناه ، هذا محمد ، لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إذ كان لا يدارى ولا يمارى ، فلما أخبروه الخبر بسط رداءه ﷺ وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلي موضعه فأخذه ووضعه فيه.

وهكذا انتهت المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب ، لولا أن منَّ الله عليهم بعاقل مثل أبي أُمية يرشدهم إلي الخير وحكيم مثل الرسول ﷺ يقضي بينهم بما يرضي جميعهم ، ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا ، لأن البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجُّون إليها ، فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة ، وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم ، قال تعالي في سورة آل عمران ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾[آل عمران ٩٦، ٩٧]

وكان يلي أمره بعد ولد إسماعيل قبيلة جرهم قلّما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلُوهم عن البيت ، ووليته خزاعه حيناً من الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد قُصي بنِ كلابٍ ، وبسببه أرؤ منوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهابهم ، وإذا احتموا به كان حصنا أميناً من اعتداء العادين ، وامتنَّ الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة

١- الحلال.

العنكبوت (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [العنكبوت ٦٧]

معيشته ﷺ قبل البعثة :

لم يرث ﷺ من والده شيئاً ، بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ، ولما بلغ مبلغاً يمكّنه أن يعمل عملاً (راعياً للغنم) مع اخوته من الرضاع في البادية ، وكذلك لما رجع إلي مكةَ كان يرعاها لأهلها علي قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه[1] ، ووجود الأنبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلها أمر لابد منه، لأنهم لو وجدوا أغنياء لألهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ، ولذلك تري جميع الشرائع الإلهية متفقة علي استحسان الزهد فيها والتباعد عنها.

وحال الأنبياء السالفين أعظم شاهد علي ذلك فكان عيسي عليه السلام أزهد الناس في الدنيا ، وكذلك كان موسي وإبراهيم عليهم وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان حالتهم في صغرهم ليست سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله علي أنبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب علي الدنيا والتهافت عليها ، وذلك سبب البلايا والمحن ، وكذلك رعاية الغنم ، فما من نبي إلا رعاها كما أخبر عن ذك الصادق المصدوق ﷺ في حديث البخاري وهو أيضاً من بالغ الحكم فإن الإنسان إذا استرعي الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة ، فإذا انتقل من ذلك إلي رعاية الخلق كان لما هذّب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغزيري، فيكون في أعدل الأحوال ، ولما شبَّ ﷺ كان يتجر، وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها إلي الشام علي جعل يأخذه، ولما شرفت خديجة بزواجه ﷺ وكانت علي يسار، عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله ما امتن عليه به في سورة الضحي بقوله جل ذكره (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨)) [الضحى ٦: ٨] بالإيواء والإغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة ، هداه للكتابَ والإيمان ودين إبراهيم عليه السلام ، ولم يكن يدري ذلك قبل ، قال تعالي في سورة الشوري (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)) [الشورَي ٥٢]

١- رواه البخاري (٢٢٦٢).

سيرته في قومه قبل البعثة :

كان ﷺ أحسن قومه خُلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جواراً وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، فسمُّوه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم ، والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك ألدُّ أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث قال: قد كان محمد فيكم غُلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر ما ذلك في معرض الاتفاق علي ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسمِ حتى يكونوا متفقين علي قول مقبول يقولونه ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلا هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال : لا ، فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب علي الناس ويكذب علي الله ورد ذلك في أول (صحيح البخاري) وقد حفظه الله في صغرِه من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها[1] ، وبغضت إليه الأوثان بغضا شديدا حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادها.

وقال ﷺ (لمَّا نشأت بغّضت إلي الأوثان ، وبغض إلي الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أُريد من ذلك ، ثم هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعي معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك ، فضرب الله علي أُذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة أخري مثل ذلك)

وكان ﷺ لا يأكل ما ذبح علي النصب [2] ، وحرم شرب الخمر علي نفسه مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها أنبياءه ليكونوا علي تمام الاستعداد لتلقي وحيه ، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوة وبعدها ، أما قبل النبوة

١- كتاب الشفاء "للقاضي عياض".

٢- هي حجارة تنصب عليها دماء الذبائح وتعبد.

فليتأهلوا للأمر العظيم الذي سيسندَ إليهم ، وأمَّا بعدها فليكونوا قدوة لأممهم عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات[1].

ما أكرمه الله به قبل النبوّة :

أول منحة من الله ما حصل من البركات علي آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم ، فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجد بين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تؤوب من مرعاها وإن أضراعها لتسيل لبناً ويرحمٍ الله البوصيري حيث يقول في همزيته:

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء

ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره وإخراج حظُ الشيطان منه ، وليس هذا بالعجيب علي قدرة الله تعالي ، فمن استبعد ذلك كان قليل النظر ، لا يعرف من قوة الله شيئاً لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث.

ومن المكرمات الإلهية تسخير الغمامة له في سفره إلي الشام ﷺ ، حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة ، كما روي ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في سفره، وهذا ما حببه إلي خديجة حتى خطبته لنفسها ، وتيقنت أن له في المستقبل شأناً ، ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس إيماناً به ، ولم تنتظر آية أخري زيادة علي ما علمته من مكارم الأخلاق ، وما سمعته من خوارق العادات.

ومن منن الله عليه ﷺ ما كان يسمعه من السلام عليه من الأحجار والأشجار فكان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يري بناء ويغضي إلي الشعاب وبطون الأودية فلا يمرُّ بحجر ولا شجر إلا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يري أحد ، وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك كبير إشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله ، فعصا موسي عليه السلام التقمت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحوَّلت حيَّة تسعي ثم رجعت كما كانت ، ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتا عشرة عيناً لكل سبط من أسباط بني إسرائيل عين وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء علي عظيم قدرهم وعلو شأنهم.

١- صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ص٥٧ .

الباب الثاني : البعث والدعوة

الفصل الأول

الكتب السماوية تبشر بمقدمة ﷺ

- تبشير التوراة به ﷺ [١]:

أنزل الله التوراة علي موسى عليه السلام محتوية علي الشرائع التي تناسب أهل ذاك الزمن، ونوه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم ، فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم ﷺ خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام [٢].

" وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به، ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به بإسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي الذي يجترئ علي بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، وإذا أحببت أن تميز بين بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك: إنَّ ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه " [٣].

ويقول اليهود : إن هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح ، فإنهم [٤]. أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له : أنت إيليا؟ فقال: لا ، فقالوا أنت المسيح ؟ فقال: لا ، فقالوا أنت النبي ؟ فقال: لا ، فقالوا ما بالك إذن تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي؟ فهذه تدل علي أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ، ثم إن التوراة تقول في صفة النبي ﷺ أنه مثل موسى.

وقد نصَّت في آخر سفر التثنية علي أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى ، وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفتري علي الله يقتل ، ويشبَّه ذلك في القرآن قوله تعالي في سورة الحاقة (ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثُمَّ لقطعنا منه الوتين (٤٦)) [٥] [الحاقة ٤٤-٤٦] ونبينا ﷺ مكث بين أعدائه الألداء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها إلي الله ، ومع ذلك عصمه منهم ، وأنزل عليه تطمينا لخاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) [المائدة٦٧] أكان يعجز

١- "الجواب الصحيح" لأبن تيمه (١/٣٤٠).

٢- رواه مسلم (٢٢٧٧).

٣- الإصحاح الثاني :- سفر التثنية.

٤- الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا آية ٤٦.

٥- الوتين :- عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

الله _ وهو القادر علي كل شيء _أن يعاقب من ينسب إليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦)) [الشورى ٤٤-٤٦] وقد أخبرنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الإخبار بما سيأتي .

وقد أخبرنا النبيﷺ عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها، ومنها مالا ينفع معه الحدس والتخمين ، كالإخبار بأن الروم سيغلبون بعد أن قهرهم الفرس قهرا شديدا حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم ، فالإخبار بأن الروم سيردون ما فُقد منهم بعد بضع سنين لا يكون إلا من عند الله العلي القدير، ولذلك استغربه بعض المشركين من قريش ، وراهن علي ذلك أبو بكر ﷺ.

وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن ، وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله إن شاء الله تعالى وروى القاضي عياض في كتابه (الشفاء) أن عطاء بن يسار عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة الرسولﷺ فقال :- أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن الكريم (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَرسلْنَاكَ شَاهداً ومبشّراً ونَذيراً (٤٥)) [الأحزاب٤٥]

وروى مثله عن عبد الله بن سلام ﷺ وهو الذي كان رئيس اليهود فلم تعميه الرياسة حتى يترك الدين القويم ، وكذلك كعب الأحبار ، وفي بعض طرق الحديث "ولا صخّاب في الأسواق ولا قوّال للخنا ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة مقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدي إمامه ، والإسلام ملّته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأُعلّم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأُسمي به بعد النكرة ، وأُكثر به بعد القلّة ، وأُغنى به بعد العيلة ، وأُجمع به بعد به الفُرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهوَاءٍ متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس" وقد أخبر ﷺ عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الأمين (عبدي أحمد المختار مولده مكة ومهاجره المدينة _أو قال طيبة_ وأمته الحمَّادون الله على كل حال.

تبشير الإنجيل به ﷺ :-

بشَّر عيسى عليه السلام قومه من الإنجيل في (الفار قليط) ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدّقه في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)) [الصف:٦] وقد وصف المسيح عليه السلام هذا (الفار قليط) بأوصاف لا تنطبق إلا على نبينا ﷺ فقال إنه يؤنج العالم علي خطيئته ، وإنه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم (وما ينطقُ عنِ الهوى (٣) إِنْ هو إِلاَّ وحي يوحى (٤)) [النجم٣ ،٤] وقد ورد في إنجيل برنابا _الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب الجهالة _ذكر اسم الرسول ﷺ صراحة.

حركة الأحبار قبل البعثة :-

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الأحبار والرهبان قُبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون علي عرب المدينة برسول منتظر ، فقد حدَّث عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه ، قالوا إنما دعانا للإسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من أحبار يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فكثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ أجبنا حين دعانا إلي الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه فآمنّا وكفروا ، وإنما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وإرم لأن من صفته ﷺ في كتبهم أن هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ، ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغي سيتمكنان من قلوبهم فينبذون الدين القيم، فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة ، وكان أمية بن أبي السلط المتنصر العربي كثيراً ما يقول : إني لأجد من الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا وحدث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن نفسه أنه صحب

قسيساً فكان يقول له يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد ، يخرج من جبال تهامة ، علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة .

وهذا الحديث كان من أسباب إسلام سلمان ، ولما راسل ﷺ ملوك الأرض لم يهن كتابه إلا كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب ، وأما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر، وقيصر ملك الروم ، فأكرموا وفَادة رسله ، ومنهم من آمن كالنجاشي ، ومنهم من رد رداً لطيفاً وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ، ومنهم من هادى كالمقوقس ، ولم يكن ﷺ في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللّهم ما ذاك إلا لأنهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشّر برسول يأتي من بعده ، ووافقت صفات رسولنا ﷺ ما عندهم فأجابوا بالتي هي أحسن، وأما ما سمع من الكهَّان قُبيل زمنه فهو ما لا يدخل تحت حصر.

وليس بعد ما ذكرناه وسردناه لك زيادة لمستكثر، ومع ذلك كله فالأعمال التي جاد الله بها علي يديه والأقوال التي أتانا بها أعظم مقوٍ لحجته ومؤيدٍ لدعوته وسيأتي عليك بيان ذلك كله بأجلي بيان فتأمله ترشد هداك الله إلي الصراط السوي المستقيم.

الفصل الثاني
بعثة الرسول ﷺ.

بدء الوحي:-

لما بلغ ﷺ سن الكمال وهو أربعون عاماً أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلي نور العلم والايمان وكان ذلك في أول فبراير عام ٦١٠ من الميلاد ، ١٧ رمضان عام ١٣ قبل الهجرة ، وأول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان ﷺ لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق [١] الصبح ، وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الأمور كلها حتى تصل إلي درجة الكمال ، ومن الصعب على البشر تلقي الوحي من الملك لأول مرة، ثم حبب إليه ﷺ الخلوة ، ليبتعد عن ظلماتِ هذا العالم وينقطع عن الخلق إلي اللهِ فإن العزلة صفاء السريرة ، وكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، فتارة عشرا ، وتارة أكثر إلي شهر ، وكانت عبادته ﷺ علي دين أبيه ابراهيم عليه السلام [٢].

ويأخذ لذلك زاده ، فإذا فرغ رجع إلي خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فبينما هو قائم ﷺ في بعض الأيام علي الجبل إذ ظهر له شخص ، وقال أبشر يا محمد أنا جبريل ، وانتِ رسول الله إلي هذه لأمة ثم قال له اقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، فإنه ﷺ أمي لم يتعلم القراءة قبلا ، فأخذه فغطه بالنمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله ، فقال اقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، فأخذه فغطّه ثانية ثم أرسِله ، فقال إقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، فأخذه فغطّه الثالثة ، ثم أرسله فقال : [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسان من علَقٍ (٢) اقْرَأْ وربُّك الأَكرم (٣) الَّذي علَّم بالْقَلَمِ (٤) علَّم الإِنسان ما لم يعلم (٥)] [العلق ١-٥] ، فرجع بها عليه ﷺ يرجف فؤاده مما ألم به من الروع الذي إستلزمته مقابلة الملك لأول المرة ، فدخل علي خديجة زوجه ، فقال زملوني[٣] ، زملوني لتزول عنه هذه القشعريرة ، فزملوه ﷺ حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت علي نفسي) ، لأن الملك غطه حتى كاد يموت ، ولم يكن له ﷺ علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله ، فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَّل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين علي نوائب الحق [٤]. ، فلا يسلط الله عليك الشياطين والأوهام ، ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك .

١- ضوء الصبح.

٢-قال في (السيرة الجليلة) (٣٨٣/١)،وقد قيل : إن إطعامه من جاء من المساكين كان تعبده في غار حراء أي مع الأنقطاع عن الناس ، وقيل : كان تعبده ﷺ التفكر مع الانقطاع عن الناس ،وقيل : تعبده ﷺ كان الذكر ،وصححه في سفر السعادة.

٣- لفوني في ثوبي .

٤- رواه البخاري (٣).

ولتتأكد خديجة مما ظنته أرادت أن تتثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا علي كتب الاقدمين، فانطلقت به حتى أتى ورقة بن نوفل ، ابن عم خديجة وكان امرء قد تنصرٍ فيٍ الجاهِلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب في الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى.
فقالت له خديجة : يا ابن العم ، إسمع من ابن أخيك ، فقال يا ابن أخي ماذا ترى فأخبر ﷺ ما رأي ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله علي موسى لأنه يعرف أن رسولِ اللهٍ مثل أنبيائه كان ينزل عليهم ملك من السماء هو جبريل ، ثم قال يا ليتني فيها جزعا(شابا جلدا) إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم إياك وكراهيتهم لك، حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها أباءهم فاستغرب ﷺ ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لاتصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول ، حتى سموه الصادق الأمين ، وقال ﷺ أو مخرجي هم؟ قال : لم يأت رجل قطِ بمثلِ ما جِئتٍ بِه إلا عُودِيٍ وقدٍ نطِق بِذلكِ القِرآنِ الكريم ، قال تعالى فِيٍ سِورةِ إبراهِيم (وقَال الَّذِين كفروا لرسلهم لنخرجنَّكم من أَرضنا أَو لتعودنَّ في ملَّتنا فَأَوحى إِليهم ربُّهم لنهلكنَّ الظَّالمينَ (١٣)) [ابَراهِيَم ١٣ٍ] ، ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الأكرمَ ﷺ قال : وإنَ يدركني يَومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة إلي أن توفى.

فترة الوحي :

وفترة الوحي هي مدة لم يتفق عليها المؤرخون ، وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوماً ، ليشتد شوق الرسول ﷺ للوحي ، وقد كان فإن الحال اشتد به ﷺ حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا به أن يرمي نفسه منها ، حذرا من قطيعة الله له بعد أنٍ أراه نعمته الكبرى، وهي اختياره ﷺ لأن يكون واسطة بينه وبين خلقه ، فيبتدى له الملك قائلا : أنت رسول الله حقا فيطمئن خاطره ﷺ ويرجع عما عزم عليه ، حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين فعاد إليه الوحي:

عودة الوحي [1]:

فبينما هو يمشي ﷺ إذ يسمع صوتاً من السماء فرِع إليه بصره ، فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالس بين السماء والأرض ، فرعبِ منهِ لتذكر ما فعله فِي المرة الأولى فرجع وقال (دثروني ، دثروني) فأنزل الله عليه (يا أَيُّها المدَّثِّر (١) قُم فَأَنذِر (٢))[المدثر ١-٢] أي حذر الناس من عذاب الله إن لم يرجعوا عن غيهمَ وما كان يعبدَ آباؤهم ، (وربَّك فكبر (٣)) بالتعظيم ، ولا تشرك معه في ذلك غيره ، (وثيابك فطهر (٤)) لتكون مستعدا للوقوف بين يدي الله ، إذ لا يليق بالمؤمن أن يكون مستَقذرا ، (والرُّجزِ فاهجر (٥)) أي : أهجر أسباب الرجز ، وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر (٦)) ولا تهب أحدا هبةٍ وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب أكثر مما وهبت ، فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر (٧))[المدثر ١-٧] علي ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم إلي الله .

١- (زاد المعاد) لأبن القيم (١/٣٣_٣٤) ، (فتح الباري)(١/٣٦).

الفصل الثالث

الدعوة إلي الهدى

الدعوة سراً وأول الناس إسلاماً :-

قام ﷺ بالأمر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لا دين لهم ، إلا أن يسجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر، ولا حجة لهم إلا أنهم متبعون ما كان يعبد آباؤهم ، وليس عندهم من مكارم الأخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزّة والأنفة ، وهو الذي كثيراً ما كان سبباً في الحروب وإراقة الدماء ، فجاءهم رسول الله ﷺ بما لا يعرفونه ، فذو العقول السليمة بادروا إلي التصديق وخلع الأوثان ، ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه معظمته.

وكان أول من سطع عليه نور الإسلام هي خديجة بين خويلد زوجه[١]. وعلي بن أبي طالب ابن عمه ، وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره ، لأن كانوا قد أصابتهم مجاعة ، وكان أبو طالب مقلا كَثير الأولاد ، فقال ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب (إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا إليه لنخفّف من عياله ، تأخذوا واحداً ، وأنا واحداً) ، فانطلقنا وعرضنا عليه الأمر ، فأخذ العباس جعفر بن أبي طالب ، وأخذ ﷺ علياً فكان في كفالته كأحد أولاده إلي أن جاءت النبوة وقد ناهز[٢] الاحتلام ، فكان تابعاً للنبي ﷺ في كل أعماله ، ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الأوثان ، وإتباع الهوى [٣]، وأحبب أيضاً زيد بن حارثة بن شر حبيل الكلبي ، مولاه ﷺ ، وكان يقال له زيد بن محمد ، لأنه لما اشتراه [٤] أعتقه وتبنّاه ، وكان المتبني معتبراً كأبن حقيقي يرث ويورث ، وأجابت أم أيمن حاضنته التي زوجها لمولاه زيد.

وأول من أجابه من غير أهل بيته ﷺ هو أبو بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القُرشي ، كان صديقاً لرسول الله ﷺ قبل النبوة يعلم ما اتصف به ﷺ من مكارم الأخلاق ولم يعهد عليه كذباً قط منذ اصطحبا فأول ما اخبره برسالة الله أسرع بالتصديق ، وقال بأبي أنت وأمي ، أهل الصدق أنت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وكان رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش علي سعة من المال وكرم

١- "سيرة بن هشام"(١/٢٤٤).

٢- الصواب أن عمره كان ثماني سنين.

٣- (السيرة النبوية)لابن هشام (١/٢٤٦) .

٤- السيرة الحلبية ج١ ص٢٧١ :أن خديجة وهبته له ، وفي رواية أنه ﷺ اشتراه لها فوهبته له.

الأخلاق ، وكان من أعف الناس ، سخياً يبذل المال ، محبباً في قومه ، حسن المجالسة ، ولذلك كله كان من رسول الله ﷺ بمنزلة الوزير ﷺ ، فكان يستشيره في أموره ﷺ كلها ، وقال في حقه (ما دعوت أحداً إلي الاسلام إلا كانت له كبوه[١]. غير أبي بكر) [٢].وكانت الدعوة إلي الإسلام سراً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا، فيصعب اسلامهم ، فكان ﷺ لا يدعو إلا من يثق به ، ودعا أبو بكر ﷺ إلي الإسلام من يثق به من رجال قريش ، فأجابه جمع منهم: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ولما علم عمه الحكم بإسلامه ، أوثقه (ربطه) كتافاً وقال : ترغب عن دين آبائك إلي دين مستحدث ؟ والله لا أُحلّك حتى تدع ما أنت عليه، فقال عثمان ﷺ والله لا أدعه ولا افارقه ، فلما راي الحكم صلابته في الحق تركه لشأنه ، وكان شيخاً [٣]. يناهز الثمانين من عمره ومنهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب ، وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع إلي دين آبائه ، فقواه الله بالثبات ، وكان شاباً[٤].لا يتجاوز سن الاحتلام .

ومنهم عبد الرحمنِ بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي ، وكان اسمه في الجاهلية ، عبد عمرو فسماه ﷺ عبد الرحمن ، ومنهم سعد بن أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي ، ولما علمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بإسلامه قالت له : يا سعد بلغني أنك قد صبأت فو الله لا يظلني سقف من الحر والبرد ، وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر لمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد إلي رسول الله ﷺ وشكى إليه أمر أمه فنزل في ذلك قول الله تعالى في سورة العنكبوت (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)) [العنكبوت ٨]

١- كبوة :- توقف وتردد .

٢- ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٥٠)، والبداية والنهاية (١/١٠٨).

٣- قال في الأصابة :- ولد عثمان بعد عام الفيل بست سنوات علي الصحيح ، فيكون عمره حين بعث النبيﷺ أربعاً وثلاثين عاماً ، فهو كهل ، لأن الكهل من ينوف عمره عن الثلاثين .

٤- قيل في الأستيعاب :- عن عروة قال : أسلم الزبير وهو ابن اثنى عشرة عاماً ثم روى عن عروة قال أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة عاماً .

وصاه جل ذكره بوالديه ،وأمره بالإحسان إليهما مؤمنين كانا أو كافرين ، أما إذا دعواه للإشراك فالمعصية متحتمة فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ثم قال (إلي مرجعكم) من آمن منكم ومن أشرك ، فأجازيكم حق جزائكم .

وفي ختام هذه الآية فائدتان : التنبيه علي أن الجزاء إلي الله فلا تحدث نفسك بجفوتهم لإشراكهما ، والحض علي الثبات في الدين لئلا ينال شر الجزاء في الآخرة ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر رسول الله ﷺ وصفته ، فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول الله ما نفعه الله به ، ورأي الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب ، بادر إلي الإسلام .

وممن سبقوا إلي الإسلام : صهيب الرومي [1] وكان من الموالي ، وعمار بن ياسر المنسي وقد قال ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سمية .

ومن السابقين الأولين : عبد الله بن مسعود ، كان يرعي الغنم لبعض مشركي قريش، فلما لأي الآيات الباهرة وما يدعو إليه عليه السلام من مكارم الأخلاق ، ترك عبادة الأوثان ولزم رسول الله ﷺ ، وكان ﷺ كثير الدخول علي الرسول لا يحجب ، ويمشي أمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، ويلبسه نعليه إذا قام ، إذا اجلس أدخلهم في ذراعيه.

ومن السابقين الأولين: أبو ذر الغفاري [2]وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث، ولما بلغه مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه [3].: اركب إلي هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ، ثم ائتني فأنطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ﷺ ثم رجع إلي أبي ذر فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاماً ما هو بالشعر ، فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء ، حتى قدم مكة فأتى المسجد ، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله ﷺ ، حتى إذا أدركه الليل رآه علي فعرف أنه

١- صهيب : هو صهيب ابن سنان بن النمر بن قاسط ، قيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيراً ، فصار ألكن ثم اشتراه رجلاً من كلب فباعه بمكة.

٢- رواه البخاري (٣٥٢٢، ٤٦٢٣) ، ومسلم (٣٥٢١).

٣- اسم أخي أبي ذر :- أنيس.

غريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه عن شيء (علي قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه إلا بعد ثلاث)

فلما أصبح احتمل قربته وزاده إلي المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى أمسي ، فعاد إلي مضجعه ، فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزلة الذي أُضيف به بالأمس ؟ فأقامه ، فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان اليوم الثالث عاد عليٍ مثل ذلك ، ثم قال له علي : ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ، ففعل فأخبره ، قال فإنه حق ، وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني ، حتى تدخل مدخلي ففعل ، فانطلق يتبع أثره حتى دخل علي النبي ﷺ ، ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ (ارجع إلي قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري) ، قال والذي نفسي بيده لأمر لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب العباس عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلي الشام عليه ؟ فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا عليه ، فأكب العباس عليه رواه البخاري وكان ﷺ من أصدق الناس قولاً ، وأزهدهم في الدنيا .

ومن السابقين : سعد بن زيد العدوي القُرشي ، وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لُبابة بنت الحارث الهلالية ، زوج العباس بن عبد المطلب وعبيده ابن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي القرشي ابن عمة رسول الله ﷺ ، وزوجة أم سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشي ، وأخواه قُدامه ، وعبد الله ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي القرشي.

ومن السابقين الأولين: خالد بن سعيد بن العاص بنٍ أمية بن عبد شمس الأموي القرشي ، كان أبوه سيد قريش إذا اعتم لم يعتم قرشي إجلالاً له ، وكان خالد بن سعيد قد رأى في منامه أنه سيقع من هاوية ، فأدركه رسول الله ﷺ وخلّصه منها فجاء إليه وقال : إلام تدعو يا محمد ؟ قال (أدعوك إلي عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع) والإحسان إلي والديكٍ ، وألا تقتل ولدك خشية الفقر ، وألا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن ، وألا تقتل نفساً حرم الله إلا

بالحق ، وألا تقرب مال اليتيم ، إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشُده ، وأن توفي الكيل والميزان بالقسط ، وأن تعدل في قولك ولو حكمت علي ذوي قرباك ، وأن توفي لمن عهدت) فأسلم ﷺ ، وحينئذ غضب عليه ابوه وآذاه حتى منعه القوت ، فانصرف إلي رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويعيش معه ، ويغيب عن أبيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد.

وهكذا دخل هؤلاء الأشراف في دين الإسلام ، ولم يكن مع رسول الله ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين ، وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم ، وذوي الثروة منهم ، ويتبعوا الرسول ليأكلوا من فضل ماله ، بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه ﷺ كأبي بكرٍ وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم ، والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الأذى والجوع والمشقّات مع إتباعِ الرسول ﷺ ، لو اتبعوا سادتهم وكبراءهم لكانوا من هذه الدنيا أهدأ مالاً ، وأكثرهم أموالاً ، وأهنئهم عيشة ، اللهم ليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم ، حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله ﷺ من الهدى واليقين.

الجهر بالتبليغ:

مضت كل هذه المدة والنبي ﷺ لا يظهِر الدعوة في مجامع قريش، ولم يكن المسلمون يتمكّنون من إظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كلٌّ من أراد العبادة ذهب إلي شعاب مكة يصلي متخفياً ، ولما دخل في الدين ما يقرب علي الثلاثين ، وكان من اللازم اجتماع الرسول ﷺ بهم ليرشدهم ويعلمهم ، اختار لذلك دار الأرقم ابن أبي الأرقم وهو ممنِ ذكرنا إسلامهم ومكث ﷺ يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فَاصدعْ بما تؤْمر وأَعرِضْ عنِ المشرِكين (٩٤))[الحجر:٩٤] فبدَّل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممتثلا أَمر ربه ، واثقا بوعده ونصره فصعد علي جبل الصفا فجعل ينادي يا بني فهر ، يا بني عدي لبطون قريش ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشا ، فقال ﷺ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قط قال ﷺ فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله في شانه قرأناً يتلي إلي يوم القيامة

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ (١) ما أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ وما كَسب (٢) سيصلَى نَاراً ذَاتَ لَهبٍ (٣) وامرأَتُه حمَّالَةَ الحطَبِ (٤) في جيدها حبلٌ من مَّسدٍ (٥)) [1].[المسد ١-٥]

والقصد من حمل الحطب المَشي بالنميمَة لأنها كانت تقول علي رسول الله ﷺ الأكاذيب في نوادي النساء، ثم أنزل عليه سورة الشعراء (وأَنذِرْ عشيرتك الأَقْربِين (٢١٤)) [الشعراء:٢١٤] وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنوَ نوفلَ ، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخْفضْ جناحك لمن اتَّبعك من المؤْمنين (٢١٥) فَإِنْ عصوْك فَقُلْ إِنّي بَرِيء مِمَّا تَعْملُونِ (٢١٦)) [الشعراء :٢١٥، ٢١٦] أيَ العشيرة والأقربون (فإن عصوك فقل إني بَرِيء مما تعملُون (٢١٦))[الشعراء:٢١٦] ، فجمعهم ﷺ وقال لهم (إن الرائد لا يكذب أهلَه، والله لوَ كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلي الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنَّة أبداً أو لنار أبداً) [2].

فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فإنه قال خذوا علي يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن أسلمتموه إذن ذُللتم ، وإن منعتموه قُتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم انصرف الجمع.

ولما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخرت منه قريش واستهزئوا به في مجالسهم فكان إذا مر عليهم كانوا يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلّم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلّم من السماء. لا يزيدون علي ذلك فلما عاب آلهتهم وسفّه عقولهم وقال لهم (والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم) ثارت في رءوسهم حميةُ الجاهلية غيرة علي تلك الآلهة التي كان يعبد ها آباؤهم، فذهبوا إلي عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ علي نفسه حمايته ﷺ من أيدي أعدائه ، فطلبوا منهم أن يخلّي بينهم وبينه أو يكفّه عما يقول ، فردهم رداً جميلا فأنصروا عنه ، ومضى رسول الله ﷺ لما يريده لا يصده عن مراده شيء ، فتزايد الامر ، وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله ﷺ ، وحث بعضهم بعضاً علي ذلك ثم مشوا إلي أبي طالب مرة أخرى وقالوا له إن لك سناً وشرفاً ومنزلة منا ، وإنا قد طلبنا منك

١- رواه مسلم (١/١٩٤).

٢- السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٧٣).

أن تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر علي هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه عقولنا ، وعيب آلهتنا ، فإنهم كانوا إذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم علي عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له.

قال تعالى في سورة البقرة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)) [البقرة :١٧٠] ، وقال في سورة المائدة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤))[المائدة ١٠٤] وقال في سورة لقمان (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١))[لقمان ٢١] وقال في سورة الزخرف في بيان حجتهم الداحضة (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)) [الزخرف٢٢] ولما شبههم بمن قبلهم من الأمم في هذه المقالة الدالة علي التعصب والعناد ، قال (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)) [الزخرف ٢٤]

فلَما تمسكوا بحجَة التقليد لآبائهم جر ذلك إليَ وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية، فهاج ذلك أضغانهم، وقالوا لأبي طالب : إما أن تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا، فعظُم علي أبي طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه ، فقال له يا ابن أخي ، إن القوم جاءوني فقالوا لي كذا فأبق علي نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق.

فظن الرسول ﷺ أن عمه خاذله فقال (يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري علي أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ثم بكى وولي ﷺ فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب فقل ما أحببت والله لا أُسلمك[1].

الإيذاء:-

ورأى رسول الله ﷺ من المشركين كثير من الأذى وعظيم الشدة ، خصوصاً إذا ذهب إلي الصلاة عند البيت ، وكان من أشدهم أذى لرسول الله ﷺ جماعة سمُّوا لكثرة أذاهم بالمستهزئين فأولهم وأشدهم: أبو جهل عمرو بن هاشم بن المغيرة المخزومي القرشي ، قال يوماً : يا معشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم ،

١- السيرة النبوية لابن هشام (٢٧٣/١).

وتسفيه أحلامكم ، وسب آبائكم ، إني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا ﷺ كما كان يغدو إلي صلاته ، وقريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهلٍ فاعل ، فلما سجد ﷺ احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه من الفزع ورمى حجره من يده ، فقام إليه رجال من قريش فقالوا: مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل والله ما رأيت مثله قط همَّ بي أن يأكلني ، فلما ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ قال (ذاك جبريل ولو دنا لأخذه) [1].

وكان أبو جهل كثيراً ما ينهي الرسول ﷺ عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد أن رآه يصلي ألم أنهك عن هذا؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ القول وهدده ، فقال أتهددني [2]وأنا أكثر أهل الوادي ناديا ؟ فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة العلق (كَلاَّ لَئِن لَّم ينتَه لَنَسفَعاً بِالنَّاصِيةِ (١٥) نَاصِيةٍ كَاذبةٍ خَاطئَةٍ (١٦) فَلْيدْعُ نَاديه (١٧) سنَدْعُ الزَّبَانيةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطعه وَاسجد واقْتربَ (١٩)) [العلقَ:١٥-١٩]

ومن أذيته للرسول ﷺ ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد وهو يصلي ، فقال أبو جهل ألا رجل يقوم إلي فَرثِ جزور بني فلان فيلقيه علي محمد وهو ساجد؟ فقام عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث ، فألقاه علي النبي ﷺ وهو ساجد ، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد علي إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل ﷺ ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته ﷺ فأخذت القذر ورمته ،فلما قام دعا علي من صنع هذا الصنع القبيح فقال (اللهم عليك بالملأ من قريش) وسمي أقواماً قال ابن مسعود فرأيتهم قُتلوا يوم بدر[3].

[فداكِ أبي وأمي يا رسول الله ﷺ] ومما حصل لرسول الله ﷺ مع أبي جهل أن هذا إبتاع أجمالا من رجل يقال له الإراشي فماطله بأثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة علي أخذ ماله ، فدلّوه علي رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه

١- رواه مسلم (٢٧٩٧).

٢- رواه الترمذي (٣٣٤٩).

٣- رواه البخاري(٢٤٠).

من أفعال ذلك الشقي بالرسول ﷺ لينصفه ، فتوجه الرجل إليه وطلب منه المساعدة علي أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال من هذا ؟ قال محمد: فخرج منتقعاً لونه فقال له الرسول ﷺ (أعط هذا حقه) فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى اخذ دينه ، فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علّي بابي حتى سمعت صوته فملئت منه رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه فحلا من الإبل ما رأيت مثله.

ومن جماعة المستهزئين :-

أبو لهب ابن عبد المطلب، عم رسول اللهﷺ كان أشد عليه من الأباعد ، فكان يرمي القذر علي بابه لأنه كان جاراً له ، فكان الرسول ﷺ يطرحه ويقول (يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟) وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب بن اميه، فكانت كثيراً ما تسب رسول الله ﷺ وتتكلم فيه بالنمائم وخصوصاً بعد أن نزل فيها وفي زوجها سورة المسد.

ومن المستهزئين :-

عقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كأبي لهب، صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله ﷺ فقال ﷺ : (والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله) فتشهد فبلغ ذلك أُبي بن خلف الجمحي القُرشي ، وكان صديقاً له فقال ما شيء بلغني عنك ؟ قال لا شيء دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له .

قال أُبي: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ عنقه ، وتبزق في وجهه ، وتلطم عينه ، فلما رأى عقبة رسول الله ﷺ فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعضُّ الظَّالمُ علَى يديه يقُول يا ليْتَني اتَّخذْتُ مع الرَّسول سبيلاً (٢٧) يا ويلتَى ليْتَني لَمْ أَتَّخذْ فُلاناً خَليلا (٢٨) لَقد أَضلَّني عَنِ الذِّكْرِ بعد إِذْ جاءَني وكان الشَّيطَان للإِنسانِ خَذولا (٢٩)) [الفرقان ٢٧-٢٩] .

ومن أشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه قال[١]. بينما النبي يصلي ﷺ في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال (وقال رجل

١- رواه البخاري(٤٨١٥).

مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨))[غافر :٢٨]

ومن جماعة المستهزئين:

العاص بن وائل السهمي القرشي ، والد عمرو بن العاص ، كان شديد العداوة لرسول اللهﷺ ، وكان يقول غر محمد أصحابه أن يحيوا بعد الموت ، والله ما يهلكنا إلا الدهر فقال الله رداً عليه في دعواه في سورة الجاثية (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٢٤)) [الجاثية ٢٤]

وكان عليه دينٌ لخبَابَ بنَ الأرت أحد رجال المسلمين ، فتقاضاه إياه ، فقال العاص أليس يزعم محمد هذا الذي أنت علي دينه أن في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ قال خباب: بلى قال فأنظرني إلي هذا اليوم فسأوتي مالاً وولداً ، وأقضيك دينك فأنزل الله فيه سورة مريم (أَفَرَءيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً (٧٨) كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً (٨٠)) [مريم:٧٧-٨٠]

ومن جماعة المستهزئين:

الأسود بن عبد يغوث الزهري القرشي ، من بني زهرة ، أخوال رسول الله ﷺ ، كان إذا رأى أصحاب النبيﷺ مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الأرض استهزاء بهم لأنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثّة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله ﷺ سخرية أما كلمت اليوم من السماء ؟ ومنهم الأسود بت عبد المطلب الاسدي ابن عم خديجة كان هو وشيعته إذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل في سورة المطففين (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١))[المطففين ٢٩-٣٢].

ومنهم الوليدَ بن المغيرة ، عم أبي جهل، كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش، سمع القرآن مرة من رسول الله ﷺ ، فقال لقومه بني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلي فقالت قريش صبأ والله الوليد ،

لتصبأن قريش كلها ، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه فتوجه وقعد إليه حزيناً وكلّمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟ وتزعمون أنه كذّاب عليه فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك: اللهم لا ثم قالوا فما هو؟ ففكر قليلاً ثم قال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ ، فأرتج النادي فرحاً فأنزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر مخاطباً لرسوله (ذَرْنِي ومن خَلَقْتُ وحِيدا (١١) وجعلْت لَه مالاً مَّمدودا (١٢) وبنِين شُهودا (١٣) ومهَّدتُّ له تمهيدا (١٤) ثُمَّ يطْمع أَن أَزِيد (١٥) كلاَّ إِنَّه كَان لآياتنَا عنِيدا (١٦) سأُرهِقُه صعودا (١٧) إِنَّه فَكَّر وقَدَّر (١٨) فَقُتِل كَيف قَدَّر (١٩) ثُمَّ قُتِل كَيف قَدَّر (٢٠) ثُمَّ نَظَر (٢١) ثُمَّ عبس وبسر (٢٢) ثُمَّ أَدبر واستكبر (٢٣) فَقَال إِن هَذَا إِلاَّ سحر يؤثَر (٢٤) إِن هذَا إِلاَّ قَول البشَرِ (٢٥) سأُصليه سقَر (٢٦)) [المدثر ١١-٢٦]

وانزل فيه في سورة القلم (ولا تطع كُلَّ حلاَّفٍ مَّهِينٍ) كثير الحلف وكفى بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف (مَّهِينٍ) حقير وأراد به الكذاب لأنه حقير في نفسه (همَّازٍ) عياب طعان (مَّشَّاءٍ بنَميم) بنقل الأحاديث للإفساد بين الناس (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيرِ معْتَدٍ أَثيمٍ (١٢) عتُلٍّ بعد ذَلك زنيم (١٣)) غلظ جاف دخيل (أَن كان ذا مال وبنين (١٤) إِذَا تتلَى عَليه آياتُنَا قَال أَساطِير الأَوَّلين (١٥) سنَسمه علَى الخُرطُومِ (١٦))[القلم ١٠-١٦] كناية عن الإذلال والتحقير ، لأن الوجه أكرم عضو والأنف أشرف ما فيه ، ولذلك اشتقوا منها كل ما يدل علي العظمة ، كالأنفة وهي : الحمية فالوسم علي أشرف عضو دليل الإذلال والإهانة.

ومن المستهزئين :

النَّضر بن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصي كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً للناس يحدثهم ويذّكرهم ما أصاب من قبلهم ، قال النضر : هلّموا يا معشر قريش فإني أحسن منه حديثا ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ، ويقول ما أحاديث محمد إلا أساطير الأولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومِنَ النَّاسِ من يشْتَرِي لَهو الحدِيثِ ليضِلَّ عن سبِيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلْمٍ ويتَّخذَها هزُوا أُولَئك لَهم عذَاب مُّهِين (٦) وإِذَا تتْلَى علَيه آياتُنا ولَّى مستَكبِرا كَأَن لَّم يسمعها كَأَنَّ في أُذُنَيه وقْرا فَبشِّره بِعذَابٍ أَلِيمٍ (٧))[لقمان:٦، ٧] وكل هؤلاء انتقم الله منهم ، كما قال تعالى في سورة الحجر (إِنَّا كفَينَاك المستَهزِئِين (٩٥) الَّذين يجعلُون مع اللَّه إِلَها آخَر فَسوف يعلَمون (٩٦)) [الحجر:٩٥، ٩٦]

وقد وضع جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لأن الآية مكية، وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة، فمنهم من قُتل كأبي جهل ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كأبي لهب ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة.

إسلامُ حمزة:-

وكان بعض إيذائهم هذا سبباً لإسلام عمه ﷺ حمزة بن عبد المطلب ، فقد أدركته الحمية عندما عيرته بعض الجواري بإيذاء أبي جهل لابن أخيه ، فتوجه إلي ذلك الشقي وغاضبه وسبه ، وقال كيف تسب محمداً وأنا علي دينه؟ ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناسِ إسلاماً ، وأشدهم غيرة علي المسلمين وأقواهم شكيمة علي أعداء الدين حتى سمي أسد الله .

وكما أُوذي الرسول ﷺ ، أُوذي أصحابه لاتباعهم له ، خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه ، وتردّ كيد عدوه عنه ، وكل هذا الأذى كان حلواً في أعينهم ما دام فيه رضاء الله ، فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتّهم الله حتى أتمّ أمره علي أيديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها ، كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص:٥] وقد حقق ما أراد.

ومن الذين أوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لأُمية بن خلف الجمحي القرشي ، فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه إلي الصبيان يلعبون به ، وهو يقول أحدٌ أحد لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهي الرمل الشديدة الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يؤمر بالصخرة العظيمة فتوضع علي صدره ، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللاّت والعزّى فيقول أحدٌ أحد.

مر به أبو بكر ﷺ يوماً فقال يا أمية أما تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى تعذبه؟ قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فاشتراه منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ) [الليل ١٤-٢١] بما يعطيه الله في الآخرة جزاء أعماله [١].

١- السيرة النبوية لابن هشام (٣٩٤/١).

وقد نبه الله عز وجل علي أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن إلا ابتغاء وجه ربه ، وكفى بهذا شرفا وفضلا للصديق ﷺ وأرضاه ، وقد أعتق غير بلال جماعة من الأرقاء أسلموا فعذبهم مواليهم ومنهم حمامة أم بلال ، وعامر بن فُهيرة كان يعذب حتى لا يدري ما يقول وأبو فُكيهة ، كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف ومنهم : إمراه تسمي زنيرة عذبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك إلا إيماناً ، وكان أبو جهل يقول : ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم ؟ لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا إليه أفتسبقنا زنيرة إلي رشد؟ ، فأنزل الله في سورة الاحقاف (وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ) [الأحقافَ :١١] وممن أعتق أبو بكر بعد شرائه أم عنيس ، كانت أمة لبني زهرةَ ، وكان يعذبها الأسود بن عبد يغوث .

وممن عُذب في الله :

عمار بن ياسر ، وأخوه ، وأبوه ، وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله ﷺ فقال (صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت) أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله وأما هو فثُقل عليه العذاب ، فقال بلسانه كلمة الكفر ، فإن أبا جهل كان يجعل له دروعاً من الحديد في اليوم الصائف ويلبسه إياها ، فقال المسلمون : كفر عمار ، فقال ﷺ (عمار مليء إيماناً من فرقه إلي قدمه) [1]. وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل:١٠٦]

وممَن أُوذي في الله :

خباب بن الأرت ، سبي في الجاهلية فاشترته أم أنمار ، وكان حداد وكان النبي ﷺ يألفه قبل النبوة ، فلما شرفه الله بها أسلم خباب ، فكانت مولاته تعذبه بالنار ، فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها علي ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك إلا إيماناً وجاء خباب مرة إلي رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة ، فقال يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد ﷺ محمراً وجهه فقال (إنه كان من قبلكم ليمشّط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمة من لحم وعصب، ويوضع المنشار علي فرق رأس أحدهم فيشّق ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير

١- رواه أبو نعيم في (الحلية)(١/١٣٩) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٠٧).

الراكب من صنعاء إلي حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب علي غنمه) [1]. قال ذلك ﷺ وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها أعقل العقلاء ، وأنبل النبلاء، قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة ، اللهم إلا أن ذلك وحي يوحى إليه ، ثم أنزل الله تعالى تثبيتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (الم أَحسِبَ النَّاسُ أَنْ يتركوا أَنْ يقُولُوا آمنَّا وهم لا يفْتنُون ولَقَدْ فَتنَّا الَّذين من قَبْلهم فَلَيعْلَمنَّ اللَّه الَّذين صدقُوا ولَيعْلَمنَّ الكَاذبين) [العنكبوت :١-٣]

وممن أُوذي في الله :-

أبو بكر الصديق ﷺ ولما اشتد عليه الأذى أجمع أمره علي الهجرة من مكة إلي الحبشة ، فخرج حتى أتى برك الغماد [2]. فلقيه ابن الدغنة (وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة) فقال إلي أين يا أبا بكر؟ فقال أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف ، وتعين علي نوائب الحق فأنا لك جار ، فأرجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل ابن الدغنة معه ، وطاف في أشراف قريش ، فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ويقري الضيف ، ويعين علي نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء الله ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن ، فأنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر.

فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتني مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن الكريم ، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن الكريم ، فأفزع ذلك أشراف قريش ، فأرسلوا إلي ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك علي أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فأبتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فأن أحب أن يقتصر علي أن يعبد ربه بفناء داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقربين لأبي بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة أبا بكر ، فقال لقد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن

١- رواه البخاري (٣٨٥٢)

٢- برك الغماد :- موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر .

تقتصر علي ذلك ،وإما أن ترجع إلي ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنّي أُخفرت من رجل عقدت له فقال أبو بكر فإني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله [1]. وكان ذلك سبباً لإيصال أذى عظيم إلي أبي بكر ﷺ .

وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ، ولكن كل ذلك ضاع سدي تلقاء ثباتهم وعظيم إيمانهم ، فإنهم لم يسلموا لغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل إرجاعهم ، ولكن وفقهم الله لإدراك حقيقة الإيمان فرأوا كل شيء دونه سهلا .

ولما رأى كفار قريش أن ذلك الأذى لم يجدهم نفعاً ، بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم ، اجتمعوا للشورى فيما بينهم ، فقال لهم عتبة بن ربيعة العشبمي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيدا مطاعا في قومه يا معشر قريش ، ألا أقوم لمحمد فأُكلمه وأُعرض عليه أموراً علّه يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ؟ فقالوا : يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه فذهب إلي رسول الله ﷺ وهو يصلي في المسجد ، وقال يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فأسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها فقال ﷺ (قُل يا أبا الوليد أسمع) .

فقال يا ابن أخي ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ،وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيساً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع علي الرجل حتى يداوي فقال ﷺ لقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال ﷺ (فأسمع مني) فقرأ رسول الله ﷺ أول سورة فصلت : بسم الله الرحمن الرحيم (حم (١) تنزيل من الرَّحمن الرَّحيم (٢) كتاب فُصّلت آياته قُرآناً عربياً لّقوم يعلمون (٣) بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (٥) قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون (٧) إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٨) قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في

١- رواه البخاري (٢٢٩٧ ، ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩)

يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين (٩) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (١٠) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١) فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (١٢) فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (١٤)) [فصلت ١-١٤]

فأمسك عتبة بفمه ، وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ، فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر ، يا معشر قريش أطيعونى فاجعلوها لي ، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر علي العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال هذا رأيي [١]. ثم عرضوا عليه بعد ذلك أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته فأنزل الله تعالى في ذلك (قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٣) ولا أنا عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين(٦))[الكافرون ١-٦] فلا تتوهموا أني أجيبكم لطلبكم من الإشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن الكريم ما يغيظهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره أو يبدله ، فأنزل الله جوابا لهم في سورة يونس (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) [يونس:١٥] وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضاء به ، وهو أنه بينما رسول اللهﷺ مع كبراء قريش وأشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن الكريم وما جاء به من الدين إذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى وهو ممن أسلموا قديما – والنبي مشتغل بالقول ، وقد لقى منهم مؤانسة حتى طمع في إسلامهم فقال له عبد الله : يا رسول الله ، علمني مما علمك الله وأكثر عليه القول ، فشق ذلك علي الرسولﷺ ، وكره قطعه لكلامه ، وخاف ﷺ أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الأشراف ، فأعرض عنه فعاتبه الله علي ذلك بقوله أول

١- رواه البيهقي في الدلائل (٧٥/١) .

سورة عبس (عبس وتولّى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك لعلّه يزّكّى (٣) أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى (٤) أمّا من استغنى (٥) فأنت له تصدّى (٦) وما عليك ألاّ يزّكّى (٧) وأمّا من جاءك يسعى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهّى (١٠)) [عبس:١-١٠] فما عبس رسول الله ﷺ بعدها في وجه فقير ، وكان إذا أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له (مرحبا بكن عاتبني فيه ربي)[١].

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التي يعرفونها لا تُقبل منهم أرادوا أن يدخلوا في باب آخر ، وهو تعجيز الرسول ﷺ بطلب الآيات ، فأجتمعوا ، وقالوا يا محمد إن كنت صادقا فأرنا آية نطلبها منك وهي أن تشق لنا القمر فرقتين ، فأعطاه الله هذه المعجزة ، وانشّق القمر فرقتين فقال رسول الله ﷺ (اشهدوا) [٢]. وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الأولين رويت عنه من طرق كثيرة ، ورواها عبد الله بن عباس وغيره ، ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمتواتر وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى في أول سورة القمر (اقْتَربت السَّاعةُ وانشقَّ القمر (١)) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركمَ بن أبي كبشة ، فأنزل الله فيهم (وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مُّستمرٌّ (٢)) [القمر١، ٢] ثم سألوا الرسولﷺ بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك إلا التعنت والعناد ، فمنها أن قالوا كما في سورة الإسراء (وقالوا لن نُّؤمن لك حتَّى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩٠) أو تكون لك جنَّةٌ من نَّخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا (٩١) أو تسقط السَّماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٢) أو يكون لك بيت من زُخرُفٍ أو ترقى في السَّماء ولن نُّؤمن لرقيك حتَّى تنزّل علينا كتابا نَّقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلاَّ بشرا رَّسولا (٩٣))[الإسراء ٩٠-٩٣] ، ولم يجبهم الله إلا بقوله (قل سبحان ربي هل كنت إلاَّ بشرا رَّسولا (٩٣))[الإسراء :٩٣]لأن الله علم ما تكنّه جوانحهم من التعصب والعناد فما يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره في سورة الأنعام (وأقْسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليؤمنُنَّ بها قُل إنَّما الآيات عند الله وما يشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩)) [الأنعام :١٠٩] ، وكيف يرجي الخير ممن قالوا كما في سورة الأنفال (وإذْ قالوا اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السَّماء أو

١- رواه الترمذي (٣٣٣١) وابن حبان (١٧٦٩) ، والحاكم (٥١٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني في (صحيح الترمذي) صحيح الأسناد.

٢- البخاري (٤٧٦٧) ، ومسلم (٢٩٥٠).

ائْتنَا بعذَابٍ أَليم (٣٢))[الأنفال :٣٢] ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق من عندك فأهدنّا إليَه وهَذهُ سنّة من سنن الأنبياء إذا رأوا من طلاب الآيات عناداً ، وإنهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله إنفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الإسراء (ومِا منَعنَا أَن نُرسل بالآيات إلاَّ أَن كذَّب بها الأَوَّلُون وآتَينَا ثَمود النَّاقَةَ مبصرةً فَظَلَموا بها وما نرسل بالآيات إلاَّ تخويفاً (٥٩))[الإسرَاء ٥٩] وقد حصل للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس طلب منهَ آية فلم يجبه إلي طلبه، فلما رأى ذلك سخر منه ورده إلي عدوه بيلاطس بعد أن كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه ، وذلك مذكور من الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل لوقا ، هذا ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا إلي سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عندما عجزوا عنه حيث قالوا (قَالُوا حرقُوه وانصروا آلهتكم إن كُنتُم فَاعلين (٦٨)) كما في سورة الأنبياء (٦٨) أما هؤلاء فأزدادوا بالأذى علي كل منَ أسلم رجاءَ صدهم عن اتباع الرسول ﷺ ، ولم يتركوا باباً إلا ولجوه فقال ﷺ لأصحابه (تفرقوا في الأرض ، فإن الله سيجمعكم) فسألوه عن التوجه فأشار إلي الحبشة[1].

١- "البداية والنهاية" لابن كثير (٦٦/٣) .

الفصل الرابع

هجرات الرسول ﷺ

هجرة الحبشة الأولى :-

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار ﷺ ، وهذه هي أول هجرة من مكة ، وعدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة ، وهم : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة ، وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم ، وزوجه أم كلثوم ، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، ومصعب بن عمير ، وسهيل بن البيضاء ، والزبير بن العوام ، وجلّهم من قريش ، وكان عليهم – فيما روى بن هاشم – عثمان بن مظعون ، فساروا علي بركة الله ، ولما انتهوا إلي البحر ، استأجروا سفينة أوصلتهم إلي مقصدهم ، فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا القليل [1].

إسلامُ عمر :-

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي بعدما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم قالت ليلى إحدى المهاجرات لأرضِ الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب ﷺ من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما ركبت بعيري أريد أن اتوجه إلي أرض الحبشة إذا أنابه ، فقال لي إلي أين يا أم عبد الله ؟ فقلت قد آذيتمونا في ديننا، نذهب في ارض الله حيث لا نؤذى ، فقال صحبكم الله فلما جاء زوجي عامر أخبرته بما رأيت من رقّة عمر ، فقال ترجين أن يسلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدته علي المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى ﷺ ، فإنه قال قبيل إسلامه (اللهم أعزّ الإسلام بعمر) [2].

وكان إسلامه في دار الارقم بن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله بإسلامه ما رجاه ﷺ ، فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر فإنه طلب من رسول الله ﷺ أن يعلن صلاته في المسجد ففعل وقد أدرك

١- "السيرة النبوية" لأبن هشام (٤١٣/١).

٢- رواه الترمذي (٣٦٨١).

الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم ، وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه ، فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بن عدي قوم عمرو عليه حلّة حبره ، وقميص مكفوف بحرير ، فقال لعمر ما بالك؟ فقال زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت قال لا سبيل إليك فأنا لك جار ، فأمن عمر ، وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي ، فقال أين تريدون ؟ قالوا نريد هذا – ابن الخطاب – الذي صبأ قال لا سبيل إليه فرجع الناس من حيث أتوا[1].

رجوع مهاجري الحبشة :-

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا إلي مكة حيث لا تتيسر لهم الإقامة فيها لأنهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الأنس وأضف إلي ذلك أنهم أشراف قريش ومعهم نساؤهم ، وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة ، وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سبباً في رجوع مهاجري الحبشة وهي أنه بلغهم إسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم وتكلم فيها كلاما حسنا عن آلهتهم حيث قال بعد (أَفَرَأَيتُم اللاَّتَ والْعزَّى (١٩) ومنَاةَ الثالثَةَ الأُخْرى (٢٠))[النجم١٩، ٢٠]

تلك الغرانيق (جمع غرنوق وهَي الطيور ويراد بها الملائكة) العلي وإن شفاعتهن لترتجي فسجدوا إعظاما لذلك وفرحا وهذا مما لا تجوز روايته إلا من قليلي الإدراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير مثبتين من صحته ، وها نحن أولاء نسوق لك أدلة النقل والعقل علي بطلان ما ذكر ، أما الحديث فسنده ومتنهقولان ، فالسند قال فيه القاضي عياض من كتابه (الشفا) لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم ، وأما المتن فليس أصحاب رسول الله ﷺ ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم، فبعد ذكر الأصنام قال (إِنْ هِي إِلاَّ أَسماءٍ سمَّيتموها أَنتم وآباؤُكم مَّا أَنزَل اللَّه بها من سلْطَانٍ إِن يتَّبعون إِلاَّ الظَّنَّ وما تهَوى الأَنفُس ولَقَدْ جاءهم من رَّبهِم الهدى (٢٣))[النجم ٢٣] فالكلام غير منتظم ، ولو كان ذلك قد حصل لا تخذه الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهذه؟

١- رواه البخاري (٣٨٦٤، ٣٨٦٥).

وليس ذلك القيل أقل من تحويل القبلة إلي الكعبة المشرفة ، وهنا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وأنزل فيهم في سورة البقرة (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢))[البقرة ١٤٢] ولكن لم يسمع عن أي واحد من رجالاتهم والمتصدرين العناد منهم أن قال مالك ذممت آلهتنا بعد أن مدحتها ؟ وكان ذلك أولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال علي أن المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سببا لرجوع مهاجري الحبشة يقولون أثناء كلامهم إن الهجرة كانت في رجب ، والرجوع كان في شوال ، ونزول سورة النجم كان في رمضان ، فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد ، والمتأمل أدنى تأمل يرى أن الشهر كان لا يكفي في ذاك الزمن للذهاب من مكة إلي الحبشة والإياب منها لأنه لم يكن إذ ذاك مراكب بخارية تسهل السير في البحر ، ولا تلغراف يوصل خبر إسلام قريش لمن بالحبشة ، فلا غرابة بعد ذلك إن قلنا إن هذه الخرافة من موضوعات أهل الأهواء الذين إبتلى الله بهم هذا الدين ، ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفترٍ كذاب ففي السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى (٣))[النجم:٣] والذي يلقيه الشيطان من أقبح ما يروي فكيف يقول ﷺ أو يجري علي لسانه مما يثبت الشكوى في الوحي ؟ الأمر الذي يريده السفهاء رد الله كيدهم في نحرهم وتدبيرهم في تدميرهم والذي ورد في الصحيح (١).

في موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله بن مسعود : أن النبي ﷺ قرأ (والنَّجْمِ) فسجد ، وسجد من كان معه إلا رجلاً أخذ كفّاً من حصى وضعه علي جبهته وقال يكفيني هذا ، فرأيته قُتل بعد كافراً وليس في هذا الحديث أدنى دلالة علي أن الذين سجدوا معه هم مشركون ، بل الذي يفيده قوله : فرأيته قُتل بعد كافراً أنه كان مسلماً ثم لأتيه ارتد وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الأذى فكفروا ، منهم علّي بن أمية بن خلف هذا ، ولما رجع مهاجروا الحبشة إلي مكة لم يتمكن من الدخول إليها إلا من وجد له مجيراً ، فدخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ، ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وقد رد عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين ، فلم ير أن يكون مرتاحاً وإخوانه معذبون.

١- رواه البخاري (١٠٦٧، ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٤٨٦٣) ومسلم (٥٧٥).

كتابة الصحيفة :-

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش ، عرضوا علي بني عبد مناف الذين منهم الرسول ﷺ، دية مضاعفة ويسلمونه ، فأبوا عليهم ذلك ، ثم عرضوا علي أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ، ويسلم إليهم ابن أخيه ﷺ ، فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغزوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ فلما رأوا ذلك اجمعوا أمرهم علي منابذة بني هاشمٍ وبني المطلب ولدى عبد مناف وإخراجهم من مكة ، والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ، ولا يتتابعون منهم حتى يسلموا محمداً ﷺ للقتل (فداك أبي وامي يا رسول الله) وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة المشرفة ، فأنحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ، ودخل معهم بنوعيد المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا أبا لهب فإنه كان مع قريش ، وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ، ونوفل ابني عبد مناف ، فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر ، وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب [1].

هجرة الحبشة الثانية :-

بعد دخول الرسول ﷺ وقومه الشّعب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا للحبشة حتى يساعد بعضهم بعضاً علي الاغتراب ، فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة ، وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزجه أسماء بنت عميس ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وعبيد الله بن جحش ، وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الأشعريون أبو موسى وبنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا إلي النجاشي ليسلم المسلمين ، فرجعا شر رجعة ، ولم ينالا من النجاشي إلا إهانةً لما خاطبوه به من إخفار ذمته في قوم لاذوا به [2] ، أما بنو هاشم فمكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام إلا خفية .

١- دلائل النبوة للبيهقي (٢/٨٠-٨٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٣-٧٢).

٢- البخاري (٣٨٧٦).

نقض الصحيفة :-

قد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث العامري ، وهم أعظمهم في ذلك بلاء ، وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عمه الرسول – عاتكة– والمطعم بن عدي النوفلي ، وأبو البختري بن هشام الأسدي ، وزمعة بن الأسود الأسدي ، واتفقوا علي ذلك ليلا ، فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلّة ، فطاف بالبيت ثم أقبل علي الناس ، فقال يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكي لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحية الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لأبي جهل أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البختري صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك وصدق علي ما قبل هشام بن عمرو فقام إليها المطعم بن عدي فشقها وكانت الأرضة قد أكلتها فلم يبق فيها إلا ما فيه اسم الله ، وقد أخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر ، فخرج القوم إلي مساكنهم بعد هذه الشدة [1].

وفود نجران :-

قد وفد علي الرسول ﷺ بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة ، فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم، وكانوا عشرين رجلا أو قريبا من ذلك ، فقرأ عليهم القرآن الكريم ﷺ فآمنوا كلهم ، فقال لهم أبو جهل ما رأينا ركبا أحمق منكم ، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم ، لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه ، فأنزل الله عز وجل في ذلك قوله تعالى في سورة القصص ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾ [القصص٥٢-٥٥] وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ﷺ ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة ، رموه بالسحر مرة ، وبالكذب أخرى ، وبالجنون طورا ، وبالكهانة تارة ، كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده أن يقول ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن

١- "السيرة النبوية "لابن كثير (٢/٤٣٣-٥٠) (٦٧-٦٩).

كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢))[الأنفال ٣٢]

وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها :-

بعد خروجه ﷺ من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه ﷺ رضي الله عنها ، وكان ﷺ كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها ، ولا غرابة فهي أول نفس زكية صدقت رسول الله ﷺ فيما جاء به عند ربه ، وقد جاء منها بأولاده ﷺ كلهم ما عدا ابراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته ﷺ تزوجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع ، وأعقب منها أُمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ، ومنهما رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر إلي الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها رضي الله عنهما جميعاً آل البيت ، ومنها فاطمة رضي الله عنها وهي أصغر بناته ﷺ تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا صغاراً ولم يعشِ بعد رسول الله ﷺ من أولاده إلا فاطمة (رضي الله عنها وعن أبيهاﷺ) عاشت بعده قليلاً ولما توفيت خديجة (رضي الله عنها) حزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ﷺ ومحاجزة الكفار عنه لما لها من الجاه والسلطان في عشيرتها بني أسد ، ومنها القاسم وكان به يكنّى رسول الله ﷺ وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر [1]. (رضي الله عنهم جميعاً وعن أبيهم ﷺ)

زواج السيدة سودة رضي الله عنها :-

عقد ﷺ في الشهر الذي ماتت فيه خديجة (رضي الله عنها) علي سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفى عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها (رضي الله عنها) وهاجرت مع زوجها إلي الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفى عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول ﷺ بزوج رجل آمن به ، ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الإسلام لفتنوها وكرم نسبها في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً .

١- السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/١٨٤).

زواج السيدة عائشة رضي الله عنها :-

بعد ذلك بشهر عقد علي عائشة بنت صديقه أبي بكر وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج ﷺ بكراً غيرها ، ودخل عليها بالمدينة ، أما سودة فدخل ﷺ عليها بمكة المكرمة .

وبعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) بنحو شهر ، توفى عمه ﷺ أبو طالب ، الذي كان يمنعه من أذى أعدائه ومع أنه كان لا يكذب رسول الله ﷺ فيما جاء به ، بل يعتقد صدقه لم ينطِقِ بِالشهادتينِ حتى آخرِ لحظة مِن حياته ، وفيه نزل في سورة القصص(إِنَّكَ لاَ تَهْدِي من أَحببت ولَكنَّ اللَّه يهدي من يشَاء وهو أَعلَم بِالْمهتدين (٥٦))[القصص٥٦] ولكن لأعماله العظيمة التيَ عملها مَع رسول الله ﷺ نرجو أَن يخَفف عنه ، وعدم إسلامه هو وغالب أقارب الرسولِ فيه من الحكمة ما لا يخفى ، فإنهم لو بادروا باتباعه ﷺ لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسألهم فجاءوا بهذا الأمر المفتري ، ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه ﷺ هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته ﷺ بل من أعدائها أحياناً ، كعثمان بن عفان من بني أمية ، لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها ، اللهم إلا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة من قولهم : ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب ، وقد سمى رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه (عام الحزن) [1].

ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم يمكنها نيله في حياة أبي طالب ، واشتد الأمر عليه ﷺ حتى كانوا ينثرون التراب علي رأسه وهو سائر ﷺ ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته ﷺ ، (فداك أبي وأمي يا رسول الله) وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونه ويقولون له أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ فما تقدم أحد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف والوهن إلا الصديق ﷺ أبو بكر فأنه تقدم وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟!

١- لم يثبت عن النبي ﷺ تسمية العام الذي فقد فيه زوجه وعمه (عام الحزن).

هجرة الطائف :-

فلما رأى ﷺ استهانة قريش به أراد أن يتوجه إلي ثقيف بالطائف [1]. يرجو منهم ﷺ نصرته علي قومه ومساعدته وأذره حتى يتمم أمر ربه ، لأنهم أقرب الناس إلي مكة وله فيهم خؤولة ، فإن أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلّمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف ، فلما توجه ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة :- عبد ياليل ومسعود وحبيبٍ أولاد عمرو بن عميرٍ الثقفي ، فعرض عليهم نصرته حتى يؤدوا دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ، ولم ير منهم خيراً ، وحينذاك طلب منهم ألا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لأنه استعان عليهم بأعدائهم[2]، فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم ﷺ، بل أرسلوا سفاءهم ، وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونه بالحجارة ، حتى أدموا عقبه ، (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله) ، وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه إلي أن انتهى إلي شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبةٍ ابني ربيعة وهما من أعدائه ، وكانا في البستان فكره رسول الله ﷺ مكانهما فدعا الله قائلاً (اللهم إني اشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلي من تكلني ، إلي بعيد يتجهمني ، أم إلي عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي .....) فلما رآه ﷺ ابنا ربيعة رقّا له وأرسلا إليه بقطفٍ من العنب مع مولى لهما نصراني لهما اسمه عداس فلما ابتدأ رسول الله ﷺ يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عداسٍ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له ﷺ من أي البلاد وما دينك ؟ فقال نصراني من نينوي (هي بلد علي شاطئ دجلة ، وهي آخر ما ينتهي إليه العراق وأمامها مدينة الموصل) فقال له ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متىٍ؟ قال وما علمك بيونس؟
فقرأ له ﷺ من القرآن ما فيه قصة يونس ، فلما سمع ذلك عداس أسلم[3]وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره ، وقال إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك ، فقال ﷺ (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) [4]فقال جبريل صدق من سماك الرؤوف الرحيم.

١- بلد في الجنوب الشرقي من مكة.

٢- لم تكن عداوة بين ثقيف وقريش.

٣-صحيح السيرة النبوية ص(١٣٦-١٣٧) .

٤-رواه البخاري (٣٢٣١، ٧٣٨٩) ومسلم (١٧٩٥) .

ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن وهم ممن ينتمون إلي موسى صلوات الله عليه ، فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا إلي قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله ﷺ وفيهم نزل في سورة الأحقاف (وإذْ صرفْنا إليكَ نفراً من الجنِ يستمعون القُرْآن فلَمَّا حضروه قالُوا أنصتوا فلَمَّا قُضي ولَّوا إلى قومهم مُنذرين (٢٩) قالُوا يا قومنا إنَّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مُستقيم (٣٠) يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لاَّ يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مُّبين (٣٢)) [الاحقاف ٢٩-٣٢] وقد قص الله قصة الجنَ بعبارةَ أطولَ في سورةٍ سميت باسمهم أولها (قُلْ أُوحي إليَّ أنَّه استمع نفرٌ من الجنّ فقالُوا إنَّا سمعنا قُرْآناً عجباً (١) يهدي إلى الرُّشْد فآمنَّا به ولن نُّشرك بربنا أحدا (٢))[الجن ١، ٢] [١].

الاحتماء بالمُطعم بن عدي :-

لما رجع ﷺ من الطائف هكذا لم يتمكن من دخول مكة ، لما علمه كفار قريش من أنه توجه إلي الطائف يستنصر بأهلها عليهم ، فأرسل ﷺ إلي المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخيره أنه سيدخل مكة في جواره فأجاب إلي ذلك وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع رسول الله ﷺ إلي المطاف ، فقال له بعض المشركين أمجير أنت أم تابع ؟ فقال بل مجير قالوا إذن لا تخفر ذمتك[٢].

وفدُ دوس :-

قدم علي رسول الله ﷺ وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي ، من قبيلة دوس ، عشيرة أبي هريرة الصحابي الشهير ، وكان الطُفيل شريف في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن الكريم أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ (اذهب إلي قومك فأدعهم إلي الإسلام ، ودعا لهم رسول الله ﷺ فقال (اللهم أهد دوسا) [٣] فتوجه إليهم الطُفيل ودعاهم فآمن بدعوته كثير منهم وستأتي وفادته علي الرسول ﷺ مرة ثانية بقومه في المدينة .

١-رواه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) ، والنسائي (١٦٢٤) ، وأحمد (٢٢٧١) .

٢-زاد المعاد (٤٧/٢) .

٣-رواه البخاري (٢٩٣٧، ٤٣٩٢)ومسلم (٢٥٢٤) .

الإسراء والمعراج[1]:-

قبل الهجرة أكرمه الله بالإسراء والمعراج ، أما الإسراء فهو توجهه ﷺ ليلاً إلي بيت المقدس بإيلياء ورجوعه ﷺ من ليلته ، وأما المعراج فهو صعوده ﷺ إلي العالم العلوي ، وقد قال جمهور أهل السنة إن ذلك كان بجسمه الشريف ﷺ ، وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله ﷺ ربه ، وتقول من قال إن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية علي الله ، والإسراء مذكور في القرآن الكريم قال تعالى في أول سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١))[الإسراء: ١] .

وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة ، وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان ونقله القاضي عياض في كتابه (الشفا) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلي السماء ، فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا بآدم ، فرحب بي ، ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، وقيل من معك ؟ قال محمد ﷺ ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث الله إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا ودعوا لي بخير ثُم عرج بنا إلي السماء الثالثة فذكر مثل الأول ، ففتح لنا وإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن.

فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الرابعة فذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى في سورة مريم (وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً (٥٧))[مريم ٥٧] ثم عرج بنا إلي السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلي البيت المعمور ، وإذا

١-رواه البخاري (٣٨٨٦، ٣٨٨٧، ٤٧١٠)ومسلم (١٧٠) .

هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلي سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال [1] فلما غشيها من أمر ربي ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلي ما اوحى ، ففرض علي وعلي أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلي موسى ، فقال ما فرض ربك علي أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ؟ قال ارجع إلي ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت إلي ربي ، وقلت له يا ربي خفّف عن أمتي فحط عني خمساً ، فرجعت إلي موسى ، فقلت : حط عني خمساً ، قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فأرجع إلي ربك فسله التخفيف ، قال فلم أذل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد ، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة ، فال نزلت حتى انتهيت إلي موسى فأخبرته فقال ارجع إلي ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت إلي ربي حتى استحييت منه.

ثم رجع ﷺ من ليلته، فلما أصبح غدا إلي نادي قريش ، فجاء إليه أبو جهل بن هشام فحدثه رسول الله ﷺ بما جرى له ، فقال أبو جهل يا بني كعب بن لؤي ، هلموا ، فأقبل عليه كفار قريش ، فأخبرهم الرسول ﷺ الخبر فصاروا بين مصفقٍ وواضع يده علي رأسه تعجباً وإنكاراً وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب.

وسعى رجال إلي أبي بكر ﷺ فقال : إن قال ذلك ﷺ فقد صدق قالوا أتصدقه علي ذلك قال إني لأصدقه علي أبعد من ذلك ، فسمي من ذلك اليوم صديقاً ، ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله ﷺ فسألوه نعت بيت المقدس وفيهم رجالٍ رأوه رأيِ العين أما رسول الله ﷺ فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه له ، فصار يصفه لهم باباً باباً وموضعاً فقالوا : أما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عير قادمة من الشام ، فأخبرهم ﷺ بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت ، فقال وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يزدهم ذلك إلا كبراً وعناداً ، حتى قالوا هذا سحر مبين.

١-القلال: جمع قلة : وعاء .

وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعلّم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها فيصلي ركعتين إذا ظهر الفجر، وأربع ركعات إذا زالت الشمس ومثلها إذا ضوعف ظل الشيء ، وثلاثاً إذا غربت ، وأربعاً إذا غاب الشفق الأحمر ، وكان ﷺ قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحا ، ومثلهما مساء كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام.

العرض علي القبائل :-

لما رأى رسول الله ﷺ انه يجد من قريش منعة من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة علي قلوبهم ، أراد الله أن يظهر أمر الدين علي أيدي غيرهم من العرب ، فكان ﷺ يخرج في المواسم العربية وهي أسواق كانت العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة ويعرض ﷺ نفسه علي القبائل حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم يرد رداً جميلاً ، وآخرون رداً قبيحاً ، وكان من أقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب ، وطلب منه بنو عامر إن هم آمنوا به أن يجعل بهم أمر الرياسة من بعده ، فقال لهم (الأمر لله يضعه حيث يشاء) وكانوا من الذين يحجون البيت عرب يثرب ، وهي مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان إحداهما من ولد الأوس ، والثانية من ولد الخزرج وهما اخوان وكان بين أولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع اوزارها بين الفريقين ، فكانوا دائماً في شقاق ونزاع ، وكان يجاورهم في المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وبنو النقير وكان لهم الغلبة علي يثرب أولا، فحاربهم العرب حتى صاروا ذوي النفوذ فيها والقوة ، وكانوا اليهود إذا خذلوا يستفتحون علي أعدائهم باسم بني يبعث قد قرب زمانه.

ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الألفة ، حالفوا اليهود علي أنفسهم، فحالف الأوس بني قريظة ، وحالف الخزرج بني النضير وبني قينقاع ، وآخر الأيام بينهم يوم بعاث قتل فيه أكثر رؤسائهم ولم يبق إلا عبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج وأبو عامر الراهب من الأوس ، ولذلك كانت عائشة تقول : كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسول الله ﷺ [1].

١-رواه البخاري (٣٧٧٧، ٣٨٤٦، ٣٩٣٠) .

وقد خطر ببال رؤساء الأوس أن يحالفوا قريشاً علي الخزرج ، فأرسلوا إياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف في قريش ، فلما جاءوا مكة جاءهم رسول الله ﷺ وقال (هل لكم في خير مما جئتم له ؟ أن تؤمنوا بالله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وقد أرسلني الله إلي الناس كافة) ثم تلا عليهم القرآن الكريم ، فقال إياس بن معاذ ، يا قوم هذا والله خير مما جئنا له ، فصحبه أبو الحيسر وقال له : دعنا منك لفد جئنا لغير هذا فسكت .

بدء إسلام الأنصار :-

لما جاء الموسم تعرض رسول الله ﷺ لنفر منهم يبلغون الستة ، وكلهم من الخزرج وهم أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث من بني النجار ، ورافع بن مالك من بني زريق وقطبة بن عامر من بني سلمة وعقبة بن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من نبي عبيد بن عدي ، ودعاهم إلي الإسلام وإلي مؤازرته في تبليغ رسالة ربه ، فقال بعضهم لبعض : إنه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فآمنوا به وصدقوه ، وقالوا : إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ووعده المقابلة في الموسم المقبل ، وهذا هو بدئ الإسلام لعرب يثرب [1].

١-البداية والنهاية (٣/١٤٨-١٤٩) ، والسيرة الصحيحة (١/١٩٧) .

الباب الثالث
بداية الانتصار وتفريج الكُربة
الفصل الأول
الهجرة إلي المدينة المنورة

العقبة الأولي:

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً، منهم عشرة من الخزرج ، واثنان من الأوس، وهم أسعد بن زرارة ، وعوف ومعاذ ابنا الحارث ، ورافع بن مالك ، وذكوان بن قيس، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عبادة ، وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء من الخزرج ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة وهما من الأوس ، فاجتمعوا به عند العقبة ، وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ علي بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، علي ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم خشية إملاق ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم و أرجلهم ولا يعصونه في معروف فإن وفُوا فلهم الجنة ، وإن غشو من ذلك شيئا فأمرهم إلي الله عز وجل إن شاء غفر و إن شاء عذب [1] وهذه هي العقبة الاولي.

فأرسل لهم ﷺ مصعب بن عمير العبدري وعبد الله ابن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة (رضي الله عنها ورحمها واسكنها الفردوس الأعلي من الجنان) يقرآنهم القرآن يفقهم في الدين ونزل مصعب علي أحد المبايعين أبي أمامة أسعد بن زرارة ، وصار يدعو بقية الأوس والخزرج للإسلام وبينما هو في بستان مع أسعد بن زرارة إذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس لأُسيد بن حضير بن عم سعد ، ألا تقوم إلي هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما ؟ فقام لهما أسيد بحربته ، فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع ؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن الكريم فاستحسن دين الإسلام ؟ وهداه الله له فشهد ورجع إلي سعد فسأله عما فعل ؟ فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب

١-رواه مسلم(١٧٠٩)

سعد وقام لهما مغيظاً ففعل معه مصعب كسابِقة فهداه الله للإسلام ورجع لرجال بني عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتي تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه، وقد انتشر الإسلام في دور يثرب حتي لم يكن بينهم حديث إلا أمر الإسلام[1].

العقبة الثانية[2] :

لما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الأولي ، قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج ، وبينهم كثير من مشركيهم ،ولما قابل وفدهم رسول الله ﷺ واعدوه المقابلة ليلا عند العقبة ، فأمرهم ﷺ ألا ينبهوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً ، لأن كل هذه الأعمال كانت خُفية من قريش كيلا يطلعوا علي الأمر ، فيسعوا في نقض ما أبرم ، شأنهم مع رسول الله ﷺ في أول أمره ، ولما فرغ الأنصار من حجهم توجهوا إلي موعدهم كاتمين امرهم عمن معهم من المشركين ، وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الأول ، فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتي تم عددهم ثلاثة وسبعين رجلا ، منهم اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت كعب من بني النجار ، وأسماء بنت عمرو من بني سلمة وواثقهم رسول الله ﷺ هناك وليس معه إلا عمه ﷺ العباس بن عبد المطلب وهو علي دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له ، فلما اجتمعو عرفهم العباس بأن ابن اخيه لم يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء ، وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ، ثم قال لهم : إن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فدعوه بين عشيرته فأنه لبمكان عظيم فقال كبيرهم المتكلم عنهم البراء بن معرور: و الله لو كان لنا في انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله ﷺ وعند ذلك قالوا لرسول الله ﷺ خذ لنفسك ولربك ما أحببن فقال (أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم متي قدمت عليكم) فقال لهم أبو الهيثم بن التيهان يا رسول الله ﷺ إن بيننا و بين الرجال عهودا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلي قومك وتدعنا؟ فتبسم ﷺ وقال (الدم الدم و

١- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٤٤١/١) .

٢- السيرة النبوية الصحيحة (١٩٩/١) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٦١/٢).

الهدم والهدم) أي إن طالبتم بدم طالبت به إن أهدرتموه أهدرته. وحينذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية ، فبايعه الرجال علي ما طلب و أول من بايع أسعد بن زرارة ، وقيل البراء بن معروم ، ثم تخير منهم اثني عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وهم أبو الهيثيم بن التيهان وأسعد بن زرارة وأسيد بن حضير ، والبراء بن معرور ورافع بن مالك وسعد بن خثيمة وسعد بن الربيع وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت و المنذر بن عمرو ثم قال لهم (أنتم كفلاء علي قومكم ككفالة الحواريين لعيسي ابن مريم ، و أنا كفيل علي قومي)

ولأمر أراده الله بلغ خبر هذه البيعة فسار مشركي قريش فجاءوا ودخلوا شعب الانصار، وقالو يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه علي حربنا فأنكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شيء منهم في ليلتهم وعبد الله بن أُبي كبير الخزرج يقول ما كان قومي ليفتاتوا علي بشيء من ذلك.

هجرة المسلمين الي المدينة :

لما رجع الأنصار إلي المدينة ظهر بينهم الإسلام أكثر من المرة الأولي أما رسول اللهﷺ وأصحابه فازداد عليهم أذي المشركين لما سمعوا أنه حالف قوماً عليهم، فأمر ﷺ جميع المسلمين بالهجرة إلي المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش أن تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمه ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فلحقت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتي صاروا لا يعبأون بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم ما دام في ذلك رضا الله ورسوله ، ولم يبقي بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له ﷺ علي رِسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال نعم فحبس أبو بكر نفسه علي رسول اللهﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعداداً لذلك.

دار الندوة:

أما قريش فكأنهم أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق مسامعهم مبايعة الأنصار له علي الذّود عنه حتي الموت، فاجتمعٍ رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها تشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه ، فقال قائل منهم لنخرجه من أرضنا كي نستريح منه ، فرفض هذا الرأي لأنهم قالوا : إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال أخر نوثقه ونحبسه حتي يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت ، فرفض هذا الرأي كسابقه لأنهم قالوا إن الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ، ونحن أدري الناس عن دخل في دينه حيث يفضلونه عن الآباء والأبناء ، فإذا سمعوا ذلك جاءوا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنيٍ عنه وقال لهم طاغيتم بل نقتله ولنمنع بني أبيه من الأخذ بثأره ، نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون أمام داره ﷺ ، فإذا خرج ﷺ ضربوه ضربة رجل واحد، (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول اللهﷺ) فيفرق دمه ﷺ في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف علي حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية ، فأقروا هذا الرأي ، هذا مكرهم ، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة (وإذْ يمكر بك الّذين كفروا ليثْبتُوك أَو يقْتلُوك أَو يخْرجوك ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين (٣٠))(الأنفال:٣٠) فأعلم نبيه بما دبره الأعداء في سرهم ، وأمره باللحاق بدار هجرته ، بدار فيها ينشر الاسلام سيكون فيها لرسول الله ﷺ العزة و المنعة[١].

وهذا من الحكمة بمكان عظيم فإنه لو انتشر الإسلام بمكة لقال المبغضون إن قريشاً أرادوا ملك العرب ، فعمدوا إلي شخص منهم ، وأوعزوا إليه أن يدعي هذه الدعوي حتي تكون وسيلة لنيل مآربهم ولكنهم كانوا له أعداء ألداء أذوه شديد الأذي حتي اختار الله له مفارقة بلادهم والبعد عنهم.

١- البداية و النهاية (١٨١/٣) ، وفتح الباري (٢٣٦/٧).

هجرة المصطفي ﷺ :

فتوجه ﷺ من ساعته إلي صديقه أبي بكر ﷺ ، وأعلمه أن الله قد أذن له في الهِجرة فسأله أبو بكر الصحبة ، فقال :ﷺ نعم ثم عرض عليه احدي راحتيه اللتين كانتا معدتين لذلك ، فجهزاهما أحثّ الجهاز ، وصنعت لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها (رضي الله عنها و عن أبيها وعن صحابة رسول الله ﷺ جميعاً) وربطت به علي فم الجراب ، واستأجرا عبد الله بن أُريقط من بني الديل ابن بكر ، وكان هادياً ماهراً ، وهو علي دين كفار قريش فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول ﷺأبا بكر ووعده المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقّروا عليه ، فاجتمعوا حول باب الدار ، ورسول الله ﷺ داخله ، فلما جاء ميعاد الخروج ، أمر ابن عمه ﷺ علياً بالمبيت مكانه كيلا يقع الشك في وجوده أثناء الليل ، فأنهم كانوا يرددون النظر من شقوقِ الباب ليعلموا وجودهِ ، ثم سجي عليا ببرده الشريف ﷺ ، وخرج علي القوم وهو يقرأ(وجعلْنَا من بينِ أَيديهِم سداً ومن خَلْفهم سداً فَأَغْشَيناهم فَهم لا يبصرون (٩)) (يس:٩) فألقي اللهَ النومَ عليَهم حتي لمَ يره أَحَدَ ولم يزل ﷺ سائرا حتي تقابَل مع الصديق وسارا حتي بلغا غار ثور فاختفيا فيه أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم إنما باتوا يحرسون علي بن أبي طالب (رضي الله عنه و أرضاه) لا محمد بن عبدالله ﷺ ، هاجت عواطفهم ، فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه ، وقد وصلوا في طلبهم إلي ذلك الغار الذي فيه طلبتم بحيث لو نظرِ أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتي أبكي ذلك أبا بكرﷺ فقال له ﷺ (إلاَّ تنصروه فَقَدْ نَصرهِ اللَّه إِذْ أَخْرجه الَّذين كَفَروا ثَانِي إِثْنَين إِذْ هُما فِي الغَارِ إِذْ يقُول لصاحبه لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّه معنا فَأَنزل اللَّه سكِينَتَه عَليهِ وأَيَّدَه بجنودٍ لَّم تروها وجعل كلمَةَ الَّذين كَفَروا السُّفْلَى وكلمَةُ اللَّه هي العليا واللَّه عَزيزٌ حكيمَ (٤٠)) (التوبة:٤٠)

فأعمي الله أبصار المشركين حتي لم يحسن لأحد منهم التفاته إلي ذلك الغار بل صار أعدي الأعلاء أمية بن خلف يبعدهم لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار ، فأقاما فيه ثلاث ليال حتي ينقطع الطلب وكان يبيت عندهم عبدالله بن أبي بكر وهو شاب ثقف ولقن فُيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها ، فلا يسمع أمراً يكتادون به إلا وعاه حتي يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما

بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ، ويغدو بها عليهما ، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث ، وسارا متبعين طريق الساحل وفي الطريق لحقهم طالب ، سراقة بن مالك المدلجي ، وكان قد رأي رسل مشركي قريش يجعلون في رسول اللهﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة لمن قتله أو أسره بينما هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج إذا أقبل رجل منهم حتي قام عليهم وهم جلوس فقال يا سراقة إني رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمد وأصحابه ،فعرف سراقة أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم ،فقال إنك رأيت فلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالّةً لهم ثم لبث في المجلس ساعة ، وقام وركب فرسه ثم سار حتي دنا من الرسول ﷺ ومن معه ، فعثرت به فرسه فخر عنها ، ثم ركبها ثانياً وسار حتي صار يسمع قراءة المصطفي ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر ﷺ يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس سراقة في الارض حتي بلغتا الركبتين فخر عنها ، ثم زجرها حتي نهضت ، فلم تكد تخرج يديها حتي سطع لأثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فعلم سراقة أن عمله ضاع سدي وداخله رعب عظيم ، فناداهما بالأمان فوقف ﷺ ومن معه حتي جاءهم ، ويقول سراقة : وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرهما بما يريد بهما الناس ، وعرض عليهما الزاد والمتاع فلم يأخذا شيئاً بل قالا له أخف عنا فسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمِن ، فأمر أبا بكر فكتب[1] وبذلك انقضت هذه المشكلة التي أظهر الله فيها مزيد عنايته برسولهﷺ ، وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول اللهﷺ وقدومه عليهم يخرجون إلي الحرة[2] حتي يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم ، فلما أووا إلي بيوتهم أوفي رجل من يهود علي أُطم من أطامهم . لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول اللهﷺ وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيه أخري ،فقال اليهودي بأعلي صوته : يا معشر العرب هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظروا فثاروا إلي السلاح فتلقّوا رسول اللهﷺ بظهر الحرة.

١- رواه البخاري (٣٩٠٦) .

٢- الأرض ذات الحجارة السود ، و المدينة المنورة محاطة بحرتين .

النزول بقباء :

فعدل بهم ذات اليمين حتي نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء والذي حققه المرحوم محمود الفلكي أن ذلك كان في يوم الثاني من الربيع الأول الذي يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م ، وهذا أول تاريخ جديد [١] لظهور الإسلام بعد أن مضي عليه ثلاث عشرة سنة، وهو مضيق عليه من مشركي قريش ، ورسول ﷺ ممنوع بالجهر بعبادة ربه ، أما الان فقد أواه الله هو ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم بعد أن كانوا ليلاً يتخطّفهم الناس.

هجرة الانبياء:

بهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء المرسلين من قبله (عليهم و علي نبينا أفضل الصلاة و أزكي التسليم) فما من نبي منهم ألا نبذت به بلاد نشأته فهاجر عنها من إبراهيم أبي الأنبياء وخليل الله إلي عيسي عليه السلام كلمة الله وروحه ، كلهم علي عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم ، فصبروا ليكونوا مثالا لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات و الصبر علي المكاره والأذي مادام ذلك في طاعه الله وإمتثالا لأمره عز وجل ، فسل مصر وتاريخها تنبئك عن إسرائيل (يعقوب) وبنيه أنهم هاجروا إليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم ، وتركهم وما يعبدون إكراماً ليوسف عليه السلام وحكمة ولما مضت سنين عديدة ، نسي فيها المصريين تدبير يوسف عليه السلام وفضله الكبير عليهم ، فأظهروا بني إسرائيل وأذاهم ، وخرج بهم موسي وهارون عليهم وعلي نبينا أفضل الصلاة و أزكي التسليم ليتمكنوا من إعطاء الله حقه في عبادته ، وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه ، فأرادوا الفتك به حتي كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات) ثم قال بعد (اخرجوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات، فأنهم طردوا الأنبياء الذين قبلكم وسل القري التي حلّت بها نقمة الله بكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبئك عن مهاجرة الأنبياء منها قبل حلول النقمة ، فلا غرابة أن هاجر ﷺ من بلاد منعه أهلها من إتمام ما اراده الله (سنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَن تَجِد لِسنَّةِ اللَّهِ تَبدِيلاً (٦٢)) (الأحزاب:٦٢) .

١- لما أراد المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ، ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين وأياماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها .

أعمال مكة :

هذا ولنوضح لك مجمل ما دعا إليه رسول ﷺ بمكة من أصول الدين وذلك أمران :ـ

الأول : الاعتقاد بوحدانية الله و ألا يشرك معه في العبادة غيره ، سواء كان ذلك الغير صنماً كما يفعل مشركو مكة ، أو أبا أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الأخرى كالنصارى ، ولولا الاعتقاد بوحدانية الله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الأخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس.

الثاني : الاعتقاد بالبعث و النشور : وأن هناك يوماً ثانياً للإنسان يجازي فيه علي ما صنعه في الدنيا إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر، وعلي هذين الأمرين جاء غالب الآيات المكية ، فقلّما نري سورة من سور مكة إلا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما ، وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل ،وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدي ونزل علي رسول الله ﷺ بمكة من القرآن الكريم معظمه ، وهو ما عدا ثلاثاً وعشرين سورة منه هي(البقرة ، أل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال ، التوبة ، الحج ، النور ، الاحزاب ، محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الصف ، الجمعة ، المنافقون ، التغابن ، الطلاق ، التحريم ، النصر) هذه كلها مدينة وباقي القرآن الكريم مكي .

ولما نزل ﷺ بقباء ، نزل علي شيخ بني عمرو بن كلثوم بن الهدم ، وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خثيمة لأنه كان عزباً ونزل أبو بكر بالسنح (محلة المدينة) علي خارج بن زيد بني حارث من الخزرج .

مسجد قباء:

أقام رسول الله ﷺ بقباء ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله عز وجل بأنه مسجد أسس علي التقوي من أول يوماً ، وصلي فيه ﷺ بمن معه من الانصار و المهاجرين ، وهم آمنون مطمئنون ، وكانت المساجد علي عهد رسول الله ﷺ في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناة المساجد في القرون الأخيرة لأن رسول ﷺ وأصحابه الكرام

لم يكن جل همهم إلا منصرفاً لتزيين القلوب ، وتنظيفها من حظ الشيطان ، فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقي بها حرُّ الشمس.

الوصول إلي المدينة المنورة (يثرب) :

ثم تحول ﷺ إلي المدينة والأنصار محيطون به متقلدي سيوفهم ، وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة ، فكان يوم تحوله إليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله ﷺ ، وخرج النساء والبيان يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ﷺ ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله.

أول جمعة :

أدركته ﷺ صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فنزل ﷺ وصلاّها وهذه أول جمعة له ﷺ وأول خطبة خطبها ﷺ حمد الله وأثني عليه ، ثم قال (أما بعد ، أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعلُمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه – ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه – ألم يأتك رسولي فبلغك ، وأتيتك مالاً ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يري شيئاً ، ثم لينظرنّ قدّامه فلا يري غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمه طيبة ، فإن بها تُجزي الحسنة عشرة أمثالها إلي سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) [1].

النزول علي أبي أيوب :

ثم ساروا وكلما مروا علي دار من دور الأنصار يتضرع إليه أهلها بأن ينزل عندهم ، ويأخذون بزمام الناقة ، فيقول ﷺ دعوها فإنها مأمورة ولم تزل سائرة حتي أتت بفناء بني عدي بن النجار (وهم أخواله ﷺ الذين تزوج منهم هاشم جده) فبركت بمحله من محلاتهم

١- السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٦٦- ١٦٧) .

أمام دار أبي أيوب الأنصاري واسمه خالد بن زيد وذلك محل مسجده الشريف ﷺ ، فقال ﷺ ههنا المنزل إن شاء الله (وقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وأَنْتَ خَيرُ المنزِلِين (٢٩)) (المؤمنون:٢٩) فاحتمل أبو أيوب رحلَه ووضَعه في منزله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده ، وخرجت ولائد بني النجار يقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهما ﷺ فقال أتحببنني؟ فقلن نعم ، فقال (الله يعلم أن قلبي يحبكن) واختار ﷺ النزول في الدور الأسفل من دار أبي أيوب ليكون أريح لزائريه ولكن لم يرضي ﷺ ذلك كرامة الرسول الله ﷺ لما يمكن أن يكون يصيبه من التراب الذي يحدثه وطء الأقدام أو الماء الذي يراق ، فقد اتفق أن كسرت من زوجته جرة ماء بالليل : فقام هو وهي بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً علي رسول الله ﷺ ، ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتي كان في العلو ، وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الأنصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت ، فما من ليلة إلا وعلي بابه الثلاث أو الأربع من جفان الثريد[١].

نزول المهاجرين:

لما تحول مع رسول الله ﷺ أغلب المهاجرين تنافس فيهم الأنصار ، فحكموا القرعة بينهم ، فما نزل مهاجري علي أنصاري إلا بقُرعة.

أُخوة الإسلام:

من يتأمل إلي هذه المحبة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشر، بل بفضل من الله ورحمته، يفهم كيف انتصر هؤلاء الأقوام علي معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد.

وكان الانصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين علي أنفسهم ، قال تعالي في سورة الحشر (ويؤثرون علَى أَنفُسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوق شُحَّ نَفْسِه فَأُولَئك هم المفْلحُون) (الحشر:٩) وهذا أعلَي درجات الأخوة ، وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لإخوانهم ، فإن رسول الله ﷺ ليمكن بينهم الإخاء ، آخي بين المهاجرين والأنصار ،فكان كل أنصاري ونزيلُه أخوين في الله ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح للقارئ أن هذه الأخوة كانت أرقي بكثير من الأخوة العصبية ، بل نكل ذلك للإحساس الإسلامي فإنه أفصح

١- السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/٢٢٠)

منطقاً من القلم ، وخير دليل وعلي الإجمال فتلك قلوب ألّف الله بينها حتي صارت شيئاً واحداً في أجسام متفرقة ، وعسي الله أن يوفق مسلمي عصرنا والعصور التي تلحق بنا إلي هذا الإخاء حتي يسودوا كما ساد السابقون منا ، وكان هذا الإخاء علي المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الأرحام وكان ﷺ يقول لكل اثنين تآخيا في الله أخوين أخوين ، ودام هذا الميراث إلي أن أنزل الله سبحانه قوله في سورة الأحزاب (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (٦)) (الأحزاب: ٦).

هجرة أهل البيت :

لما استقر ﷺ بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مكة ليأتيا بمن تخلّف من أهله ، وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما علي الطريق ، فقدما بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه ﷺ ، وسودة زوجه ، وأم أيمن زوج زيد وابنهما أسامة وأما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع ، وخرج مع الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشة أخته وأسماء زوج الزبير بن العوام وكانت حاملا بأبنها عبد الله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة .

حميّ المدينة :

لم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمي وكان رسول الله ﷺ يعودهم في مرضهم ، فلما شكوا إليه الأمر قال ﷺ اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد ، وبارك لنا في مدها وفي صاعها ، وانقل وباءها إلي الجحفة [1] فأستجاب الله جل وعلا دعوته ﷺ ، وعاش المهاجرون في المدينة المنورة بسلام.

منع المستضعفين من الهجرة :

منع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة ، وحبسوهم وعذبوهم ، منهم الوليد بن الوليد ، وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ، فكان ﷺ يدعو لهم في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل في أوقات مختلفة ومحال في الصلاة مختلفة فكان في وتر العشاء

١- رواه البخاري (١٨٨٩/٣٩٢٦/٥٦٥٤/٥٦٧٧/٦٣٧٢)

وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله ، فروي كل صحابي ما رآه وهذا سبب اختلاف الأئمة في مكان القنوت[1] .

السنة الاولي بناء المسجد :

ثم شرع ﷺ في بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلّة بني مالك بن النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة، فدعا الغلامين ، وساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبي ﷺ أن يقبل منهم هبة بل ابتاعه منهما ، وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل ، فأمر بالقبول فنُبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فُقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا في البناء به ، وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة ، وسقفوه بالجريد ،وجلعت عمده من جذوع النخل ، ولا يزيد ارتفاعه عن القامة إلا قليلاً وقد عمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم :

اللهم لا خير إلا خير الأخرة فارحم الأنصار و المهاجره [2]

وجعلت قبلة المسجد في شماله إلي بيت المقدس ، وجعل له ثلاث أبواب ثم حصبت أرضه لأن المطر قد أثر فيه ، فأمر ﷺ بحصبه ولم يزين المسجد بفُرش حتي ولا بالحصر، وبني بجانبه حجرتان ، إحداهم لسوده بنت زمعه والأخرى لعائشة ، ولم يكن ﷺ متزوجاً غيرهما آن ذاك ، وكانت الحجرتان متجاورتين وملاصقتين للمسجد علي شكل بنائه ، وصارت الحجرات تبني كلما جاءت زوج.

بدء الأذان :

أوجب الله الصلاة علي المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة العلي الكبير ، فيتبعون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، ولذلك قال في محكم التنزيل في سورة العنكبوت (اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمنكرِ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبرُ واللَّهُ يعَلَم مَا تصَنعونَ (٤٥)) (العنكبوت:٤٥) وجعل أفضل الصلاة مَا كان جماعَة ليتشَاور المسلمون بعضهم بعضاً في شئونهم واحتياجاتهم ، ويقووا روابط الألفة والاتحاد بينهم ومتي حان وقت

١- رواه البخاري (٧٩٧/٨٠٤/١٠٠٦/٢٩٣٢)

٢- رواه البخاري (٤٢٨) ، ومسلم (٥٢٤)

الصلاة فلابدّ من عمل ينبه الغافل ، ويذّكر الساهي حتي يكون الاجتماع عاماً ، فائتمر النبي ﷺ مع الصحابة فيما يفعل لذلك ، فقال بعضهم نرفع راية إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرضوا ذلك لأنها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل ناراً علي مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً ، وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه رسول الله ﷺ لأنه لم يكن يحب تقليد اليهود في أي عمل ما ، وأشار بعضهم بالناقوس وهو ما يستعمله النصارى فكرهه رسول الله ﷺ أيضاً ، وأشار بعضهم بالنداء فيقول بعض الناس إذا حانت الصلاة وينادي بها فُقبل هذا الرأي ، وكان أحد المنادين عبدالله بن زيد الأنصاري فبينما هو بين النائم و اليقظة إذ عرض له شخص وقال ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلي فقال له قل الله أكبر الله أكبر مرتين ثم كبر ربك مرتين ، ثم قل لا إله إلا الله فلما استيقظ توجه إلي النبي ﷺ وأخبره خبر رؤياه فقال (إنها لرؤيا حق) ثم قال له (لقّن ذلك بلالاً فإنه أندي صوتاً منك) بينما بلال يؤذن إذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يا رسول الله[1] وكان بلال أحد مؤذنيه ﷺ بالمدينة والآخر عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي علي الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين ، وأقره الرسول ﷺ علي ذلك [2] وكان ﷺ يأمر في فجر رمضان بأذانين أولهما يوقظ به الغافلون حتي ينتبهوا للسحور والثاني لصلاة [3] وأما اذان الجمعة فكان أوله إذا جلس الإمام علي المنبر علي عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثُر الناس زاد نداء أخر علي الزوراء [4] ، ولما تولي هشام بن عبد الملك أخذ الأذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله علي المنار ، ثم نقل الأذان الذي كان علي المنار حين صعود الإمام علي المنبر في العهد الأول بين يديه .

فعلم بذلك أن الأذان في المسجد بين يدي الخطيب (بدعة) أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معني لهذا الأذان لأنه هو نداء إلي الصلاة ومن هو في المسجد لا معني لندائه ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء إذا كان النداء في المسجد ذكر ذلك الشيخ محمد بن الحاج في "المدخل".

١- رواه البخاري (٦٠٣/٦٠٤/٦٠٥/٦٠٦/٣٤٥٧)

٢-رواه الترمذي١٩٨ ، وابن ماجة ٧١٥

٣- رواه البخاري (٦٢٠/٥٢٩٨/٧٢٤٧)مسلم ١٠٩٣

٤- رواه البخاري (٩١٢/٩١٣/٩١٥/٩١٦)

وقال الحافظ في ((فتح الباري)) (وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء إليها بالذكر والصلاة على النبي ﷺ فهو في بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولي , فعلم من ذلك كله أن سنة رسول الله ﷺ في أذان الجمعة أنه كان إذا جلس ﷺ علي المنبر أذّن مؤذنه علي المنار فإذا انتهت الخطبة أُقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداع .

أما الإقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد ، فقد اختلفت الروايات في نصها فرواه محمد بن إدريس الشافعي مفرده إلا لفظ (قد قامت الصلاة) فمثني ورواها مالك بن أنس مفرده كلها ، ورواها أبو حنيفة النعمان مثني كلها[1] .

يهود المدينة :

كما ابتلي الله عز وجل المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع ، وقريظة ، والنضير فإنهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق من ربهم ، وكانوا قبل مجيء النبي ﷺ يستفتحون علي المشركين من العرب إذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه ، فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوة في ولد إسماعيل فكفروا بما أنزل الله بغياً مع أنهم يرون أن رسول الله ﷺ لم يأت إلا مصدقاً لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها علي من سبقه من المرسلين ، مبيناً ما أفسده التأويل منها ، ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

ومما عابوه علي الاسلام نسخ الأحكام ، وما عرفوا أن العلي الكبير يعلم ما يحتاج إليه الإنسان أكثر منهم ، فإنه ميال بطبعه للترقّي ، والرسول ﷺ وجد بادئ بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا علي شيء من الاعتقادات الإلهية ، فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم علي التدريج ، لأنه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وجميع الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع الإسلام الحكيم لما أجابه أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم والمختلفة أهوائهم ، الذين كانوا منغمسين الشهوات والملذات الدنيوية ، فجاءهم رسول الله ﷺ بالأمر شيئاً فشيئاً حتي روضت عقولهم ، وهذبت نفوسهم ، وكانت الأحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ، ولكن اليهود أرادوا غل يد القدرة عن أن تفعل إلا ما يشتهون وقد حجهم القرآن الكريم بما يدل علي أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق المبين ، فقال في سورة البقرة (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الموتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤))(البقرة:٩٤) ثم حتم جل ذكره عدم إجابتهم

١-وهذا الذي اتفق عليه جمهور العلماء.

بقوله (ولَن يتمنَّوه أَبداً بما قدَّمت أَيديهم واللَّه عليمٌ بالظَّالمين (٩٥))(البقرة:٩٥) فلو كانوا يعلمونه من أنفسهم أنهم علي الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم الشديد علي تكذيب الرسالة الإلهية لنبيه الشريفﷺ ولم ينقل لنا عن أحد منهم أنه تمني ذلك ولو نطقا باللسان ، وقد بين الهدي لأحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن الكريم وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم ، عدوه من سفهائهم حينما بلغهم إسلامه فقال في سورة البقرة (بِئسما اشْتَروا به أَنفُسهم أَن يكْفُروا بما أَنزل اللَّه بغْياً أَن ينزِّل اللَّه من فَضْله علَى من يشاء من عباده فَباءوا بغَضَب علَى غَضَب وللْكافرين عذَاب مُّهين (٩٠))(البقرة:٩٠) ولما استحكمت في قلوبهم عداوة الإسلام صاروا يجهدون أنفسهم في إطفاء نوره فقال في سورة التوبة (يريدون أَن يطْفئُوا نُور اللَّه بأَفْواههم ويأْبى اللَّه إِلاَّ أَن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون (٣٢))(التوبة:٣٢) .

المنافقون:

كان يساعدهم علي مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمي الله بصائرهم وقلوبهم ، فأخفوا كفرهم خوفاً علي حياتهم، وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحا لقيادة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ ولا شك أن ضرر المنافقين أشد علي المسلمين من ضرر الكفار ، لأن أولئك يدخلون بين صفوف المسلمين فيعلمون أسرارهم ، ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم كما حدث ذلك مرارا وتكرارا والأساس الذي كان عليه رسول الله ﷺ أن يقبل ما ظهر ويترك الله ما بطن ، لكنه ﷺ مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل فكثيرا ما كان يتغيب عن المدينة ويولي عليها بعض الأنصار ولكن لم يعهد أنه ولي رجلا ممن عهد عليه النفاق ، لأنه ﷺ يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملا فإنهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لإفراد المسلمين وهذا درس مهم لجميع قادة الإسلام في كل زمان ومكان ، يعلّمهم ﷺ ألا يثقوا في الأعمال المهمة إلا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو إظهار ما يخالف ما في السرائر والأفئدة .

معاهدة اليهود:

قد علمت أنه كان يضاد المسلمين في المدينة فئتان اليهود و المنافقون ولكن الرسول ﷺ قبل من هؤلاء ظواهرهم، وعقد مع أولئك عهدا مقتضاه ترك الحرب والأذى ،فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ،ولا يعينون عليه أحداً ،وإن دهمه بالمدينة عدو ينصروه ، وأقرهم علي دينهم .

الفصل الثاني

الغزوات والسرايا

مشرُوعية القتال:

من المعروف أن الشريعة الإسلامية والدين الحنيف أن رسول الله ﷺ لم يقاتل أحداً علي الدخول في الدين ، بل كان الأمر قاصراً علي التبشير والإنذار وكان الله سبحانه وتعالي ينزل عليه من الآيات ما يقويه علي الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذي قريش، ومن ذلك قوله في سورة الأحقاف (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاَّ ساعةً من نهار بلاغٌ فهل يهلك إلاَّ القوم الفاسقون (٣٥))(الأحقاف:٣٥) وكان كثيراً ما يقص الله عليه أنباء إخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ، ولما ازداد طغيان أهل مكة ألجأوه إلي الخروج من داره ﷺ بعد أن ائتمروا علي قتله فكانوا هم البادئين بالعداء علي المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق ، فبعد الهجرة أذن الله سبحانه وتعالي للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج (أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاَّ أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنَّ الله من ينصره إنَّ الله لقوي عزيز (٤٠))(الحج:٣٩/٤٠) ثم أمرهم بذلك في سورة البقرة(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين (١٩٠) واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدُّ من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (١٩١) فإن انتهوا فإنَّ الله غفور رحيم (١٩٢) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلاَّ على الظالمين (١٩٣)) (البقرة:١٩٠ – ١٩٣) وبذلك لم يكنَ الرسولَ ﷺ يتعرض إلا لقريش دون سائرَ العرب.

فلما تآمروا علي المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب ، واتحدوا عليهم مع الأعداء ،أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله سبحانه وتعالي في سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً واعلموا أنَّ الله مع المتقين (٣٦))(التوبة:٣٦) وبذلك صار الجهاد عاما لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله ﷺ (أمرت أن أقاتل

الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول اللهﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علي الله)[1]

ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود حيث أنهم ساعدوا المشركين في حروبهم أمر الله (سبحانه وتعالي) بقتالهم بقوله في سورة الأنفال (وإِمَّا تَخَافَنَّ من قَوم خيانَةً فَانبذْ إِليهِم علَى سواءٍ إِنَّ اللَّه لا يحبُّ الخَائنين (٥٨)) (الانفال:٥٨) وقتالهمَ واجب حَتي يدينوَا أَو يعطوا الجزية عَن يد وهم صَاغرونَ ليأمن المسلمون جانبهم ، وصار قتال رسول الله ﷺ للأعداء علي هذه المبادئ الأتية:

١- اعتبار مشركي قريش محاربين لأنهم بدأوا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتي يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنه وقتيه بين الطرفين.

٢- متي رئي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتي يؤمن جانبهم بالنفي أو القتل.

٣- متي تعدت قبيلة من العرب علي المسلمين أو ساعدت قريشاً قوتلت حتي تدين بالإسلام.

٤- كل من بادئ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتي يذعن بالإسلام أو يعطي الجزية عن يد وهو صاغر.

٥- كل من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه، والإسلام يقطع ما قبله.

وقد أنزل الله سبحانه وتعالي في القرآن الكريم كثيرا من الآيات تحريضاً علي الإقدام في قتال الأعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف ، فقال في الموضوع الأول في سورة النساء (فَلْيُقَاتلْ فِي سَبِيلِ اللَّه الَّذينَ يشْرُونَ الحياةَ الدُّنْيا بالآخرة ومن يُقَاتل في سبيل اللَّه فَيُقْتَل أَو يغْلب فَسوف نؤْتيه أَجراً عظيماً (٧٤)) (النساء:٧٤) وقال سبحانه وتعالي في الموضوع الثاني في سورة الأنفال (يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا إِذَا لَقيتم الَّذين كفَروا زَحفاً فَلا تولُّوهم الأَدْبار (١٥) ومن يولِّهم يومئذٍ دبره إِلاَّ متَحرفاً لّقتَال أَو متحيزاً إِلَى فئَةٍ فَقَد باء بغَضبٍ من اللَّه ومأْواه جهنَّم وبئْس المَصير (١٦)) (الأنفال١٦،١٥) .

بدء القتال:

كان عادة قريش أن تذهب تجارتها إلي الشام لتبيع وتبتاع ويسمي الركب بهذه التجارة عيراً، وكان يسير بها لحراستها كثير من أشراف القوم وأغناهم ، ولابد لوصولهم إلي الشام

١- رواه البخاري (١٣٩٩/١٤٥٧/٦٩٢٤/٧٢٨٤) .

من المرور علي دار الهجرة ، فرأي رسول اللهﷺ أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتي تضعف قوتهم المالية ، فيكون ذلك أدعي لخذلانهم في ميدان القتال الذي لابد أن يكون لأن قريشاً لم تكن لتسكت عمن سفّة أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً وهم قدوة العرب في الدين.

سرّية حمزة بن عبد المطلب :

ففي شهر رمضان أرسل ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد لهم لواء أبيض حملة أبو مرثد حليف حمزة ، ليعترض عيراً لقريش آيبة من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من المشركين ، فسار حمزة حتي وصل ساحل البحر من ناحية العِيص[1] فصادف الصير هناك ، فلما تصافّوا للقتال حجز بين الفريقين مجديُّ بن عمرو الجهني ، فأطاعوه وانصرفوا وشكر ﷺ مجدياً علي عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

سرّية عبُيدة بن الحارث :

في شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكباً من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمله مسطع بن أثاثة ليعترض عيراً لقريش ، فيها مئتا رجل فوافو العير ببطن رابغ فكان بينهما الرمي بالنبل ثم خاف المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ، ولم يتبعهم المسلمون ، وفر من المشركين إلي المسلمين المقداد بن الأسود وعتبه بن غزوان وكان قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين.

الوفيات:

في هذا العام توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، ولما دفُن أمر ﷺ بأن يرش قبره بالماء ، ووضع علي قبره حجراً ، وقال ﷺ (أتعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي) وهذا كان القصد من وضع الأحجار علي المقابر ، لا ما يقصده أهل العصور الأخيرة من تشييد الهياكل علي القبور وتصويرها بصور تري في عين الناظر كالأصنام ، ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيرة تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابده ومن العبث فعل شيء لم يفعله رسول الله ﷺ مما يتعلق بأمور الأخرة.

١- عرض من أعراض المدينة ، أي ناحية منها.

ومات من الأنصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الإثني عشر ، كان ﷺ نقيب بني النجار ، ولما مات اختار رسول الله ﷺ نفسه للنقابة عليهم لأن ابن أخت القوم منهم ومات أيضاً البراء بن معرور أحد النقباء ، وهو الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ومات من مشركي مكة في هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع ، فقال له أبو جهل ما جزعك يا عم؟ فقال: والله ما بي من جزع من الموت ، ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة، فقال أبوسفيان لا تخف إني ضامن ألا يظهر ، وفيها أيضاً مات العاص ابن وائل السهمي وقد كفي الله المسلمين شر هذين الشقيين.

السنة الثانية : غزوة ودّان[١]

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله ﷺ من بعد أن استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض عيراً لقريش فسار حتي بلغ ودان[٢] وكان يحمل لواءه ﷺ عمه حمزة ، ولم يلق هناك حرباً لأن العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بني ضمرة علي أنهم آمنون علي أنفسهم ولهم النصر علي من رامهم وأن عليهم نصرة المسلمين إذا دعوا ثم رجع إلي المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة.

غزوة بُواط[٣] :

لم يمض علي رجوعه ﷺ غير قليل حتي بلغه أن عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير ، فسار إليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الأول, وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص فسار حتي بلغ بواط[٤] فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر علي أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة.

غزوة العُشيرة[٥]:

أعقب رجوعه ﷺ خروج قريش بأعظم عيراً لها فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير ، أن يرأسها أبو سفيان

١- السيرة النبوية الصحيحة (١/٣٤٥) .

٢- قرية بين مكة و المدينة بينها وبين الأبواء ستة أميال .

٣- السيرة النبوية الصحيحة (١/٣٤٦) .

٤-جبل لجهينة علي أبراد من المدينة جهة ينبع.

٥- السيرة النبوية الصحيحة (١/٣٥٤) .

بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً ، فخرج لها الرسول ﷺ جمادي الأولي ومعه مائة وخمسون من المهاجرين ، استخلف علي المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل لواءه ﷺعمه حمزة ولم يزل سائراً حتي بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت ، وحالف ﷺ في هذه الغزوة بنو مدلج وحلفاؤهم ، ثم رجع ﷺ إلي المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع.

غزوة بدر الأولي[1]:

بعد رجوعه ﷺ بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار علي سرح المدينة وهرب، فخرج الرسول ﷺ في طلبة واستخلف علي المدينة زيد بن الحارث الأنصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتي بلغ سفوان[2] وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمي هذه الغزوة بدرا الأولي.

سرية عبد الله بن جحش إلي نخلة[3] :

في رجب من هذه السنة أرسل ﷺ سرية عدتها ثمانية رجال ، يرأسها عبدالله بن جحش وأعطاه ﷺ كتاباً مختوماً لا تفضه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه ، فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فإذا فيه (إذا نظرت كتابي هذا فامضي حتي تنزل نخلة فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم) وإنما لم يخبرهم ﷺ بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر، فيدل عليهم أحد الأعداء من المنافقين أو اليهود فتترصد لهم قريش ولا يخفي أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة ثم سار عبدالله ﷺ وفي أثناء السير تخلف سعد بن أبي وقاص وعتبه بن غزوان لأنهما أضلا بعيرهما الذي كانا يعتقبانه وسار الباقون حتي وصلوا نخلة فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فأجمع المسلمون أمرهم علي أن يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم ، فحملو عليهم في أخر يوم من رجب ، فقتلوا عمرو بن الخصرمي ، وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم ، فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا في الأشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك ، عنفهم المسلمون قال لهم رسول

١- السيرة النبوية الصحيحة (٣٤٦/١) .

٢- سفوان : واد من ناحية بدر.

٣-السيرة النبوية الصحيحة (٣٤٦/١).

الله ﷺ ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم فندموا فأنزل الله سبحانه وتعالي في سورة البقرة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧))(البقرة:٢١٧) فسري عنهم وَقد طلب المشركون فداء أسيريهما ، فقالَ ﷺ حتي يرجع سعد وعتبه فلما رجعا قبل ﷺ الفدية في الأسيرين ، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان فلحق بمكة كافرا.

تحويل القبلة[1] :

مكث ﷺ بالمدينة ستا عشر شهراً يستقبل بيت المقدس في صلاته وكان ﷺ يحب أن تكون قبلته الكعبة المشرفة ، ويقلّب ﷺ وجهه في السماء داعيا الله بذلك وبينما هو في صلاته ﷺ إذ أوحي الله إليه لتحويل القبلة إلي الكعبة المشرفة فتحول ، وتحول من وراءه وكانت هذه الحادثة سببا بافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا علي اعقابهم وقد أكثر اليهود من التنديد علي الإسلام لهذا التحويل وما دروا أن لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم.

صوم شهر رمضان :

في شعبان من هذه السنة أوجب الله سبحانه وتعالي صوم شهر رمضان علي الأمة الإسلامية ، وكان ﷺ قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين الحنيف، ومن الفرائض التي بها يقوم الإنسان ويتم النظام فإن الإنسان مجبول علي حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص، تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلابد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم ولا أقوي من ذوق قوارص الجوع والعطش إذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات.

صدقة الفطر:

لذلك أوجب الشارع الحكيم عقب صوم شهر رمضان الكريم زكاة الفطر فتري الإنسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة.

١- صحيح البخاري (٤٠١-٤٠٣) ومسلم (٥٧٢).

زكاة المال:

في هذا العام فُرضت زكاة المال وهذا هو النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من إخوانهم الأغنياء بلا ضرر علي هؤلاء فإذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أيها الموحد أن تؤدي ربع عشرها ، أي اثنين ونصفاً في كل مائة ، وما زاد فبحسابه وإذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والأبل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدي منها جزء مخصوصاً حدده الشارع الحكيم، ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الإمام ، ويوزعه علي مستحقيه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين في أية الصدقة في قوله سبحانه وتعالي في سورة التوبة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)﴾(التوبة:٦٠).

واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لأول نظرة أن هذا النظام مع عدم إضراره بالأغنياء مقلل لمصائب واحتياجات الفقراء التي ألجأت كثيراً من فقراء الأمم أن يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الأمن لاكتساب أرزاقهم وحقوقهم في الحياة.

غزوة بدر الكبري[1] :

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها ﷺ وهي متوجهة إلي الشام ، فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها ، فلما سمع برجوعها ندب إليها أصحابه ، وقال (هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها) فأجاب قوم وثقُل آخرون ، لظنهم أن الرسول ﷺ لم يرد حرباً ، فإنه لم يحتفل بها بل قال (من كان ظهره حاضراً فليركب معنا) ولم ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد أن ولّي علي المدينة عبد الله أبن أم مكتوم ، وكان معه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا: مائتان ونيف وأربعون من الأنصار ، والباقون من المهاجرين ، ومعهم فرسان ، وسبعون بعيراً يعتقبونها ، والحامل للواء مصعب بن عمير العبدري ، ولما علم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ استأجر راكباً ليأتي قريش ويخبرهم الخبر ، فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم ، وخافوا علي تجارتهم ، فنفروا سراعا ولم يتخلف من أشرافهم إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فإنه أرسل بدله العاص بن هشام

١- السيرة النبوية للحافظ الدمياطي (ص١٨٧).

بن المغيرة وأراد أمية بن خلف أن يتخلف لحديث حدثه إياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً بعد الهجرة بقليل ، حيث قال كما رواه البخاري[1].

سمعت من رسول الله ﷺ يقول (إنهم قاتلوك) قال بمكة ؟ قال لا أدري ففزع لذلك وحلف ألا يخرج، فعابه أبو جهل ولم يزل به حتي خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ولكن إرادة الله العلي القدير فوق كل إراده في كل زمان ومكان فإن منيته ساقته إلي حتفه رغم أنفه وكذلك عزم جماعة من الأشراف علي القعود فعيب عليهم ذلك ، وبهذا أجمعت رجال قريش علي الخروج ، فخرجوا علي الصعب والذلول أمامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨))[سورة الأنفال ٤٨].

وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلاً يعتبر به ذو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦))(الحشر:١٦) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨))(الأنفال:٤٨) وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير.

أما رسول اللهﷺ فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ، ولم يكن خروجه إلا للعير فعسكر ببيوت السُّقيا خارج المدينة ، واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة علي الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان الأخبار عن العير. ولما بلغ الروحاء [2] جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم ، وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدراً غداً أو بعد غد ، فجمع ﷺ كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس إن الله قد وعدني إحدي الطائفتين أنها لكم: العير أو النفير) فتبين له ﷺ أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الأموال فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالي في سورة الأنفال (وَإِذْ يَعِدُكُمُ

١- رواه البخاري (٣٦٣٢/٣٩٥٠).

٢- موضع علي ثلاثين أو أربعين ميلاً جنوب المدينة الغربي.

اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)) (الانفال٧) ثم قامَ المقداد بن الأسود ﷺ فقالَ يا رسولَ اللهِ ﷺ إمض لماَ أمرك َاللهُ ، فواللهِ لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي عليه السلام (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤))(المائدة :٢٤) ولكن اذهب أنت وربكَ فقاتلا إنا معكما مقاتلونَ ، واللهِ لو سرتَ بنا إلي برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه ، فدعي له ﷺبخير ، ثم قال ﷺ (اشيروا علي أيها الناس) وهو يريد الأنصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته إلا مادام بين أظهرهم فإن فيها : يا رسول الله ، إنا براء من ذمتك حتي تصل إلي دارنا ، فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ ، سيد الأوس ، كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال أجل ، فقال سعد قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك علي ذلك عهودنا ، فامض لما امرك الله ، فو الذي بعثك بالحق لو إستعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك ، وما أن نكره أن تكون تلقي العدو بنا غداً ، إنه لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عنيك ، فسار علي بركة الله فأشرق وجهه ﷺ وسر بذلك.

وقال كما في رواية البخاري (أبشرو والله كأني أنظر إلي مصارع القوم) [١] ، فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لابد واقعة، وحقيقية حصلت فأن أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوك وسار متبعاً ساحل البحر فنجا ، وأرسل إلي قريش يعلمهم بذلك ، ويشير عليهم بالرجوع.

فقال أبو جهل : لا نرجع حتي نحضر بدراً[٢]. فنقيم فيه ثلاث : ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً فقال الأخنس بن شريقٍ الثقفي لبني زهرة وكان حليفا لهم إرجعوا يا قوم فقد نجي الله أموالكم فرجعوا ، ولم يشهد بدرا زهري ولا عدوي ثم سار الجيش حتي وصلوا واد بدر فنزلوا عدوته القصوي[٣]. عن المدينة في أرض سهلة لينة ، أما جيش المسلمين ، فإنه لما قارب بدراً أرسل ﷺ علي بن أبي طالب

١- رواه البخاري (٣٩٥٢ / ٤٦٠٩).

٢- محل بين مكة والمدينة وهو إلي المدينة أقرب في الجنوب الغربي منها علي الطريق السلطاني ، وكان به سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام .

٣- عدوة الوادي : شاطئه .

والزبير بن العوام ليعرفا الأخبار ، فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص السهميين ، فأتيا بهما ، والرسول ﷺ قائم يصلي ،ثم سألاهما عن أنفسهما، فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم الماء ، فضربهما لأنهما ظنا أن الغلامين لأبي سفيان فقال الغلامان نحن لأبي سفيان فتركهما ، ولما أتم الرسول ﷺ صلاته قال (إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله إنهما لقريش) ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب ، فقال لهما كم هم ؟ فقالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم ، قالا: يوما تسعا ويوما عشرا قال القوم ما بين التسعمائة والألف ثم سألهما عمن في النضير من أشراف قريش فذكرا له عددا عظيما فقال ﷺ لأصحابه هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ثم ساروا حتي نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء في أرض سبخة ، فأصبح المسلمون عطاشا بعضهم جنب وبعضهم محدث ، فحدثهم الشيطان بوسوسته ، ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم ، فأنه قال لهم : ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا.

فأرسل الله سبحانه وتعالي لهم الغيث حتي سال الوادي ، فشربوا واتخذوا الحياض علي عدوة الوادي ، واغتسلوا وتوضأوا وملأوا الأسقة ولبدت الأرض حتي ثبتت عليها الأقدام علي حين أن كان هذا المطر مصيبة علي المشركين فإنه وحل الأرض حتي لم يعودوا يقدرون علي المشي والارتحال ومصداق هذا قوله تعالي في سورة الأنفال (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١))(الأنفال:١١) وقد أري الله رسوله ﷺ في منامه الأعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العدد كيلا يفشل المسلمون وليقضي الله أمراً كان مفعولاً قال تعالي في سورة الأنفال (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ(٤٤))(الأنفال:٤٣/٤٤) ثم سار المسلمين حتي نزل أدني ماء في بدر ، فقال له الحباب بن المنذر الأنصاري وكان مشهوداً بجودة الرأي : يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والكيدة.

فقال يا رسول الله ، ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتي تأتي أدني ماء من القوم فإني أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ماء عداه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا

فنملأه ماء ، فنشرب ولا يشربون فقال الرسول ﷺ لقد أشرت بالرأي ، ونهض حتي أتي أدني ماء من القوم ، ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين ، وبني حوضاً علي القليب الذي نزل عليه ، ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلق عدونا فإن أعزنا الله تعالي وظهرنا علي عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كان الأخري جلست علي ركائبك فلحقت بمن وراءنا (من قومنا) ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولا أطوع لك منهم رغبة في الجهاد ونية ، ولو ظنوا أنك تلقي حرباً ما تخلفوا عنك إنما ظنوا أنها العير ، ليمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك ، فقال ﷺ أو يقضي الله خيراً من ذلك .

ثم بني للرسول ﷺ عريش فوق تل مشرف علي ميدان الحرب ، ولما اجتمعوا عدل ﷺ صفوفهم ومناكبهم متلاصقة ، فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ، ثم نظر لقريش ، فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به).

وفي هذا الوقت وقع خُلف بين رؤساء عسكر المشركين فإن عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفة عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن حجش ويحمل ما أصيب من عيره ودعا الناس إلي ذلك ، فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن وقال والله لا نرجع حتي يحكم بيننا وبين محمد ، وقبل أن تقوم الحرب علي ساقها خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه ، فوقع علي ظهره فزحف علي الحوض حتي اقتحم فيه ليبر قسمه فأتبعه حمزة ﷺ فقتله ، ثم وقف ﷺ يحرض الناس علي الثبات و الصبر ، وكان فيما قال (و إن الصبر في موطن البأس مما يفرج الله به اللهم وينجي به من الضم ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وإبنه الوليد فطلبوا أكفاءهم ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فقالو لا حاجة لنا بكم ، إنما نريد أكفاءنا من بني عمنا ، فأخرج لهم ﷺ عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للأول ، وحمزة بن عبد المطلب للثاني ، وعلي أبي طالب للثالث .

فأما حمزة وعلي فقتلا صاحبيهما ، وأما عبيدة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة علي عتبة فأجهزا عليه ، وحمل عبيدة بين الصفوف جريحاً يسيل مخ ساقه وأضجعوه إلي جانب موقعه ﷺ ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشرة ﷺ بالشهادة فقال ودِدت والله أن أبا طالب كان حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله:

ونُسلمه حتي نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[1]

وبعد انتقاَء هذه المبارزة وقف ﷺ بين الصفوف يعدلها بقضيب في يده ، فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف ، فضربه ﷺ بالقضيب في بطنه وقال (إستقم يا سواد) فقال أوجعتني يا رسول الله ﷺ وقد بعثت بالحق والعدل فاقضني من نفسك فكشف الرسول ﷺ عن بطنه الشريف وقال (إستقض يا سواد) فأعتنقعه سواد وقبل بطنه الشريفة فقال ﷺ ما حملك علي ذلك ؟ فقال يا رسول الله قد حضر ما تري فأردت أن يكون أخر العهد أن يمس جلدي جلدك فدعا له بخير[2] ثم أبتدأ ﷺ يوصي الجيش فقال (لا تحملوا حتي آمركم ، وإن اكتنفكم القول فانضحوهم بالنبل ولا تسلّوا السيوف حتي يغشوكم) ثم حضهم علي الصبر والثبات ، ثم رجع إلي عريشه ومعه ﷺ رفيقه أبو بكر ، وحارسه سعد بن معاذ واقف علي باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول ﷺ ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) [3] فقال أبو بكر ﷺ حسبك فإن الله سينجز لك وعده فخرج ﷺ من العريش وهو يقول (سيهزم الجمع ويولُّون الدُّبر (٤٥))(القمر:٤٥) ثم قال ﷺ يحرض الجيش (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه) فقال عمير بن الحمام وبيده تمرات يأكلها بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتي قُتل[4].

واشتد القتال وحمي الوطيس ، وأيد الله المسلمين بالملائكة بشري لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن إلا ساعة حتي هزم الجمع ، وولّوا الدبر ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل من المشركين نحو السبعين ، منهم من قريش : عتبة وشيبة ابناء ربيعة

١-رواه البخاري (٤٧٤٣/٤٧٤٤) .

٢-صحيح السيرة النبوية ص٢٣٦.

٣-رواه البخاري (٣٩٥٣).

٤-رواه مسلم (١١٥٧)

والوليد بن عتبه ، قُتلوا مبارزة أول القتال ، وأبو النجتري بن هشام ، والجراح والد أبي عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر ، وقُتل أمية بن خلف وابنه علي ، اشترك في قتلهما جماعة من الأنصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر ، وقد سعيا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة ومن القتلي حنظلة بن أبي سفيان ، وأبو جهل بن هشام ، أثخنه فتيان صغيران من الأنصار لما كانا يسمعانه من أنه شديد الإيذاء والكراهية لرسول الله ﷺ وأجهز عليه عبد الله بن مسعود ، وقُتل نوفل بن خويلد قتله علي بن أبي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وقُتل كثيرون غيرهم.

أما الأسري كانوا سبعين أيضاً قتل منه ﷺ وهو راجع عقبة بن أبي معيط ، والنضرة بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين وكانت هذه الواقعة في ١٧ رمضان وهو اليوم الذي ابتدأ فيه نزول القرآن الكريم وبين التاريخين ١٤ سنة قمرية كاملة وقد أمر ﷺ بالقتلي فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول ﷺ أخبر بها قبل حصول الموقعة إلي قليب بدر ، لأنه ﷺ كان سننه في غزواته إذا مر بجيفه إنسان أمر بها فدفنت في الأرض ، لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً ، ولما ألقي عتبه والد أبي حذيفة – أحد السابقين إلي الإسلام – تغير وجه ابنه ففطن الرسول ﷺ لذلك فقال (لعلك دخلك من شأن أبيك شيء؟) فقال لا والله ولكن كنت اعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام فلما رأيت أحزنني ذلك فدعا له الرسول ﷺ بخير ثم أمر ﷺ براحلته فُشد عليها حتي قام علي شفة القليب الذي رمي فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم واسماء آبائهم (يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان) أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد ولا أرواح فيها؟ فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها إنما قال إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الموتى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوا مدبِرِين (٨٠)) (النمل:٨٠) ، (وما يستوي الأَحيَاء ولا الأَموات إِنَّ اَللَّه يسمعِ من يشاء وما أَنتَ بمسمعٍ مَّن في القُبورِ (٢٢))(فاطر٢٢) يقول (يعلمون ذَلك حينما تَبوءوا مقاعدهم من النارَ) رَواه البخَاري[1]

١-رواه البخاري (٣٩٧٩)

ثم أرسل ﷺ المبشرين فأرسل عبد الله بن رواحة لأهل العالية[1] وأرسل زيد بن حارثة لأهل السافلة راكباً علي ناقة رسول الله ﷺ وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسولﷺ والمسلمين ، عادةِ الأعداء في إذاعة الضراء، يقصدون بذلك فتنة المسلمين ، فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة ، وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان ثم قفل رسول الله ﷺ راجعاً وهنا وقع خلاف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم ، فالشبان يقولون : باشرنا القتال فهي لنا خالصة ، و الشيوخ يقولون كفا ردءاً لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو إلي الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين إلي تشتت الشمل أنزل الله حسما لهذا الخلاف أول سورة الأنفال (يِسأَلُونَك عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للَّه والرَّسول فَاتَّقُوا اللَّه وأَصلحُوا ذَاتَ بَيْنكُم وأَطيعوا اللَّه ورسولَه إِن كُنتُم مُّؤْمنَين (١))(الأنفَالَ:١). فسَطع علي أفئدتهمَ نور القرآن َ، فتألفَت بعد أن كادت تفترَق وتركوا أَمَر الغنائم لرسول الله ﷺ يضعها كيف شاء – كما حكم القرآن – فقسمها ﷺ علي سواء الرجل مع الرجل والفارس مع الفارس وأدخل في الاسهام بعض من لم يحضر لأمرٍ كلّف به وهم : أبو لبابة الأنصاري لأنه كان مخلفاً علي أهل المدينة ، والحارث بن حاطب لأن الرسول ﷺ خلفه علي بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه ، والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لأنهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من السير وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد لأنهما أُرسلا يتجسَسان الأخبار ، فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب[2] وعثمان بن عفان لأن الرسول ﷺ خلّفه علي ابنته رقّية يمرضها [3] وعاصم بن عدي لأنه خلفه علي أهل قُباء والعالية ، وكذلك أسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذي جرح في المبارزة الأولي فإنه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب ﷺ المدينة تلقته الولائد بالدفوف يقلن :

طلع البدر علينـا من ثنيات الـــوداع
وجب الشكر علينـا ما دعا للـــه داع
أيها المبعوث فينـا جئت بالأمر المطـاع
جئت شرفت المدينـة مرحباً يا خيــر داع

١-قري بظاهر المدينة وهي العوالي .
٢-تفسير بن كثير (٢/٢٨٣) .
٣-البخاري(٣٦٩٩) .

أسري بدر :

لما دخلوا المدينة استشار ﷺ أصحابه فيما يفعل بالأسري ، فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ﷺ قد كذبوك وقتلوك وأخرجوك فأري أن تمكنني من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس ، وعليا من أخيه عقيل وهكذا حتي يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودّه للمشركين ، ما أري أن تكون لك أسري .

فاضرب أعناقهم ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقاداتهم ووافقه علي ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة ، وقال أبو بكر ﷺ يا رسول الله ﷺ هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم ، أري أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا علي الكفار ، وعسي الله أن يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال ﷺ إن الله ليلّين قلوب أقوام حتي تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتي تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال (رب إنَّهنَّ أَضْلَلْن كثيراً من النَّاس فَمن تبعني فَإنَّه منِّي ومن عصاني فَإنَّك غَفُور رَّحيم (٣٦))(إبراهيم:٣٦) وإنَ مثلك يا عمر مثل نوح قال(وقَال نَوح رَّب لا تذَر علَى الأَرض منَ الكافرين ديَّاراً (٢٦))(نوح:٢٦) .

ورأي ﷺ رأيَ أبو بكر ﷺ [1] بعد أن مدح كلا من الصاحبين لأن الوجهة واحدة وهي إعزاز الدين ، وخذلان المشركين ، ثم قال ﷺ لأصحابه (أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء) وقد بلغ قريشا ما عزم عليه رسول الله (في أمر الأسري) فناحت علي القتلى شهراً ثم أشير عليهم من كبارهم ألا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم ، فسكتوا وصمموا علي ألا يبكوا قتلاهم حتي يأخذوا بثأرهم ، وتواصلوا فيما بينهم ألا يعجلوا في طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه .

الفداء:

فلم يلتفت إلي ذلك المطّلب بن أبي وداعه السهمي ، وكان أبوه من الأسري فخرج خفية حتي أتي المدينة وفدي أباه بأربعة الأف درهم ، وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف إلي ألف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة و الكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلّمهم وكان ذلك فدائه ومن الأسري عمرو بن أبي سفيان ، ولما طُلب من أبيه فداؤه أبي ، وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي ، دعوه يمسكوه في

١-رواه مسلم (١٧٦٣)

أيديهم ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة إذ وجد سعد بن النعمان الأنصاري معتمراً ، فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو ، فمضي قوم سعد إلي رسول الله ﷺ وأخبروه فأعطاهم عمراً ففكوا به سعداً.

ومنٍ الأسري أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول ﷺ ، وكان ﷺ قد أثني عليه خيراً في مصاهرته، فإنه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله ﷺ بمكة ، طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابنا ابي لهب بابنتي الرسول ﷺ فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بها امرأة من قريش ، ولما أسر أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها.

فلما رأي ﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا) فرضي الأصحاب بذلك فأطلقه ﷺ بشرط أن يترك زينب تهاجر إلي المدينة فلما وصل إلي مكة أمرها باللحاق بأبيها ﷺ ، وكان الرسول ﷺ أرسل لها من يأتي بها رضي الله عنها فاحتملوها هذا ولما أسلم أبو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الأول [1] .

ومن الأسري:

سهيل بن عمرو ، وكان من خطباء قريش وفصحائها وكثيراً ما أذي المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله ﷺ أنزع ثنيتي سهيل يلدع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً ، فقال ﷺ ولا أمثّل فيمثّل الله بي وإن كنت نبياً ، وعسي أن يقوم مقاماً لا تذمه[2] وقدم بفدائه مكرز بن حفص ، ولما ارتضي معهم علي مقدار حبس نفسه بدله حتي جاء بالفداء وقد حقق الله عز وجل خبر الرسول ﷺ في سهيل ، فإنه لما مات ﷺ أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الأعراب فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثني عليه وصلي علي رسوله ﷺ أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠))(الزمر: ٣٠) وقال (وما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ومن ينقلب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وسيجزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

١-رواه أبو داود (٢٦٩٢)

٢-البداية و النهاية (٣/٣١١)

(١٤٤))(أل عمران:١٤٤) ثم قال والله أني أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغّرنكم هذا–يريد أبا سفيان من أنفسكم ، فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم لكنه قد ختم علي صدره حسد بني هاشم ، وتوكلوا علي ربكم ، فإن دين الله قائم ، وكلمته تامة وإن الله ناصر من نصره ومقو دينه ، وقد جمعكم الله علي خيركم –يريد أبا بكر – وإن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رأيناه ارتّد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه ، وكان هذا الخبر من معجزات نبينا ﷺ .

ومن الأسري الوليد بن الوليد افتكه أخواه خالد وهِشام، فلما افتُدي ورجع إلي مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل الفداء؟ فقال خفت أن يعدوا إسلامي خوفاً ولما اراد الهجرة منعه أخوه ففر إلي النبي ﷺ في عمرة القضاء

ومن الأسري السائب بن يزيد وكان صاحب الراية في تلك الحرب، فدي نفسه وهو الجد الخامس للإمام محمد بن إدريس الشافعي.

ومنهم : وهب بن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الإيذاء لرسول الله ﷺ ، جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية يتذكران مصاب بدر بعد فقال عمير والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشي عليهم الفقر بعدي ، كنت آتي محمداً فأقتله ، فإن ابني أسيرٍ في أيديهم ، فقال صفوان دينك علي وعيالك مع عيالي ، فأخذ عمير سيفة وشحذه وسمه ، وانطلق حتي قدم المدينة ، فبينما عمر مع نفر من المسلمين إذ نظر إلي عمير متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو لله ما جاء إلا بشر ، ثم قال النبي ﷺ هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال (أدخله علي) فأخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله فلما رآه ﷺ قال (أطلقه يا عمر ، ادن يا عمير) فدنا وقال أنعموا صباحاً ، فقال ﷺ قد أبدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير ؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه فقال فما بال السيف ؟ قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً قال ﷺ اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال ما جئت إلا لذلك قال ﷺ كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت و كيت ، فأسلم عمير وقال كنا نكذّبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك في الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فقال ﷺ فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا أسيره فعاد عمير إلي مكة وأظهر إسلامه.

ومن الأسري: أبو عزيز بن عمير، أخو مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذي أسره شد يدك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا أخي هذه وصايتك بي؟ ثم بعثت أمه بفدائه أربعة ألاف درهم.

ومن الأسري: العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ كان قد خرج لهذه الحرب مكرهاً ولما وقع في الأسر طُلب منه فداء نفسه وابن اخيه عقيل بن أبي طالب ، فقال علام ندفع وقد استكرهنا علي الخروج فقال ﷺ لقد كنت في الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسولِ ﷺ لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت لأم الفضل أموالا ؟ وقلت لها إن مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما اطلع علي ذلك أحد[1] وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساوة فإنه ﷺ لم يعف عمه مع علمه بأنه إنما خرج مكرها وقد أعفي غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالي (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥))(النساء:١٣٥)

ومن الأسري أبو عزة الجمحي الشاعر ، كان شديد الإيذاء لرسول الله ﷺ بمكة فلما أسر قال يا محمد إني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن فمن عليه فضلا منه .

العتاب في الفداء [2]:

لما تم الفداء أنزل الله في شأنه ﷺ (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨))(الأنفال:٦٧ ، ٦٨) نهي سبحانه وتعالي عن اتخاذ الأسري قبل الإثخان في قتل الذين صدوا عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار ، وعاب بعض المسلمين علي إرادة عرض الدنيا وهو الفدية ، ولولا حكم سابق من الله ألا يعاقب مجتهداً علي اجتهاده مادام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح لهم الأكل من تلك الفدية المبني أخذها عن النظر الصحيح ، وهذا من أقوي الأدلة علي صدق نبينا ﷺ فيما جاء به لأنه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه علي عمله بناء علي رأي كثير من

١-رواه البخاري (٤٠١٨) .

٢-صحيح السيرة النبوية ص ٢٦١

الصحابة وقد وعد الله الأسري الذين يعلم في قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً مما أُخذ منهم ويغفر لهم فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمن فِي أَيْدِيكُم مِّن الأَسرى إن يعلمِ اللَّه في قُلُوبِكُمْ خيراً يُؤْتِكم خيراً ممَّا أُخذَ منكم ويغفر لكمَ واللَّه غفورَ رَّحيمَ (٧٠))(الأنفال:٧٠) .

وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الإسلام وقوي أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية ظاهرة علي عناية الله تعالي بالإسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة ، والخيل المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا علي عبادة بهذا النصر(ولَقَدْ نصركم اللَّه ببدرٍ وأَنْتم أَذلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّه لَعلَّكم تشْكُرون (١٢٣))(آل عمران:١٢٣) أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله فهي أعظم غزوات الإسلام إذ بها كان ظهوره ، وبعد وقوعها أشرق علي الأفاق نوره فقد قتل منها من صناديد قريش من كانوا الأعداء الألداء للإسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الأخرين فكانت للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلي الأعلي علي هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من شهر رمضان عيدا نتذكر فيه نعمة الله علي رسول الله ﷺ وعلي المسلمين .

غزوة بني قينقاع[1]:

هذا وإن كان للشخص عدوان فانتصر علي أحدهما حر كذلك شجو الأخر ، وهاج فؤاده ، فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا ما حدث من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر ، فإنهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه ، وأظهر مكنون ضمائرهم ، فبدت البغضاء من أفواههم ، وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الأنصار ، وهذا ما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل إذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فأنزل الله في سورة الأنفال (وإِمَّا تخَافَنَّ من قَوْمٍ خيانَةً فَانبذْ إِلَيهم علَى سواءٍ إِنَّ اللَّه لا يحبُّ الخَائنين (٥٨))(الأنفال:٥٨) فدعا ﷺ رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد ، فقالوا يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك فإنهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فأنزل الله في سورة ال عمران(قُل لِّلَّذين كفَروا ستُغْلَبون وتُحشَرون إِلَى جهنَّم وبِئس المهاد (١٢) قَد كان لَكُم آيةٌ في فئَتين الْتَقَتا

١-الطبقات لابن سعد (٢/٢٨ - ٢٩) .

فئةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِم رَأْيَ العَيْنِ واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ (١٣))(ال عمرَان:١٢/١٣)

وعندَ ذلك تبرأ من حِلفِهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف عبد الله بن أبي وقال إني رجلاً أخشي الدوائر فأنزل الله تعليماً للمسلمين في سورة المائدة (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَولِياءَ بَعضُهم أَولِياءُ بَعضٍ ومَن يَتَولَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخشَى أَن تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأتِيَ بِالفَتحِ أَو أَمرٍ مِّن عِندِهِ فَيُصبِحُوا عَلَى ما أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِم نادِمِينَ (٥٢))(المائدة:٥١- ٥٢) وعندما تظاهرَ يَهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سَارَ إليهم ﷺ في نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف علي المدينة أبا لبابة الأنصاري فحاصرهم خمس عشر ليلة .

جلاء بني قينقاع :

لما رأوا في أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله ﷺ أن يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الأموال فقبل ذلك ﷺ ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا إلي أذرعات ولم يحل عليهم الحول حتي هلكوا وخمس ﷺ أموالهم وأعطي سهم ذوي القربي لبني هاشم ولبني المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال ﷺ إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد في الجاهلية و الإسلام هكذا وشبك بين أصابعه .

غزوة السّويق :

كان أبو سفيان متهيجاً لأنه لم يشهد بدراً التي قُتل فيها ابنه وذوو قرباه فحلف ألاّ يمس رأسه الماء حتي يغزو محمداً ، وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجهم ويستعين بهم علي حرب المسلمين فأتي سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته ، فأتي سلاّم بن مشكم فأذن له واجتمع به ، ثم خرج من عنده وأرسل رجالاً من قريش إلي المدينة ، فحرقوا في بعض نخلها ، ووجدوا أنصارياً فقتلوه ، ولما علم بذلك رسول الله ﷺ خرج في أثرهم في مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذي الحجة، بعد أن ولّي علي المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لأنهم هربوا[1] وجعلوا يخففون ما

١-هم الذين انطبق عليهم قول النبي ﷺ (نصرت بالرعب مسيرة شهر) رواه البخاري(٣٣٥) .

يحملونه ليكونوا أقدر علي الإسراع فألقوا ما معهم من جرب السويق ، فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق.

صلاة العيد :

في هذا العام سنّ الله سبحانه وتعالي للعالم الإسلامي سنة عظيمة ، بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين أن يجددوا عهود الإخاء ، ويقووا عروة الدين الوثقي وهي الاجتماع في يومي عيدٍ الفطر وعيد الأضحى وكان ﷺ يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصليٍ بهم ركعتين تضرعاً إلي الله ألاّ يفصم عروتهم ، وأن ينصرهم علي عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم علي الائتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لأنفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لأداء الصدقات للفقراء والمساكين حتي يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فقبل الفطر زكاته وبعد الأضحي أضحيته ، نسأله تعالي أن يؤلف بين قلوبنا ويوفقنا لأعمال سلفنا الصالح والخير.

زواج علي بفاطمة رضي الله عنهما :

في هذه السنة تزوج علي بن أبيٍ طالب وعمره إحدي وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وعمرها خمس عشرة عاماً، وكان منها عقب رسول الله ﷺ بنوه الحسن و الحسين وزينب وفيها دخل ﷺ بعائشة بنت أبي بكر وعمرها إذ ذاك تسع سنوات.

السنة الثالثة :

يا الله يقضي علي الشقي بالشقاوة حتي لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه إلا راحة العالم من شره وكيده وهذا كعب بن الأشرف اليهودي عظيمٍ يهود بني النضير ، أعمته عداوة المسلمين حتي خلع برقع الحياء ، وصار يحرض قريشا علي حربٍ رسول الله ﷺ ويهجوه بالشّعر ويجتهد في إثارة الشحناء بين المسلمين فكلما جبر ﷺ كسراً هاضه هذا الشقّي بما ينفثهَ من سموم لسانه .

قتل كعب بن الأشرف :

لما انتصر المسلمون في بدر ورأي الأسري مقرنين في الحبال ، خرج إلي قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم علي حرب المسلمين ، فقال ﷺ (من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذي الله ورسوله؟) فقال محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي أتحب أن أقتله ؟ قال نعم قال أنا له بك وائذن لي أقول شيئاً أتمكن به ، فأذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتي أتي كعباً فقال

له إن هذا الرجل يريد رسول الله ﷺ قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضا والله لتملّنه قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن نتركه حتي ننظر إلي أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين قال : نعم ولكن ارهنوني قالوا: أي شيء تريد؟ قال إرهنوني نساءكم ، قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فأرهنوني أبناءكم – قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح فرضي .

فواعده ليلا يأتيه فجاء ليلا ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناداه محمد بن سلمى فأراد أن ينزل فقالت له امرأته أين تخرج الساعة وإنك امرؤ محارب ؟ فقال إنما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي إلي طعنة بليل لأجاب ، ثم قال محمد لمن معه إذا جاءني أخذ بشعره فأشمهُ فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فأضربوه فنزل إليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفخُ منه ريح المسك ، فقال محمد ما رأيتك اليوم ريحاً أطيب ، أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم فشمه ، فلما إستمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التي كان يقصدها بهم ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[1] وكان قُتل هذا الشقي في ربيع الأول من هذا العام.

غزوة غطفان[2] :

بلغ رسول الله ﷺ أن بني ثعلبة ومحاربي غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة علي المدينة فأراد ﷺ أن يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج إليهم من المدينة في أربعمائة وخمسين رجلا لأثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وخلّف علي المدينة عثمان بن عفان ، ولما سمعوا بسير رسول الله ﷺ هربوا إلي رؤوس الجبال ، ولم يزل المسلمون سائرين حتي وصلوا ماء يسمي ذا أمر ، فعسكروا به ، وحدث أنه ﷺ نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعثور فأقبل إليه بسيفه حتي وقف علي رأسها وقال من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال ﷺ الله ، فأدركت الرجل هيبة ورعب أسقطا السيف من يده، فتناول ﷺ السيف وقال لدعثور من

١-رواه البخاري (٤٠٣٧)

٢-البداية و النهاية (٣/٤)

يمنعك مني ؟ قال لا أحد فعفا ﷺ عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للإسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله ﷺ وجمع الناس لحربه إلي محبته وجمع الناس له (يا أَيُّها الَّذين آمنُوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأْتي اللَّه بقوم يحبُّهم ويحبُّونه أَذلَّة علَي المؤمنين أَعزَّة علَى الكافرين يجاهدون في سبيل اللَّه ولا يخافُون لومةَ لائم ذَلك فَضْل اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه واسع عليم (٥٤))(١) (المَائدة:٥٤) وهذا ما ينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظة القلب (فبما رحمةٍ من اللَّه لنت لهم ولو كنت فظاً غليظَ القَلْب لانفضُّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكَّل على اللَّه إنَّ اللَّه يحبُّ المتوكّلين (١٥٩)) (ال عمران:١٥٩) .

غزوة بُحران (٢) :

بلغه ﷺ أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة علي المدينة فسار إليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادي الأولي وخلّف علي المدينة ابن أم مكتوم(٣) ولما وصل بحران تفرقوا ، ولم يلق كيدا فرجع .

سرية زيد بن حارثة إلي القردة :

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لأن بها حياتهم أرسلوا عيراً إلي الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزيز الفري فجاءت أخبارهم لرسول الله ﷺ ، فأرسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادي الأخرة فسارت السرية حتي لقيت العير علي ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول ﷺ هذه حينما وصلت له .

غزوة أحُدُ :

لما أصاب قريشاً ما أصابها ببدر وأُغلقت في وجوههم طرق التجارة ، اجتمع من بقي من أشرافهم إلي أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفه بدار الندوة ولم تكن سلمت لأصحابها بعد ، فقالوا إن محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وإنا رضينا

١-رواه البخاري (٢٩١٠)

٢-السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٥٥) .

٣-كان ﷺ يخلفه للصلاة بالناس في المسجد.

أن نترك ربح أموالنا فيها ، استعداداً لحرب محمد وأصحابه ، وقد أفضي بذلك كل من له فيها نصيب ، وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الأحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب الأوسي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله ﷺ ومعه عدد ممن هم علي شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لأبي عزه الشاعر – الذي لا ينسي القارئ أن الرسول ﷺ من عليه بيدر وأطلقه من غير فداء إنك رجل شاعر فأعينا بلسانك فقال إني عاهدت محمداً ألاّ أعين عليه وأخاف إن وقُعت في يده مرة ثانية ألا أنجو فلم يزل به صفوان حتي أطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له ، اسمه وحشي ، وكان رامياً قلّما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة بعمي طعيمة فأنت حر ، ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعازف والخمور ، واصطحب الأشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتي نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة .

أما رسول الله ﷺ فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به إليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب ، محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الأخبار باقتراب المشركين ، جمع ﷺ أصحابه وأخبرهم الخبر ، وقال (إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم) .

فكان مع رأيه شيوخ المهاجرين والأنصار ورأي ذلك أيضاً عبد الله بن أبي أما الأحداث وخصوصاً من لم يشهد بدراً منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان مع رأيهم حمزة بن عبد المطلب ومازال هؤلاء بالرسول ﷺ حتي تبع رأيهم لأنهم الأكثرون عدداً والأقوون جلداً فصلي الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها علي الثبات والصبر وقال لهم (لكم النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عُدته فظاهر بين درعين وتقلد السيف وألقي الترس وراء ظهره ولما رأي ذوو الرأي من الأنصار أن الأحداث استكرهوا الرسول ﷺ علي الخروج لاموهم وقالوا ردوا الأمر لرسول الله ﷺ فما أمر ائتمرنا فلما خرج ﷺ قالوا يا رسول الله نتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتي يحكم الله بينه وبين أعدائه[1] .

١-السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٧١) ، السيرة النبوية الصحيحة (٢/٣٨٠).

ثم عقد الألوية فأعطي لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء الأوس لأسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظرا ﷺ إلي كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيلِ هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود فقال (إنّا لا نستعين بكافر علي مشرك) وأمر بردهم لأنه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطّولي في الخيانة ، ثم استعرض الجيش فرد من استصغر ، وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة بن جندبٍ ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له إنه رام ، فبكي سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردني مع أني أصرعه ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فأمرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازه ثم بات ﷺ محله ليلة السبت واستعمل علي رأس الجيش محمد بن مسلمة وعلي حرسة الخاص ذكوان بن عبد قيس وفي السحر سار الجيش حتي إذا كان بالشّوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان فعلام نقتل أنفسنا؟ فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم وبنبيكم (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧))(آل عمران:١٦٧) فقال لهم أبعدكم الله ، فسيغني الله عنكم نبيه ﷺ ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي ، همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا : بنو حارثة من الأوس ، وبنو سلمة من الخزرج ، فعصمهما الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمخذلين ، فقوم يقولون نقاتلهم ، وقوم يقولون نتركهم ، فأنزل الله في سورة النساء (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨))[١] (النساء:٨٨)

ثم سار الجيش حتي نزل الشعب من أحد[٢] وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد علي ميمنتهم [٣] خالد بن الوليد ، وعلي الميسرة عكرمه بن ابي جهل ، وعلي المشاة صفوان بن أمية .

وجعل ﷺ الزبير بن العوام بإزاء خالد ، وجعل أخرين أمام الباقين وإستحضر الرماه وكانوا خمسين رجلا يرأسهم عبد الله بين جبير الأنصاري ، فوقفهم خلف الجيش علي ظهر

١-البداية و النهاية (١٤/٤) وصحيح السيرة النبوية ص ٢٧٧ .

٢-جبل شمالي المدينة الشرقي .

٣-علي ميمنة خيل المشركين ، وعلي مسيرتها.

الجبل وقال (ولا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا) .

ثم عدل ﷺ الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقي في قلبي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتي تستوي في أقصي رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كرأس في الجسد إذا اشتكي تداعي له سائر الجسد ثم ابتدأ القتال بالمبارزة ، فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ، ثم حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله علي ، فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة ، فحمله أخ لهما اسمه أبو سعيد ، فرماه سعيد أبي طلحة بسهم قضي عليه ، فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة بن ابي طلحة وكلهم يقتلون.

وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فأراد أبوه أن يبرز فقال ﷺ (متعنا بنفسك يا أبا بكر) ثم حملت خيالة المشركين علي المسلمين ثلاث مرات وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنيل فيتقهقرون. ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدون الأشعار تهييجاً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أجول ، وبك احول[1] وفيك أُقتل ، حسبي الله ونعم الوكيل) .

وفي هذه المعمعة قُتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ سيد الشهداء غافله وحشي وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطئ ثنايا[2] بطنه الشريفة ولما قُتل حمله اللواء من المشركين ، ولم يقدر أحد علي الدنو منه ولّوا الأدبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والأسلاب ، فلما رأي ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل ، قالوا ما لنا في الوقوف من حاجة ، ونسوا أمر السيد الحكيم ﷺ فذّكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتبهون أما رئيسهم فثبت وثبت معه قليل منهم[3].

فلما رأي خالد بن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة ، وانطلق ببعض الجيش ، فقتل من ثبت من الرماة ، وأتي المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم.

١-احول : بالحاء المهملة أمنع .

٢-موضع تحت السرة وفوق العانة

٣-رواه البخاري(٣٠٣٩)

فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم ، وانتقدت صفوفهم ، واختلطوا من غير شعار ، حتي صار يضرب بعضهم بعضاً ، ورفعت إحدي نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله ، وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء ، وأشاع أن محمد ﷺ قد قُتل ، فدخل الفشل في المسلمين حتي قال بعضهم : علام نقاتل إذا كان محمد قد قُتل ؟ فارجعوا إلي قومكم يؤمنوكم وقال جماعة إذا كان محمد قد قُتل فقاتلوا عن دينكم.

وكان نتيجة هذا الفشل أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ، ورفاعة بن المعلي ، وعثمان بن عفان ، وتوجهوا إلي المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها ، فرجعوا بعد ثلاث وثبت رسول الله ﷺ ومعه جماعة ، منهم أبو طلحة الأنصاري استمر بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله ﷺ وصار يقول نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له ﷺ انثرها لأبي طلحة وكان ينظر إلي القوم ليري مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي ، لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله).

وممن ثبت سعد بن أبي وقاص فكان ﷺ يقول له (ارم سعد فداك أبي و أمي) ومنهم سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله ﷺ بالنبل حتي انفجر عنه الناس [1] .

ومنهم أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري تترس علي رسول الله ﷺ فصار النبل يقع علي ظهرهِ وهو منحن حتي كثر فيه وكان يقاتل عن الرسول ﷺ زيادة بن الحارث حتي أصابت الجراح مقاتله فأمر به فأُدني منه ووسده قدمه حتي مات وقد أصابه ﷺ شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أُبي بن خلف يريد قتله فأخذ ﷺ الحربة ممن كانوا معه وقال (خلوا طريقة) فلما قرب منه ضربه ضربه كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله ﷺ غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها .

وكان أبو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطّاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول ﷺ في حفرة منها ، فأغمي عليه ﷺ ، وخدشت ركبتاه ، فأخذ علي بيده ورفعه طلحة بن عبيد

١-صحيح السيرة النبوية ص ٢٩٦ .

الله وهما ممن ثبت حتي استوي قائماً ، فرماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيتة فتبعة حاطب بن أبي بلتعه فقتله ، وشج وجهه ﷺ عبد الله بن شهاب الزهري وجرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيها.

ومن ضربةٍ ضربه بها بن قمئة غضب الله عليه ، فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتي نزعهما ، فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ ﷺ كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ؟ فأنزل الله في سورة ال عمران (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨))(ال عمران:١٢٨).

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الأنصاري فنادي يا معشر المسلمين أبشروا فأشار إليه الرسول ﷺ أن اصمت ثم سار بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم أبوبكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه إذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول أين محمد ﷺ ، لا نجوت إن نجا فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمشي إليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم ، وكان علي يسكب الماء ، ثم أخذت قطعة من حصير فأحرقتها ووضعتها علي الجرح فأستمسك الدم ثم أراد ﷺ أن يعلو بالصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه ﷺ (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله)، فحمله طلحة بن عبيد الله حتي أصعده فنظر إلي جماعة من المشركين علي ظهر الجبل فقال (لا ينبغي لهم أن يعلونا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك) ثم أرسل إليه ﷺ عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم .

وقد أصاب المسلمين الذين كانوا يحيطون رسول الله ﷺ كثير الجراحات لأن الشخص كان يتلقي السهم خوفاً أن يصل لرسول الله ﷺ فوجد بطلحه نيف وسبعون جراحة وشلّت يده ، وأصاب كعب بن مالك سبع عشر جراحة أما القتلي فكانوا نيفاً وسبعين منهم سته من المهاجرين والباقون من الأنصار ومن المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، ومن الأنصار حنظلة بن أبي عامر ، وعمرو بن الجموح ، وابنه خلاّد بن عمرو ، وأخو زوجة والد جابر بن عبد الله فأتت زوج عمرو هند بنت عمرو بن حرام وحملتهم زوجها وابنها وأخاها علي بعير لتدفنهم بالمدينة ، فنهي ﷺ عن الدفن خارج أحد ، فرجعوا وقُتل سعد بن الربيع وارسل ﷺ من يأتيه بخبره فوجده بين القتلي وبه رمق فقيل له إن رسول الله ﷺ يسأل عنك ، فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة ، فوالله ما لكم عند الله عذر وقتل

أنس بن النضر عم أنس بن مالك فإنه لما سمع بقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده ؟ موتوا علي ما مات عليه إخوانكم فلم يزل يقاتل حتي قُتل ﷺ[1] ومقلت قريش أحد حتي إن هنداً زوج أبي سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده لتأكلها ، فلاكتها ثم أرسلتها وفعلوا قريبا من ذلك بأخوانه الشهداء ثم إن أبا سفيان صعد الجبل ونادي بأعلي صوته أنعمت فَعال إن الحرب سجال .

يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال إنكم ستجدون في قتلاكم مثلةً لما أمر بها ولم تسئوني ثم إن المشركين رجعوا إلي مكة ولم يعرجوا إلي المدينة ، وهذا مما يدل علي أن المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم ، وإلا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا علي مدينتهم ثم تفقد ﷺ القتلي وحزن علي عمه ﷺ حمزة حزناً شديداً ، ودفن الشهداء كلهم بأحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه ، وكانوا يدفنون الرجلين والثلاثة في لحد واحد لما كان عليه المسلمون من تعب فكان يشق عليهم أن يحفروا لكل شهيد حفره ولما رجع المسلمون إلي المدينة سخر منهم اليهود والمنافقون وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء والشحناء وقالوا لإخوانهم (يا أَيُّها الَّذين آمنوا لا تكونوا كالَّذين كفَروا وقَالُوا لإِخْوانهم إِذَا ضربوا في الأَرْض أَو كانُوا غُزًّى لَّو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلُوا ليجعل الله ذَلك حسرة في قُلُوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملُون بصير (١٥٦))(ال عمران:١٥٦) .

وهذا الذي ابتلي به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا **أولهما** طاعة الرسول ﷺ في أمره فقد قال للرماة لا تبرحوا مكانكم إن نحن نصرنا أو قُهرنا فعصوا أمره ونزلوا ، **والثاني** أن تكون الأعمال كلها لله غير منظورة فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون سبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتي عوقبوا وفي ذلك أنزل الله في سورة أل عمران التي فصلت غزوة أحد (ولَقَد صدقَكم الله وعده إِذْ تحسُّونهم بإِذْنه حتَّى إِذَا فَشلْتم وتنَازعتم في الأَمر وعصيتم من بعد ما أَراكم مَّا تحبُّون منكم مَّن يرِيد الدُّنْيَا ومنكم مَّن يرِيد الآخرة ثُمَّ صرفَكم عنهم ليبتليكم ولَقَد عفا عنكم والله ذو فَضل على المؤمنين (١٥٢))(ال عمران:١٥٢) ، فبسبب هذا الإبتلاء التنازع فينبغي الأتفاق والفشل فينبغي الثبات والعصيان فينبغي طاعة الرئيس

١-صحيح السيرة النبوية ص ٢٩٤ .

غزوة حمراء الأسد :

لما رجع ﷺ إلي المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين إلي المدينة ليتمموا انتصارهم ، فنادي في أصحابه بالخروج خلف العدو ، وألاّ يخرج إلا من كان معه بالأمس ، فاستجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم اقرح ، فضمدوا جراحتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه علي بن أبي طالب وولي علي المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الأسد[١] وقد كان ما ظنه الرسول حقاً فأن المشركين تلاوموا علي ترك المسلمين من غير شن الغارة علي المدينة حتي يتم لهم النصر ، فأصروا علي الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول ﷺ في أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس ، وألقي الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم إلي مكة ، وظفر ﷺ وهم في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي من عليه ببدر بعد أن تعهد ألاّ يكونٍ علي المسلمين ، فأمر بقتله ، فقال : يا محمد أقلني ، وامنن علي ، ودعني لبناتي وأعطيك عهداً ألا اعود لمثل ما فعلت ، فقال ﷺ (لا والله لا تمسح عارضيك بمكة) تقول خدعت محمداً مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه [٢] وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف ، فإن الرجل الذي لا يحترز مما أُصيب منه ليس بعاقل ، فلا بد من الحزم لإقامة دعائم الملك .

حوادث وقعت في ذلك الزمان :

وفي هذه السنة زوج ﷺ ابنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية عنده ، ولذلك كان يسمي ذا النورين وفيها تزوج ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأُمها أخت عثمان بن مظعون ، وكانت قبلة تحت خنيس بن حذاقة السهمي ﷺ ، فتوفي عنها بجراحة أصابته ببدر ، وفيها تزوج ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال بن عامر ، كانت تدعي في الجاهلية أم المساكين لرأفتها وإحسانها إليهم ، وكانت قبله تحت عبد الله بن حجش ، فقتل عنها بأحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها ، وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيها حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج ، لما كان عليه العرب من المحبة الشديد لها فيصعب إذن تحريمها دفعة واحدة ، وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنه لأن المنكر إذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع علي تقبيحها ، كان ذلك أشد تأثيراً في النفس فأول ما بين فيها قوله تعالي في سورة البقرة (إِنَّا

١-موضوع علي ثمانية أميال من المدينة بطريق مكة .

٢-رواه البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨)

أَرسلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً ونَذِيراً ولاَ تُسأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ (١١٩))(البقرة:٢١٩) فمنفعة الميسر التصدق بربحه علي الفقراء كما كانت عادة العرب ، ومنفعة الخمر تقوية الجسم ، ولما شربها بعض المسلمين وخلط في القراءة حرمت الصلاة علي السكران فقال تعالي في سورة النساء (يا أَيُّها الَّذِين آمنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وأَنْتم سكَارى حتَّى تعلَموا ما تَقُولُون ولا جنباً إِلاَّ عابِرِي سبِيلٍ حتَّى تَغْتَسِلُوا وإِن كُنتم مَّرضى أَو علَى سفَرٍ أَو جاءَ أَحَدٌ منكُم مِّن الغَائطِ أَو لاَمستُم النِّسَاء فَلَم تَجِدوا ماءً فَتيمَّموا صعِيداً طَيباً فَامسحوا بِوجوهِكُم وأَيدِيكُم إِنَّ اللَّه كَان عَفُواً غَفُوراً (٤٣))(النساء:٤٣) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين علي إخوانهم حرمت قطعيا بقوله تعالي في سورة المائدة(إِنَّما يرِيد الشَّيطَان أَن يوقِع بينَكُم العداوةَ والْبغْضَاء فِي الخَمرِ والْميسرِ ويصدَّكُم عَن ذِكرِ اللَّه وعَنِ الصَّلاَة فَهلْ أَنتُم مُّنتَهُون (٩١) وأَطيعوا اللَّه وأَطيعوا الرَّسول واحذَروا فَإِن تولَّيتم فَاعلَموا أَنَّما علَى رسولِنَا البلاَغُ المبِين (٩٢)) (المَائدة:٩١/٩٢) وقد أجاب المسلمون علي ذلك بقولهم انتهينا ، فليجب المسلمون الآن.

حوادث السنة الرابعة : سرية أبي سلمة إلي قطن[١] :

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد الأسديين يدعوان قومهما بني أسد لحربه ﷺ فدعا أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وعقد له لواء وقال له (سر حتي تنزل أرض بني أسد بن خزيمة فأغر عليهم) وأرسل معه رجالا ، فسار في هلال المحرم حتي بلغ قطناً [٢] فأغار عليهم ، فهربوا من منازلهم ، ووجد أبو سلمة إبلا وشياه فأخذها ، ولم يلق حرباً ، ورجع بعد عشر أيام من خروجه .

وفي بدئها بلغه ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرنة[٣] يجمع الجموع لحربه فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني وحده ليقتله ، فاستأذن رسول الله ﷺ يتقول حتى يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فرخ لخمس خلون من المحرم ، ولما وصل إليه قال سفيان ممن الرجل ؟ قال من خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك ، فقال له أجل إني لفي الجمع له ، فمشي عبد الله معه وحدثه وسفيان يستحلي حديثة ، فلما انتهي

١-الطبقات لابن سعد (٦٨/٢)

٢-جبل لبنى أسد بناحية فيد شرقي المدينة .

٣-موضع قريب من عرفات .

إلي خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبد الله حتي نام ، فقام وقتله ، ثم ارتحل حتي أتي المدينة ، ولم يلحقه الطلب وكفي الله المؤمنين القتال.

سرية عاصم بن ثابت الأنصاري:

في صفر أرسل ﷺ عشرة رجال عيوناً علي قريش ، مع رهط عضل والقارة الذين جاءوا رسول الله ﷺ يطلبون من يفقههم في الدين ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري ، فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتي إذا كانوا بالرجيع [1] غدر بهم أولئك الرهط ، ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلي ، الذي كان قتله عبدالله بن أنيس ، فنفروا إليهم فيما يقترب من مائتي رام ، واقتفوا آثارهم حتي قربوا منهم ، فلما أحس بهم رجال السرية لجأوا إلي جبل هناك ، فقال لهم الأعداء : انزلوا ولكن العهد ألاّ نقتلكم ، فنزل إليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم ، وقاتلهم الباقون ، ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأي الثلاثة الذين سلّموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه ، وأما الاثنان[2] فباعوهما بمكة ممن كان له ثأر عند المسلمين وهناك قُتلا وقد قال أحدهما وهو حبيب بن عدي حين أرادوا قتله :

ولست أبالي حين أقُتل مسلماً ... علي أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علي أوصال شلوٍ ممـزع[3]

سرية المنذر بن عمرو ومعه القراء إلي بئر معونة :

في صفر وفد علي رسول الله ﷺ أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة وهو من رءوسٍ بني عامر ، فدعاه ﷺ إلي الإسلام فلم يسلم ولم يبعد ، بل قال إني أري أمرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالا من أصحابك إلي أهل نجد فدعوهم إلي أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال ﷺ (إني أخشي عليهم أهل نجدٍ) فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن عمرو في سبعين من أصحابه كان يسمون القرّاء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن ، فساروا حتي نزلوا بئر معونة[4] .

١-ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان .

٢-الأثنان هما خُبيب بن عدي ،وزيد بن الدثنة .

٣-رواه البخاري(٤٠٨٩)

٤-شرقي المدينة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم .

فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلي عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، فلما وصل إليه لم يلتفت إلي الكتاب بل عدا علي حرام فقتله ، ثم استصرخ علي بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا أن يغفروا جوار ملاعب الأسنة ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم علي وذكوان وعصية فأجابوا وذهبوا معه حتي إذا التقوا بالقرّاء أحاطوا بهم ، وقاتلوهم حتي قتلوهم عن آخرهم ، بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ، ولم ينج إلا كعب بن زيد وقع بين القتلي حتي ظن أنه منهم ، وعمرو بن أمية كان في سرح القول ، وأُبلغ ﷺ خبر القراء فخطب في أصحابه وكان فيما قال (إن اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم) وإنهم قالوا ربنا بلّغ قومنا أنّا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضي عنا[1] وكان وصول خبر هذه السرية وسريةٍ الرجيع في يوم واحد ، فحزن عليهم ﷺ حزناً شديداً وأقام يدعو علي الغادرين بهم شهراً في الصلاة.

غزوة بني النضير[2]:

ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتي تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر، يظنون من ورائه النجاح ، فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم ، وهذا ما حدث ليهود بني النضير حلفاء الخزرج ، الذين كانوا يجاورون المدينة ، فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الأخر ، ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهود حسداً منهم وبغياً ، فبينما رسول الله ﷺ وبعض من أصحابه في ديار بني النضير إذ ائتمر جماعة منهم علي قتله بأن يأخذ واحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فأطلع ﷺ علي قصدهم ، فرجع وتبعه أصحابه ، ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم (اخرجوا من بلادي فقد هممتم من الغدر) إذا الحزم كل الحزم ألا يتهاون الإنسان علي من عرف منه الغدر: فتهيأ القوم للرحيل، فأرسل لهم إخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢)) (الحشر:١١/١٢)

١-البخاري (٤٠٨٦/٣٩٨٩)

٢-زاد المعاد (٢٤٨/٣)

ولكن اليهود طبعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء ، فأمر ﷺ بالتهيؤ لقتالهم ، فلما اجتمع الناس خرج بهم ، واستعمل علي المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطي رايته علياً ، أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم ، وظنوا أنها مانعتهم من الله ، فحاصرهم ﷺ ست ليال ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون أدعي إلي تسليمهم ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، ولم يروا من عبد الله بن أبي مساعدة.

بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم ، فسألوا رسول الله ﷺأن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا ألة الحرب ففعل ، وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون

ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ، ومنهم أكابرهم حيُّ بن أخطب ، وسلاّم بن أبي الحقيق ، ومنهم من سار إلي أذرعات بالشام ، وأسلم منهم أثنان : يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ، ولم يخمس رسول الله ﷺ ما أخذ من بني النضير فإنه فيء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، ومثل هذا يكون لمعدات الحرب ، وللرسول يطعم منه أهله ، ولذي القربي واليتامى والمساكين وابنِ السبيل كما قال تعالي في سورة الحشر (ما أَفَاء اللَّه عَلَى رَسُوله مِنْ أَهْل القُرى فَلِلَّه وللرَّسُولِ ولذي القُرْبى واليتامى والْمساكِين وابنِ السَّبِيل كي لا يكونَ دولَةً بَين الأَغْنياء منكُمَ ومَا آتاكم الرَّسول فخذوه وما نهاكم عنَه فَانتهوا واتَّقوا اللَّه إنَّ اللَّه شديد العقَاب (٧))(الحشر:٧) أعطي ﷺ من هذه الفيء فقراء المهاجرين ، الذين أخرجوا مَن ديارهمَ وأموالهم وردوا لإخوانهم من الأنصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ ﷺ أرضاً يزرعها ويدخر منها قُوت أهله عاماً.

غزوة ذات الرقاع:

في ربيع الأخر بلغه ﷺ أن قبائل من نجد يتهيأون لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل ، وولّي علي المدينة عثمان بن عفان ، ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا ديار القوم ، فلم يجدوا فيها أحداً غير نسوة فأخذهن ، فبلغ الخبر رجالهم ، فخافوا وتفرقوا في رءوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاءوا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف ﷺ أن يغدر بهم الأعداء وهم يصلّون ، صلي بالمسلمين صلاة الخوف ، فألقي الله الرعب في قلوب الأعداء ، وتفرقت جموعهم خائفين منهﷺ ، ومال الإمام البخاري إلي أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة و أجمع أهل السير خلافه.

غزوة بدر الأخرة :

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان ، فإنه بعد إنقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل ، فأجابه الرسول ﷺ إلي ذلك وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجارة فيه ثمانياً فلما حل الأجل وقريش مجدبون لم يتمكن أبو سفيان من الوفاء بوعده فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فأستأجر نعيم بن مسعود الأشجعي ، ليأتي ويرجف أبو سفيان من الجموع العظيم ، فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)) (ال عمران:١٧٣) ولم يلتفت ﷺ لهذا الإرجاف اتكالا علي ربه ، بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف علي المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي ولم يزالوا سائرين حتي أتوا بدراً .

فلم يجدوا بها احد لأن ابا سفيان اشار علي قريش بالخروج علي نية الرجوع بعد مسيرة ليلة أو ليلتين ظانّا أن إرجاف نعيم يفيد ، فيكون المخلف هم المسلمون ، فسار حتي أتي مجنة وهي سوق معروفة من ناحية مر الظهران فقال لقومه إن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)) (ال عمران:١٧٤) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لأبي سفيان قد لهيتك أن تعد القوم قد اجترأوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم .

حوادث :

في هذا العام ولد الحسين بن علي ، وفيه توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين ، وفيه توفي أبو سلمة ﷺ ابن عم [1] رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، وأول من هاجر إلي الحبشة وفيه تزوج ﷺ أم سلمة هنداً زوج أبي سلمة بعد وفاته.

السنة الخامسة : غزوة دومه الجندل [2] :

في ربيع الأول من هذا العام بلغ النبي ﷺ أن جمعاً من الأعراف بدومة الجندل يظلمون من مر بهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز لغزوهم وخرج في ألف من أصحابه ، بعد أن ولي المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويمكن النهار حتي قرب

١-وهي برة بنت عبد المطلب .

٢-مدينة بينها وبين دمشق خمس أميال وبينها وبين طيبة (المدينة المنورة) خمس عشرة ليلة (وتسمي الأن مدينة الجوف).

منه ، فلما بلغهم الخبر تفرقوا ، فهجم المسلمون علي ماشيتهم ورعائهم ، فأصيب من أصيب ، وهرب من هرب ، ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحدا ، وبث السرايا فلم يجد منهم أحدا فرجع ﷺ غانماً ، وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الغزاري ، وهو الذي كان يسميه ﷺ الأحمق المطاع لأنه كان يتبعه ألف قناة ، وأقطعه ﷺ أرضا يرعي فيها بهمه علي بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لأن أرضه كانت قد أجدبت.

غزوة بني المصطلق:

في شعبان بلغه ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار ، سيد بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً علي حرب المسلمين في أحد ، يجمع الجموع لحربه ، فخرج له ﷺ في جمع كثير ، وولي علي المدينة زيد بن حارث ، وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة وخرج معه أناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة مثلها يريدون أن يصيبوا من عرض الدنيا ، وفي أثناء مسيره ﷺ التقي بعين[1] بني المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجئ المسلمين لحربه ، وأنهم قتلوا جاسوسه ، خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتي تفرق عنه بعضهم ، ولما وصل المسلمون إلي المريسيع[2] تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الإسلام فلم يقبلوا ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء والذرية ، واستاقوا الإبل والشياه وكانت الإبل ألفي بعير والشياه خمسة الأف، وإستعمل الرسول ﷺ علي ضبطها مولاه شقران ، وعلي الأسري بريده وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم.

وقد أخذ من قومها مائتا بيت أسري وزعت علي المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهي الكرم ، فإن بني المصطلق من أعز العرب دارا فأسر نسائهم بهذه الحال صعب جدا فأراد ﷺ أن يجعل المسلمين يمنّون علي النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم ، فتزوج بره بنت الحارث التي سماّها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله ﷺ لا ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أيمن امرأة علي قومها كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم

١-العين: الجاسوس

٢-ماء لخزاعة علي يوم من الفرع .

وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم، وقد حصل في هذه الغزوة نادرتان ، لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله ﷺ لعادتا بالتفريق علي المسلمين.

النادرة الأولي(المنافقون في هذه الغزوة): أن أجيرا لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج ، فضرب الأجير الحليف حتي سال دمه ، فأستصرخ بقومه الخزرج ، واستصرخ الأجير بالمهاجرين ، فأقبل الزعر من الفريقين ، وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال (ما بال دعوي الجاهلية) وهي ما يقال في الأستغاثة يا لفلان فأخبر الخبر فقال (دعوا هذه الكلمة فأنها منتنة) ثم كلم المضروب حتي أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنه فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقالا ما رأيت كاليوم مذّلة أو قد فعلوها ؟ نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك أما والله (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المدينَة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منْهَا الأَذَلَّ ولله العزَّةُ ولرسوله وللْمُؤْمنين ولَكنَّ المنَافقين لا يعلَمون (٨)) (المَنافقون:٨) ثم التفت إلي منَ مَعهَ وقالَ هذاَ مَا فَعلتمَ بأنفسكَم ، أحلَلتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلي غير داركم ثم له يرضوا بما فعلتم حتي جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فأيتمتم أولادكم ، وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتي ينفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديثُ السن قوي الإسلام اسمه زيد بن أرقم ، فأخبر رسول الله ﷺ الخبر فتغير وجهه وقال (يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت) فقال والله لقد سمعته قال (لعلّه أخطأ سمعك) فأستأذن عمر الرسول ﷺ في قتل ابنٍ أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك وقال (كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه) ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك ﷺ شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع ، فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الإرتحال في هذا الوقت فقال (أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال أنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم سار ﷺ بالناس سيراً حثيثاً حتى أذتهم الشمس ، فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجودا مس الأرض حتي وقعوا نياماً ، وكلم رجال من الأنصار عبد الله بن أبي في أن يطلب من الرسول ﷺ الاستغفار فلوي رأسه واستكبر وهنا نزل علي الرسول ﷺ سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي وإخوانه وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي أستأذن رسول الله ﷺ

في قتل أبيه حذراً من أن يكلفّ بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد ، فأمره ﷺ بالإحسان إلي أبيه[1] .

النادرة الثانية (حادثة الأفك[2]): بعد غزوة بني المصطلق وفي طريق العودة استراح الجيش بعض الوقت ، وبعد فترة استعدوا للرحيل وبدأ الرجال يرحلون ، وذهب بعض المسلمين إلي هودج السيدة عائشة رضي الله عنها وهي زوج الرسول ﷺ وتعتبر هذه الحادثة هي أشد من النادرة الأولي وأجلب منها للمصائب وهي رمي عائشة الصديقة زوج رسول الله ﷺ بالأفك ، فأتهموها بصفوان بن المعطّل السلمي وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن ﷺ ليلة بالرحيل وكانت السيدة عائشة قد مضت لقضاء حاجتها حتي جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلي رحلها ، فلمست صدرها فإذا عقدُ لها من جزع ظفار[3] قد انقطع فرجعت تلتمسِ عقدها فحبسها ابتغاؤه . فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها ، فاحتملوا هودجها ظَانين أنها فيه لأن النساء كن أن ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم ، فلم يستنكر القوم خفّه الهودج ، وكانت عائشة جارية حديثة السن ، فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب.

فغلبتها عيناها فنامت ، وكان الذي يسير وراء الجيش يفتقد ضائعة صفوان المعطّل فأصبح عند منزلها فعرفها كان رم فاقبل الحجاب فاسترجع ، فاستيقظت باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها ، فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتي وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الإفك ، وقالوا ما قالوا في عائشة وصفوان والذي تولّي كبر الإفك عبد الله بن أبيٍ .

ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون في قولِ الإفك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف في رسول الله ﷺ رقة إذا مرضت فلم يعطيها نصيباً منها في هذا المرض بل كان يمر علي باب الحجرة لا يزيد علي قوله ﷺ كيف يومكم ؟ مما جعلها في ريب عظيم فلما نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الأفك للتبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطحٍ في مرطها فقالت تعس مسطح فقال عائشة رضي الله عنها بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت يا هنتاه أولم تسمعي ما قالوا فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً علي مرضها .

١-صحيح السيرة النبوية (٢/٤٠٩).

٢- رواه البخاري (٤٧٥٧) .

٣- الجزع ، الخرز ، ظفار مدينة باليمن.

ولما جاءها ﷺ كعادته استأذنته تمرض في بيت أبيها ، فأذن لها فسأل أمها عما يقول الناس ، فقالت يا بنية هوني عليك ، فوالله لقلّما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ؟ وبكت تلك الليلة حتي أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان ﷺ يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل ، فقال له أسامة لما يعلمه من براءة عائشة أهلك ولا نعلم عليهما إلا خيراً وقال علي أبي طالب لم يضّيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك فدعا ﷺ بريرة جارية عائشة وقال لها هل رأيت من شيء يريبك ؟ فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قطّ أغمضه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكله فقام ﷺ من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال (من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟) والله ما علمت علي أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل علي أهلي إلا معي ، فقال سعد بن معاذ أنا يا رسول الله أعذرك منه فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر علي قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أنه يقُتل ، فقام أسيد بن حضير ، وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين .

وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول اللهﷺ نزل من فوق المنبر وخَفّضهم حتي سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وبينما هي مع أبويها إذ دخل النبي ﷺ فسلم ثم جلس فقال (أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاسغفرى الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف وتاب ،تاب الله عليه)

فتقلص دمع عائشة وقالت لأبويها أجيبا رسول الله ﷺ فقالا والله ما ندري ما نقول فقالت إن والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتي استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إن بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فو الله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حيث قال (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨))(يوسف:١٨).

ثم تحولت واضطجعت علي فراشها ، ولم يزاول رسول الله ﷺ مجلسه حتي نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقة (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

مِّنكُمْ لا تَحسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَولا إِذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المؤمنونَ والمؤمِنَاتُ بِأَنفُسِهِم خَيراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَولا جَاءُوا عَلَيهِ بِأَربَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَم يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الكَاذِبُونَ (١٣) وَلَولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيكُمْ وَرَحمَتُهُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُم فِي مَا أَفَضْتُم فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّونَهُ بِأَلْسِنَتِكُم وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَولا إِذْ سَمِعتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمُونَ (١٩) وَلَولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيكُمْ وَرَحمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيكُمْ وَرَحمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّن أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١))(النور:١١-٢١) فسر رسَول الله ﷺ وعادت الفرحة للمسلمين جميعا ، وبشرَ عائشَة بالبراءة ، فقالت لها أمها قومي واشكري رسول الله ﷺ فقالت لا والله لا أشكر إلا الله الذي برأني .

وبعد ذلك أمر ﷺ بأن يجلد من صرح بالإفك ثمانين جلدة ، وهي حد القذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت حجش ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت، وكان أبو بكر ينفق علي مسطح بن أثاثة لقرابته منه ، فلما تكلم بالأفك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعفُوا وَلْيَصفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢٢))(النور:٢٢) فَقَالَ أبوَ بكر بل نحب ذلك يا رسَول الله وأعادَ النفقة علي مسطح (ابنَ خالة أبي بكر ﷺ) .

فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن ، فمتي رأوا باباً لها ولجوه فنعوذ بالله منهم .

غزوة الخندق (الأحزاب) [1] :

لم يقر لعظماء بني النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وإرث المسلمين لها ، بل كان في نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثأرهم ويستردوا بلادهم ، فذهب جمع منهم إلي مكة ، وقابلوا

١-البداية والنهاية (٤/١٠٥) .

رؤساء قريش ، وحرضوهم علي حرب رسول الله ﷺ ومنّوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ، ثم جاءوا إلي قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمتابعة قريش لهم الحرب ، فوجدوا منهم ارتياحاً ، فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان ، ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري ، وعددهم أربعة ألاف ، معهم ثلاثمائة فرس ، وألف بعير.

وتجهزت غطفانٍ يرأسهم عيينةُ بن حصن الذي جازي إحسان رسول الله ﷺ كفراً فإنه كما قدمنا أقطعه أرضاً يرعي فيها سوائمه ، حتي إذا سمن خفّه وحافره قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه ، وكان معه ألف فارس .

وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث بن عوف المري وهم أربعمائة ، وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن زخيلة ، وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس ، وهم سبعمائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي ، وعدة الجميع عشرة الأف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه ﷺ أخبار كافة التجهيزات ، استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرّار ؟ فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عملٍ لم تكن العرب تعرفه ، فأمر ﷺ المسلمين بعمله ، وشرعوا في حفره شمالي المدينة من الحرةّ الشرقية إلي الحرة الغربية[1] وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتي المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكه بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها ، وقد تحمل المسلمون صعوبات جسيمة في حفر الخندق لأنهم لم يكونوا في سعة من العيش حتي يتيسر لهم العمل ، وعمل معهم ﷺ فكان ينقل التراب متمثلا بشعرِ ابن رواحة :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينـــا
فأنزلن سكينـــــة علينـــــا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةُ أبينـــا[2]

وأقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره إلي سلع وهو جبل مطل علي المدينة وعدتهم ثلاثة الأف ،وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ، ولِواء الأنصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الأسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين

١-الحرة: أرض ذات حجارة سـود نخره كأنها أحرقت بالنار ، والجمع الحرار والحرات ، والحرة الشـرقية هي حرة واقم ، والغربية هي حرة الوبرة وتقع المدينة المنورة بينهما .

٢-رواه البخاري (٣٧٩٧/٢٨٣٧).

بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها ، فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم ، أكره جماعة منهم أفراسهم علي اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن عبد ود وأخرون ، وقد برز علي بن أبي طالب ﷺ لعمرو بن عبد ود فقتله وهرب إخوانه ، وهوي في الخندق نوفل بن عبد الله ، فاندقت عنقه ، ورمي سعد بن معاذ ﷺ بسهم قطع أكحله ، وهو شريان الزراع ، واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوماً كاملاً حتي فاتت المسلمين صلاة ذاك اليوم وقضوها بعد ، وجعل ﷺ علي الخندق حرساً حتي لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثُلمة[1] فيه مع شدة البرد وكان ﷺ يبشر أصحابه بالنصر و الظفر ويعدهم الخير.

اما المنافقون فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنّه ضمائرهم حتي قالوا(وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وعدنا اللَّه ورسولُه إلاَّ غُرُوراً (١٢))(الأحزاب:١٢) وانسحبوا قَائلين إن بيوتنَا عورةٌ نَخافُ أن يغير إليها العدو (وإذْ قَالَت طَّائِفَةٌ منهم يا أَهْلَ يثْرِب لا مُقَامَ لَكُم فَارجعوا ويستأْذنُ فَرِيقٌ منْهُم النَّبيَّ يقُولُون إنَّ بيوتنا عورَةٌ ومَا هي بعورةٍ إن يريدون إلاَّ فرارا (١٣))(الأحزَاب:١٣) واشتدَت الحال بالمَسلمين فإن هذا الحصارَ ضيَق علىَ فقراءَ المدينةَ والذَي زادا الشدة عليها ما بلغهم من أن يهود بني قريظة الذين يساكنونهم [2] في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود[3] وسبب ذلك أن حيي بن أخطب سيد بني النضير المجلين توجه إلي كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وكان كالشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتي أجابه لقتال المسلمين.

ولما بلغت هذه الأخبار رسول الله ﷺ أرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً علي النساء والذراري وأرسل الزبير بن العوام يستجلي له الخبر، فلما وصلهم وجدهم حانقين ، يظهر علي وجوههم الشر ، ونالوا من رسول الله ﷺ والمسلمين أمامه فرجع وأخبر رسول الله ﷺ بذلك .

وهنالك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً لأن العدو وجاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون ، وتكلم المنافقون بما بدالهم ، فأراد ﷺ أن يرسل لعيينه بن حصن ويصالحه علي ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان ، فأبي

١-الثلمة : الخلل في الحائط وغيره .

٢-لم يساكنوا المسلمين في المدينة بل كانوا يسكنون خارج المدينة.

٣-البداية والنهاية (٤/٩٥)

الأنصار ذلك قائلين إنهم لم يكونوا ينالون منا قليلاً من ثمارنا ونحن كفار ، أفبعد الإسلام يشاركوننا فيها وإذا أراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب النصر من حيث لا يعلمون ، فانظر إلي هذه العناية من الله للمتمسكين بدينه القويم والآخذين بأسباب النصر .

جاء نعيم بن معود الأشجعي وهو صديق قريش واليهود دون غطفان فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وقومي لا يعلمون بإسلامي فُمرني بأمرك حتي أساعدك فقال أنت رجل واحد وماذا عسي أن تفعل ولكن خذّل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة.

الخدعة في الحرب :

فخرج من عنده وتوجه إلي بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين ، فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم ، فقال يا بني قريظة تعرفون ودي لكم وخوفي عليكم وإني محدثكم حديثا فاكمتوه عني ، قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع و النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وإن قريشا وغطفان ليسوا مثلكم فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها إلا انصرفوا لبلادهم ، وأما أنتم فتساكنون الرجل يريد الرسول ﷺ ولا طاقة لكم بحربه وحدكم ، فأري ألا تدخلوا في هذه الحرب حتي تستيقنوا من قريش غطفان أنهم لم يتركوكم ويذهبوا إلي بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفا منهم[1] فاستحسنوا رأيه وأجابوه إلي ذلك.

ثم قام من عندهم وتوجه إلي قريش فاجتمع برؤسائهم وقال أنتم تعرفون ودي لكم ومحبتي إياكم وإني محدثكم حديثا فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم إن بني قريظة قد ندموا علي ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه فقالوا له أيرضيه أن نأخذ جمعا من أشرافهم ونعطيهم لك ، وترد جناحنا الذي كسرت يريد بني النضير فرضي بذلك منهم ، وها هم مرسلون إليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفا ثم أتي غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبره به قريشا فأرسل أبو سفيان وفدا لقريظة يدعوهم للقتال غدا فأجابوا إنا لا يمكننا أن نقاتل في السبت وكان إرساله لهم ليلة السبت ولم يصيبنا ما أصابنا إلا من التعدي فيه ، ومع ذلك فلا نقاتل حتي تعطونا رهائن منكم حتي لا تتركونا وتذهبوا إلي بلادكم فتحققت قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضا[2]

١-ابن هشام : فلا تلوا مع القوم حتي تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم .

٢-البداية والنهاية (١١٣/٤) .

وكان ﷺ قد ابتهل إلي الله الذي لا ملجأ إلا إليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله دعاءه ﷺ فأرسل علي الأعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدلهمة فأجمعوا أمرهم علي الرحيل قبل أن يصبح الصباح ولما سمع ﷺ الضوضاء في جيش العدو ، قال لأصحابه (لابد من حادث ، فمن منكم ينظر لنا خبر القوم) فسكتوا حتي كرر ذلك ثلاث وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال ﷺ (تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب) فقال يا رسول الله البرد الشديد فقال (اذهب في حاجة رسول الله ، واكشف لنا خبر القوم) فخاطر ﷺ بنفسه في خدمه نبية ﷺ حتي اطلع علي جلية الخبر وأن الأعداء عازمون علي الرحلة .

هزيمة الأحزاب :

قد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه ، وليمسك بيده حذراً من أن يدخل بينكم عدو ، وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل ، فقال له صفوان بن أمية إنك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي ، فنزل أبو سفيان وأذن الرحيل ، وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتي لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الأحزاب من عرب ويهود علي المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منّةً منه وفضلاً لساءت الحال وكان جلاء الأحزاب في القعدة وكان حقاً علي الله أن يسميه نعمه بقوله في سورة الأحزاب (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً (١٣))(الأحزاب٩/١٣).

غزوة بني قريظة :

لما رجع ﷺ بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب ، أمره الله باللحوق ببني قريظة حتي يطهر أرضه من قومه لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون

جانبهم في شدة فقال لأصحابه (لا يصلّين أحدمنكم العصر إلا في بني قريظة) [1] فساروا مسرعين ، وتبعهم ﷺ راكباً علي حماره ، ولواؤه بيد علي بن أبي طالب ، وخليفته علي المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ، وكان عدد المسلين ثلاثة ألاف وقد أدرك جماعة من الأصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاّها بعضهم حاملين أمر الرسول ﷺ بعدم صلاتها علي قصد السرعة ، ولم يصلّها الآخرون إلا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الأمر علي حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم .

ولما رأي بنو قريظة جيش المسلمين ألقي الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو أخر ولكن أنّي لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم ؟ فلما رأوا ذلك تحصنوا لحصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة فلما رأوا أن لا مناص من الحرب وأنهم إن استمروا علي ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين أن ينزلوا علي ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول الله ﷺ فطلبوا أن يجلوا بأنفسهم من غير مال ولا سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لابّد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً منِ حلفاء بني قريظة ، له بينهم أولاد و أموال.

فلما توجه إليهم استشاروه النزول علي حكم الرسول الله ﷺ فقال لهم انزلوا ، وأومأ بيده إلي حلقة يريد أن الحكم الذبح ، ويقول أبو لبابة لم أبارح موقفي حتي علمت أني خنت الله ورسوله ، فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلاً من مقابلة رسول الله ، وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتي يقضي الله فيه أمره ولما سأل عنه ﷺ اخبر بما فعل فقال (أما لو جاءني لاستغفرت له ، أما وقد فعل فنتركه حتي يقضي الله فيه) .

ثم إنِ بني قريظة ، لما لم يروا بداً من النزول علي حكم رسول الله ﷺ فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا ، فجاءه رجال من الأوس و سألوه أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج ، فقال لهم (ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم) فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي أصيب به في الخندق ، وكان مقيم بخيمة في المسجد معده لمعالجة الجرحى ، فأرسل ﷺ من يأتي به ، فحملوه علي حماره

١-رواه البخاري (٤١١٩) .

والتف عليه جماعة من الأوس يقولون له أحسن في مواليك ألا تري ما فعل ابن أبي في مواليه فقال رضي الله عنه لقد آن لسعد ألاّ تأخذه في الله لومه لائم ولما أقبل علي الرسول ﷺ وأصحابه وهم جلوس ، قال ﷺ (قوموا إلي سيدكم فأنزلوه) ففعلوا وقالوا له إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيه ، وقال له الرسول ﷺ احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله ﷺ وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا :نعم, فالتفت إلى التي فيها الرسول ﷺ وقال وعلي من هنا كذلك ؟ وهو غاض طرفه إجلالاً فقالوا نعم فقال فإني أحكم أن تقتلوا الرجال وتسبوا النساء والذرية فقال ﷺ لقد حكمت فيهم لحكم الله يا سعد[1] لأن هذا جزاء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم ، فكانت ألفا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثاً كثيراً وآنية وأجمالاً نواضح[2] وشياهاً ، فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للرجل ثلث الفارس وأعطي النساء اللاتي يمرضن الجرحى ووجد في الغنيمة جرار خمر فأريقت وبعد تمام هذا الأمر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات ﷺ وأرضاه كان في الأنصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان ﷺ يحبه كثيراً وبشره بالجنة علي عظيم أعماله.

وعقب رجوع المسلمين إلي المدينة تاب الله علي أبي لبابة بقوله (وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢))(التوبه:١٠٢) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت فيها الذلة وتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ولم يبق إلا بقية من كبارهم بخيبر مع أهلها وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب .

زواج زينب بنت جحش [3]:

في هذا العام تزوج ﷺ زينب بنت جحش أمها أميمة عمته ﷺ بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها زيد أن رسول الله ﷺ خطبها له فتأنف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم فأن العرب كان يكرهون تزويج بناتهم من المولي ويعتقدون أن لا كفؤ

١-رواه البخاري (٤١٢٢) .

٢-نواضح : جمع ناضح وهو البعير الذي يستقي عليه الماء .

٣-البخاري (٤٧٨٧ ، ٧٤٢٠) .

من سواهم لبناتهم ، وزيد وإن كان الرسول ﷺ تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالأشرف ، فلما نزل قوله تعالي في سورة الأحزاب (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مُّبيناً (٣٦))(الأحزاب:٣٦) لم يروا بدا منَ القبولَ فلما دخل عليها زيد أرته من كبريائهم وعظمتها مالم يتحمله فاشتكاها لرسول الله ﷺ فأمره باحتمالها والصبر عليها إلي أن ضاقت نفسه فأخبره بالعزم علي طلاقها وكرر ذلك ، ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجتين ضربا من العبث ، أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسما لهذا الشقاق.

من جهة وحفظا لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولي من جهة أخري ولكن رسول اللهﷺ خشي من لوم اليهود و العرب له في زواجه بزوج ابنه فقال لزيد (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧))(الأحزاب:٣٧) وأخفيَ في نفسه مَا أَبداه الله فَبتَ الله حكمه بإبطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبني بقوله في سورة الأحزاب (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧))(الأحزاب:٣٧) ثم إن الله حرم التبني علي المسلمين لمَا فيه من الأضرار وأنزل فيه في سورة الأحزاب (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠))(الأحزاب:٤٠) . ومَن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدلَ (زيد بن محمد) وأبدل ذلك أن ذكر اسمه في قرأن يتلي علي مر الدهر والعصور إلي قيام الساعة.

يقول المؤرخون : وذووا المقاصد الوضيعة منهم في هذه القصة أقوالا لا تجوز إلا ممن ضاع رشده ، ولم يفقه حقيقة ما يقول ، فإنهم يذكرون أن رسول الله ﷺ توجه يوما لزيارة زيد فرأي زوجة مصادفة لأن الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه ، فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأي من الواجب عليه فراقها ، فتوجه وأخبر الرسول ﷺ بعزمه فنهاه عن ذلك.

وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستره الوجوه وزينب بنت عمته أسلمت قديماً ورسول الله ﷺ بمكة فكيف لم يرها وقد مضي علي إسلامها نحو عشر سنوات

وهي بنت عمته إلا حينما رفعت الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذي زوجها زيد فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها وهو ولا مانع يمنعه من ذلك .

ومن منا يتصور السيد الأكرم يقول لقومه إنه مرسل من ربه ، ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله بقوله في سورة الحجر المكية (لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨))(الحجر:٨٨) وفي سورة طه المكية (ولا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١))(طه:١٣١) ثم هو بعد ذلك يدخل بنت رجل من متبعيه وينظر إلي زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها إن هذا لأمر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثل ذلك من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن اجتمعت كلمة المؤرخين علي أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنايا ، وأشدهم ذكاء وفراسة حتي مدحه ربه بقوله في سورة ن (وإنَّك لعلى خُلُقٍ عظيم (٤))(القلم:٤).

لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها إلي أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل ، فلم تبقي شبهة في أن الحقيقة ما نقلناه لك أولا وهو الذي يستفاد من القرآن الكريم قال تعالي في سورة الأحزاب(وإذْ تقُول للَّذي أنْعم اللَّه عليْه وأنْعمت عليْه أمسك عليْك زوْجك واتَّق اللَّه وتُخْفي في نفْسك ما اللَّه مبديه وتَخْشى النَّاس واللَّه أحقُّ أن تخْشاه فلمَّا قضى زيدٌ منْها وطرًا زوَّجْناكَها لكي لا يكون على المؤْمنين حرجٌ في أزْواج أدْعيائهم إذا قضَوْا منْهنَّ وطرًا وكان أمر اللَّه مفْعولاً (٣٧))(الأحزاب:٣٧) والذي أبداه الله هو زواجه بها ﷺ ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد ودليل.

الحجاب:

فيه نزلت أية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله ﷺ وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه قران وكان يقول لو أطاع فيمكن ما رأتكن عين فنزلت في سورة الأحزاب (يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تدْخُلُوا بيُوت النَّبي إلاَّ أن يؤْذن لكُمْ إلى طعام غيْر ناظرين إناه ولكنْ إذا دعيتُمْ فادْخُلُوا فإذا طعمْتُمْ فانْتشرُوا ولا مستئْنسين لحديثٍ إنَّ ذلكُمْ كان يؤْذي النَّبيَّ فيسْتحيي منْكُمْ واللَّه لا يسْتحيي من الْحقِّ وإذا سألْتُموهنَّ متاعاً فاسْألُوهنَّ من وراء حجابٍ ذلكُمْ أطْهر لقُلُوبكُمْ وقُلُوبهنَّ وما كان لكُمْ أن تؤْذُوا رسول اللَّه ولا أن تنْكحُوا أزْواجه من بعْده أبداً إنَّ ذلكُمْ كان عند اللَّه عظيماً (٥٣))(الأحزاب:٥٣) فقال

بعضهم أننهي أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة ، فنزل بعد الآية المتقدمة (يا أَيُّها الَّذِين آمنوا لا تدخلُوا بيوت النَّبِي إِلاَّ أَن يؤْذَن لَكُم إِلَى طَعامٍ غَيرِ ناظِرِين إِناه ولَكِن إِذَا دعِيتُم فَادخُلُوا فَإِذَا طَعِمتم فَانتشِروا ولا مستئْنِسِين لحدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُم كان يؤْذِي النَّبِي فَيستحيِي منكُم واللَّه لا يستحيِي من الْحق وإِذَا سأَلْتمُوهنَّ متَاعا فَاسأَلُوهنَّ من وراءِ حِجابٍ ذَلِكُم أَطْهر لِقُلُوبِكُم وقُلُوبِهِنَّ وما كَان لَكُم أَن تؤْذُوا رسول اللَّه ولا أَن تنكِحوا أَزواجه من بعده أَبدا إِنَّ ذَلِكُم كان عند اللَّه عظِيما (٥٣)) (الأحزاب٥٣).

أما غير أزواجه ﷺ من المؤمنات فأُمرنَ بغضَ الأبصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن ألا يبدين زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها كالخاتم في الأصبع ، والخضاب في اليد والكحل في العين أما ما خفي منها فلا يحل إبداؤه كالسوار للذراع والدملج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق ، والأكليل للرأس ، والوشاح للصدر ، والقرط للأذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية موضعها وأمرن بأن يضربن بخمرهن علي الجيوب كيلا تبقي صدورهن مكشوفة فإن النساء إذ ذاك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال وإذا كان النهي عن إظهار صوت الحلي بعدما نهين عن إظهار الحلي ، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ ، قال تعالي في سورة النور(وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يغْضُضْن مِن أَبصارِهِنَّ ويحفَظْن فُروجهنَّ ولا يبدِين زِينَتهنَّ إِلاَّ ما ظَهر مِنْها ولْيضْرِبن بِخُمرِهِنَّ علَى جُيوبِهِنَّ ولا يبدِين زِينَتهنَّ إِلاَّ لِبعولَتِهِنَّ أَو آبائِهِنَّ أَو آباءِ بعولَتِهِنَّ أَو أَبنائِهِنَّ أَو أَبناءِ بعولَتِهِنَّ أَو إِخْوانِهِنَّ أَو بنِي إِخْوانِهِنَّ أَو بنِي أَخَواتِهِنَّ أَو نِسائِهِنَّ أَو ما ملَكَت أَيمانهنَّ أَوِ التَّابِعِين غَيرِ أُولِي الإِربةِ مِن الرِجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِين لَم يظْهرُوا علَى عوراتِ النِّساءِ ولا يضْرِبن بِأَرجلِهِنَّ لِيعلَم ما يخْفِين مِن زِينَتِهِنَّ وتُوبُوا إِلَى اللَّه جمِيعاً أَيُّها المؤْمِنُون لَعلَّكُم تُفْلِحون (٣١))(النور:٣١) .

وكان النساء في أول الإسلام كما كن في الجاهلية متبذلات ، تبرز المرأة في درع وخمار لا فرق بين الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للإماء إذا خرجن بالليل إلي مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان[1] وربما تعرضوا للحرة بعلّة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرهن أن يخالفن بزيهن زي الإماء بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليغطي

١-الغيطان : جمع غائط وهو الأرض المنخفضة .

الوجه والأعطاف ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهم طامع ، قال تعالي في سورة الأحزاب (يا أَيُّها النَّبيُّ قُل لِأَزْواجِك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ ذلك أَدنى أَن يعرفْن فَلا يؤذين وكان الله غَفُوراً رَّحيماً (٥٩))(الأحزاب:٥٩) .

أما حجب المرأة عمن يريد خطبتها أمر لم يكن يفعل في عهد الرسولِ ﷺ ولا في عهد السلف الصالح ، فإن الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل علي علم مما يقدم عليه ، حتى يتم الوفاق والوئام الزوجين في أمر أجمع عليه أئمة الدين .

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في (الإحياء) وقد ندب الشرع إلي مراعاة أسباب الألفة لذلك استحب النظر فقال (إذا أوضع الله في نفس أحدكم من امرأة فلنظر إليها فإنه أحري أن يؤدم بينهما) أي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة علي الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة: الجلد الظاهرة وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال ﷺ إن في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن) [١] قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر ، وكان بعض الصالحين لا ينكحون كر

مائهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع علي غير نظر فآخره هم وغم ولا يبعد أن يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق إلي مكارم الأخلاق قد حسن عند عامة المسلمين في العصور الأولي حجب المرأة مطلقا حسما للمفاسد ودرءا للفتنة.

فرض الحج:

في هذا العام فرض الله علي الأمة الإسلامية حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ليجتمع المسلمون من جميع الأقطار ، فيتجهوا إلي الله ويبتهلوا إليه أن يؤيدهم ويعينهم علي إتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه الفائدة العظمي.

السنة السادسة : سرية محمد بن مسلمة إلي ضرية[٢]:

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة ، أرسل ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغزو علي بني بكر بن كلاب كانوا نازلين بناحية ضرية[٣] فسار إليهم يكمن النهار

١-رواه مسلم(١٤٢٤) .

٢-فتح الباري(٨/٤٢١) .

٣-موضع علي سبع ليال من المدينة في طريق البصرة .

ويسير الليل حتي دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية النعم والشياه وعادوا راجعين إلي المدينة وقد التقوا وهم عائدون بثمامة بن أثال الحنفي من عظماء بني حنيفة فأسروه لا يعرفونه فلما اتوا رسول الله ﷺ عرفه وعامله بمنتهي مكارم الأخلاق ، فإنه أطلق إساره بعد ثلاث ، أَبي فيها الانقياد للإسلام بعد أن عرض عليه .

ولما رأي ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأي من العبث أن يتبع هواه ويترك ديناً عماده الأخلاق ، فرجع إلي رسول الله ﷺ وأسلم غير مكره وخاطب الرسول ﷺ بقوله يا محمد والله ما كان علي الأرض من وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي والله ما كان علي الأرض من دين أبغض إلي من دينك فقد أصبح أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فقد أصبح أحب البلاد إلي فَسر ﷺ كثيراً بإسلامه لأن من ورائه قومه يطيعونه ولما رجع ثُمامة إلي بلاده مر بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش إيذاءه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو ألا يرسل إليهم من اليمامة حبوباً حتي يؤمنوا ، فجاهدوا جداً ، ولم يروا بداً من الاستغاثة برسول الله ﷺ فعاملهم ﷺ بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وأرسل لثمامة أن يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل ، وقد كان لهذا الرجل الكريم الأصل قدم راسخة في الإسلام عقب وفاة الرسول الله ﷺ حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهي قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه وإنه لشقاء كتبه الله علي من اتبعه فثبت معه كثير من قومه ﷺ.

غزوة بني لحيان :

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت وإخوانه ولم يزل رسول الله ﷺ حزيناً عليهم متشوقاً للقصاص من عدوهم حتي ربيع الأول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر مقصدة كما هي عادته ﷺ في غالب الغزوات لتعمي الأخبار عن الأعداء وولي علي المدينة ابن أم مكتوم ، وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرساً ولم يزل سائراً حتي قتل أصحاب الرجيع ، فترحم ودعي لهم ، ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام ﷺ بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان[1]

١-موضع قرب مكة

حتي يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب فذهبوا إلي كُرَاع الغميم[1] ثم رجع ﷺ إلي المدينة وهو يقول أيبون ، تائبون ، لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر[2] وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال[3] وهذا هو دعاء الذي رجع من سفره.

غزوة الغابة:

كان للنبي ﷺ عشرون لقحة ترعي بالغابة فأغار عليها عيينه بن حصن في أربعين فارساً واستلبها من راعيها ، فجاءت الأخبار رسول الله ﷺ ، والذي بلّغة هو سلمةُ بن الأكوع أحد رماة الأنصار ، وكان عداء فأمره الرسول ﷺ بأن يخرج في أثر القوم لشغلهم بالنبل حتي يدركهم المسلمون ، فخرج يشتد في أثرها حتي لحقهم وجعل يرميهم بالنبل ، فإذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلم يلحقوا فإذا دخلت الخيل بعض المضايق علي الجبل فرمي عليها الحجارة حتي ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والأبراد ليخفّفوا عن أنفسهم حتي لا يلحقهم الجيش ، ولم يزل مسلمة علي ذلك حتي تلاحق به الجيش فإن الرسول ﷺ دعي أصحابه فأجابوه وأول من انتهي المقداد بن عمرو فقال له (اخرج في طلب القوم حتي ألحقك) .

وأعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتي أدركوا أواخر العدو ، فحصلت بينهم مناوشات قُتل فيها مسلم ومشركان ، واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية ، وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله ﷺ أن يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذه علي غرّة[4] وهم نازلون علي أحد مياههم فقال له ﷺ ملكت فأسجح[5] ثم رجع بعد خمس ليال .

سرية عكاشة بن محصن إلي بني أسد[6] :

كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً ما يؤذن من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين راكباً ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك

١-جبل جنوب عسفان بثمانية أميال .

٢-وعثاء السفر: مشقته وشدته .

٣-رواه مسلم (١٣٤٥) .

٤-غفلة .

٥-قدرت فسهل وأحسن العفو وهو مثل سائر .

٦-السيرة النبوية لا بن هشام (٢٨٣/٢).

وجدوا رجلاً نائماً فأمنوه ليدلّهم علي نعم القوم ، فدلّهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا اكيدا .

سرية محمد بن مسلمة إلي من بذي القصة :

في ربيع الأول بلغه ﷺ أن من بذي القصة[1] يريدون الإغارة علي نعم المسلمين التي تم بالهيفاء[2] فأرسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين ، فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن المشركون حينما علموا بهم ، فنام المسلمون ، ولم يشعروا إلا والنبل قد خالطهم فتواثبوا علي أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلوهم ، غير محمد بن مسلمة تركوا لظنهم أنه قُتل فعاد إلي المدينة وأخبر الرسول ﷺ فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الأخر ليقتص من الأعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع .

سرية زيد بن حارثة إلي سليم في الجموم [3] :

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم ، فأرسل ﷺ زيد بن حارثة في ربيع الأخر ليغير عليهم في الجموم فلما ابلغوا جيارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من مزنية دلتهم علي منازل بني سليم أصابوا بها نعماً وشياه ووجدوا رجالاً أسروهم وفيهم تلك المرأة فرجعوا بذلك إلي المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها.

سرية زيد بن حارثة إلي عير قريش القادمة من الشام إلي مكة :

بلغ الرسول ﷺ أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال ، وفيهم أبو العاص بن الربيع ، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش ، فقال ﷺ (المسلمون يد واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجرت)[4] وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين

١-موضع علي أربعة وعشرين ميلاً من المدينة في طريق الربذه .

٢-موضع قرب المدينة علي سبعة أميال .

٣-ناحية من بطن نخل .

٤-رواه أبو داود (٢٧٥١) .

وردّ عليه الرسول ﷺ ماله بأسره لا يفقد منه شيء فذهب إلي مكة فأدي لكل ذي حق حقه ورجع إلي المدينة مسلماً فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجه .

سرية زيد بن حارثة إلي الطّرف للإغارة علي بني ثعلبة :

في جمادي الآخرة أرسل ﷺ زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلاً للإغارة علي بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلم وهم مقيمون بالطّرف[١] فتوجهت السرية لذلك ، ولما رآهم الأعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله ﷺ فهربوا وتركوا نعمهم وشياههم فاستاقها المسلمون ورجعوا إلي المدينة بعد أربع ليال.

سرية زيد بن حارثة إلي وادي القري للإغارة علي بني فزارة :

في رجب أرسل ﷺ زيد بن حارثة ليغير علي بني فزارة لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول ﷺ الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في وادي القُري[٢] فساروا حتي دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها ﷺ ممن أسرها وفدي بها أسيراً كان بمكة.

سرية عبد الرحمن بن عوف إلي دومه الجندل لغزوة بني كلب :

في شعبان أرسل ﷺ عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب في دومه الجندل وقد وصاهم ﷺ قبل السفر بقوله اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدرا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم[٣]

ثم أعطاه اللواء فساروا علي بركة الله حتي حلّوا بديار العدو فدعوهم إلي الإسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الأصبغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين بإعطاء الجزية فتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم[٤] كما أمره بذلك ﷺ وهذه أقرب واسطة لتمكين صلات الود بين الأمراء بحيث يهم كلاً ما يهم الآخر فنعمَّ هي سياسة السلم والمحبة .

١-ماء علي ستة وثلاثين ميلاً من المدينة في طريق العراق .

٢-موضع شمالي المدينة علي سبع ليال منها .

٣-رواه مسلم (١٧٣١) .

٤-وهي تماضر التي ولدت لعبد الرحمن بن عوف ابنه أبا سلمه.

سرية علي بن أبي طالب إلي فَدَك لغزو بني سعد بن بكر :

في شعبان أرسل ﷺ علي بن أبي طالب في مائة لغزو بني سعد بن بكر بفَدَك[1] لأنه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر علي حرب المسلمين مقابلِ تمر يعطونه من تمر خيبر ، فسارت السرية ، وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس للعدو ، وكانوا قد أرسلوه إلي خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه يدلهم علي القوم وهو آمن فدلهم علي موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاةِ فحذّروا قومه فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير وألفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء.

قتل أبي رافع :

كان المحرك لأهل خيبر علي حرب المسلمين أبو رافع سلاّم بن أبي الحقيق وهو سيدهم الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة ، وكان ذا ثروة طائلة يقلّب بها قلوب اليهود كما يريد ، فانتدب له ﷺ من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال[2] من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ، ليكون لهم مثل أجر إخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف فإن من نعم الله علي رسول ﷺ أن كان الأوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله ﷺ فلا تعمل الأوس عملاً إلا اجتهد الخزرج في مثلة فأمرهم الرسول بذلك بعد أن وصاّهم ألاّ يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتي أتوا خيبر.

فقال عبد الله لأصحابه مكانكم فإني منطلق للبواب ومتلطف له لعلي أدخل فأقبل حتي دنا من الباب ، ثم تقنّع بثوب كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس فهتف به البواب ادخل يا عبد الله إن كنت تريد الدخول ، فإني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن حتي نام فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب.

ثم توجه إلي بيت أبي رافع، وصار يفتح الأبوال التي توصل إليه وكلما فتح باباً أغلقه من الداخل حتي انتهي إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تميزه فنادي يا أبا رافع قال من فأهوي بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته: هذا

١-قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر .

٢-سيرة بن هشام ج ٢ (ص٢٧٤) عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، عبد الله بن أنيس ، أبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

صوتٍ ابن عتيك فقال لها ثكلتك أمك وأين ابن عتيك الآن ؟ فعاد عبدالله للنداء مغيراً صوته قائلاً ما هذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافعٍ ؟ قال لأمك الويل إن رجلاً في البيت ضربني بالسيفٍ فعمد إليه فضربه أخري لم تغن شيئاً ، فتواري ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً علي ظهره ، فوضع السيفٍ في بطنه ، وتحامل عليه حتي سمع صوت العظم ، ثم خرج من البيت ، وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلّم فكسرت رجله فعصبها بعمامته ثم انطلق إلي أصحابه وقال النجاة قُتِل والله أبو رافع فانتهوا إلي الرسول ﷺ فحدثوه ثم قال لعبد الله ابسط رجلك فمسحها ﷺ فكأنه لم يشتكها قط وعادت أحسن مما كانت فانظر رعاك الله إلي ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب مادامت في إرضاء رسول الله ﷺ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

سرية عبد الله بن رواحة إلي خيبر:

لما قُتل أبو رافع[1] ولّي اليهود مكانه أسير بن رزام ، فأرسلِ ﷺ من يستعلم له خبره ، فجاءته الأخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد ما لم يصنعه أحد قبلي أسير إلي غطفان فأجمعهم لحرب وسعي في ذلك فأرسل ﷺ عبد الله بن رواحة الخزرجي في ثلاثين من الأنصار لاستمالته ، فخرجوا حتي قدموا خيبر ، وقالوا لأسير نحن آمنون حتي نعرض عليك ما جئنا له ؟ قال نعم ولي مثل ذلك ، فأجابوه ثم عرضوا عليه رسول الله ﷺ ويترك ما عزم عليه من الحرب فيولّيه الرسول ﷺ علي خيبر ، فيعيش أهلها بسلام فأجاب إلي ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً يهودي رديف لمسلم ، وبينما هم في الطريق ندم أسير علي مجيئه وأراد التخلّص مما فعل بالغدر بمن أمنوه فأهوي بيده إلي سيف عبد الله بن رواحة ، فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل وضربه بالسيف فأطاح عامة فخذه ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون علي من معه من اليهود فقتلوهم عن أخرهم وهذه عاقبة الغدر.

قصة عُكل وعُرينة:

قدم علي رسول الله ﷺ في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الإسلام وبايعوا رسول الله ﷺ وكانوا سقاماً ، مصفرة ألوانهم ، عظيمة بطونهم ، فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم ﷺ بذود[2] من الإبل معها راع ، وأمرهم باللحوق بها في مرعاها ليشربوا من ألبانها

١-أي كعب بن الأشرف اليهودي .

٢-ذود من الأبل : ما بين الثنتين إلي التسع ، وقيل ما بين الثلاث إلي العشر ، وقال أبو عبيد : الذود من الاناث دون الذكور.

وأبوالها ففعلوا ، ولما تم شفاؤهم جازوا الإحسان كُفراً فقتلوا الراعي ومثّلوا به ، واستاقوا الأبل ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أرسل وراءهم كُرز بن جابر الفهري في عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا علي جميعهم ولما جيء بهم إلي المدينة أمر ﷺ أن يمثل بهم كما مثّلوا بالراعي ، فقُطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتي ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الأشرار مما يدل علي فساد الأصل ولؤم العشيرة وقد نهي رسول الله ﷺ بعد ذلك عن المثلة[1].

سرية عمرو بن أمية الضَمري إلي مكة لقتل أبي سفيان:

جلس أبو سفيان بن حرب يوماً في نادي قومه فقال ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فهو يمشي بالأسواق لنستريح منه؟ فتقدم له رجل وتعهد له بما أراد، فأعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتي وصل إلي المدينة صبح سادسة من خروجه، فسأل عن رسول الله ﷺ فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الأشهل فلما رآه ﷺ قال إن هذا الرجل ليريد غدراً وإن الله مانعي منه ، فذهب لينحني علي الرسول ﷺ فجذبه أسيد بن حضير من إزاره وهنالك سقط الخنجر فندم الرجل علي فعلته ثم سأله ﷺ عن سبب عمله فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فخلّي ﷺ سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي.

ثم إنك اطلعت علي ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفتَ أنك ممنوع وأنك علي حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان ، ثم أسلم وعند ذلك أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكان رجلاً جريئاً فاتكاً في الجاهلية وأصحابه برفيق ليقتلا أبا سفيان غيلة جزاءِ اعتدائه ، فلما قدما مكة توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلا له ، فعرف عمراً أحدُ رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء إلا بشر ، فلما رآهم علموا به لم يجد مناصاً من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا إلي المدينة ، وكأن الله سبحانه وتعالي أراد أن يعيش أبو سفيان حتي يسلّم بيده مفاتيح الكعبة للمسلمين ويعتنق الدين الحنيف القويم.

غزوة الحُديبية:

رأي ﷺ رؤيا في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام أمنين محلّقين رءوسهم ومقصرين ، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة ، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه ، حذراً من أن تردهم

١-رواه البخاري (٤١٩٢).

قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الأعراب أبطئوا عليه لأنهم ظنوا ألاّ ينقلب الرسول ﷺ والمؤمنون إلي أهليهم أبداً ، وتخلّصوا بأن قالوا شغلتنا اموالنا وأهلونا فاستغفر لنا، فخرج ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار تبلغ عدّتهم ألفاً وخمسمائة وولي علي المدينة ابن أم مكتوم ، وأخرج معه زوجه أم سلمة وأخرج الهدي ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً ، ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح إلا السيوف في القُرب لأن الرسول ﷺ لم يرض أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتي وصل عسفان[1] فجاءه عينة[2] يخبره أن قريشاً أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وألاّ يدخلوها عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال ﷺ (هل من رجل يأخذ بنا علي غير طريقهم؟) فقال رجل من أسلم أنا يا رسول ﷺ فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم إلي مستو سهل يملك مكة من أسفلها فلما رأي خالد ما فعل المسلمون رجع إلي قريش وأخبرهم الخبر .

ولما كان ﷺ بثنية المرار[3] بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال ﷺ (ما خلأت وما ذلك لها نخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لخَصلة فيها تعظيم حرمات الله إلا أجبتهم إليها)[4] مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظَفروا بهم ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذي أراد الله أن يكون . مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كي لا تنتهك حرمات البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً ويوطد المسلمين من جميع الأقطار دعائم أخوتهم فيه ثم أمرهم ﷺ بالنزول أقصي الحديبية[5] وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً من قريش ، يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره ﷺ بمقصده فلما رجع بديل إلي قريش وأخبرهم بذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله ﷺ كما كانت كذلك لأجداده ، وقال أريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينهم من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم حلفاء قريش فلم رآه ﷺ قال (هذا من قوم يعظمون الهدي ، ابعثوه في وجهه حتي يراه) ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأي ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدو أتحج لخم وجذام وحمير ويمنع

١-موضع علي مرحلتين عن مكة.

٢-العينة : الجاسوس .

٣-مهبط الحديبية .

٤-زاد المعاد (٣/٢٨١) .

٥-بئر قرب مكة سميت الأرض باسمها.

عن البيت ابن عبد المطلب؟ هلكت قريش ورب البيت إن القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك بالمكايد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه إلي رسول الله ﷺ وقال يا محمد جمعت أوباش[1] الناس ثم جئت إلي أهلك وعشيرتك لتفضها بهم إنها قريش قد خرجت تعاهد الله ألا تدخلها عليهم عنوه أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فنال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله ﷺ فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده إذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأي ما يصنع بالرسول ﷺ أصحابه لا يتوضأ وضوء إلا كادوا يقتلون عليه يتمسحون به ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يحدون النظر إليه .فقال : والله يا معشر قريش جئت كسري في ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً ، فأنظروا رأيكم ، فأنه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فأني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نردّه عامنا و يرجع إلي قابل ثم إن الرسول ﷺ اختار عثمان بن عفان رسولاً من عنده إلي قريش حتي يعلمهم مقصده فتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول ﷺ في زيارة أقاربهم، وأمر ﷺ عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وأن الله مظهر دينه ، فدخل عثمان مكة في جوار أبان سعيد الأموي فبلّغ ما حمل فقالوا إن محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع ثم إنهم حبسوه فشاع في المسلمين أن عثمان قُتل فقال ﷺ حينما سمع ذلك (لا نبرح حتي نناجزهم الحرب).

بيعة الرضوان :

دعي الناس للبيعة علي القتال فبايعوه تحت شجرة هناك ، سميت بعد بشجرة الرضوان فشاع أمر هذه البيعة في قريش فداخلهم منها رعد عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين لعلهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدأوا يناوشون المسلمين حتي أسر منهم اثنا عشر رجلاً وقتل من المسلمين واحد.

صلح الحديبية :

عند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للحديث في الصلح فلما جاء قال يا محمد إن الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل شيء قام به السفهاء منا فابعث بمن أسرت

١- أخلاط .

فقال حتي ترسلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ، ثم عرض سهيل الشروط تريدها قريش وهي:

١- وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات.

٢- من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون بردّة

٣- أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في القراب والقوس.

٤- من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

فقبل ﷺ كل هذه الشروط أما المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا : سبحان الله كيف نردُّ إليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً؟ فقال ﷺ (أنه من ذهب منّا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً).

أما الأمر الثالث وهو صدُّ المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً في قلوبهم ، لأن الرسول ﷺ أخبرهم أنه رأي في منامه أنهم دخلوا البيت أمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال ﷺ وهل ذكر أنه في هذا العام ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن طالب فأملاه ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول ﷺ بذلك ثم قال (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر ﷺ علياً بمحو ذلك وكتابه محمد بن عبدالله فامتنع ، فمحاها النبي بيده وكتب نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين.

وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين المؤمنين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال ﷺ (اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا علي ذلك عهداً فلا نغدر بهم)[1].

هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش ولما انتهي الأمر أمر ﷺ أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم ، وينحروا الهدي ليتحلّلوا من عمرتهم فتحمل

١-رواه البخاري : (٣١٨٢) .

المسلمون من ذلك هماً عظيماً حتي إنهم لم يبادروا بالامتثال فدخل ﷺ علي أم المؤمنين أم سلمة وقال لها (هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا) فقالت يا رسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ، ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ، ولكن أخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فإذا رأوك فعلت تبعوك فتقدم ﷺ إلي هديه فنحره ودعي بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون توثبوا علي الهدي فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون إلي المدينة وقد أمن كل فريق الأخر ولما قر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط أخت عثمان لأمه فطلبها المشركون فقالت يا رسول الله إني امرأة وإن رجعت إليهم فتنوني في ديني فأنزل الله في سورة الممتحنة (يا أَيُّها الَّذين آمنُوا إِذَا جاءكم الْمؤمنَات مهاجراتٍ فَامتحنُوهنَّ اللَّه أَعلَم بِإِيمانِهنَّ فَإِن علمتموهنَّ مؤمنَاتٍ فَلا ترجِعوهنَّ إِلَى الْكفَّارِ لا هنَّ حلٌّ لَّهم ولا هم يحلُّون لَهنَّ وآتوهم مَّا أَنفقُوا ولا جناح علَيكم أَن تنكحوهنَّ إِذَا آتيتموهنَّ أُجورهنَّ ولا تمسكُوا بعصمِ الْكوافرِ واسأَلُوا ما أَنفَقْتم ولْيسأَلُوا ما أَنفَقُوا ذَلكم حكم اللَّه يحكم بينكم واللَّه علِيم حكِيم (١٠))(الممتحنة:١٠).

فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ، ولا لرجل من المسلمين ، وما خرجت إلا حبا لله والرسول ﷺ ومتي حلفت لا ترد بل يعطي لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ويجوز للمسلمين تزوجها وفي الآية تحريم إمساك الزوجة الكافرة بل ترد إلي أهليها بعد أن يعطوا ما أنفقوا عليها وقد تمكن أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي ﷺ من الفرار إلي رسول الله ﷺ فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه فأمره ﷺ بالرجوع معهما فقال يا رسول الله أتردني إلي الكفار يفتنوني في ديني بعد أن خلّصني الله منه ؟ فقال (إن الله جاعل لك ولإخوانك فرجا) فلم يجد بداً من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما كان بذي الحليفة عدا علي أحدهما فقتله وهرب منه الأخر فرجع إلي المدينة وقال يا رسول الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له (اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة) فذهب إلي محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش ، فأقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا ، وسار إليه أبو جندل بن سهيل واجتمع إليه جمع من الأعراب يستغيثون به في ابطال هذا الشرط ويعطونه الحق في إمساك من جاءه مسلما فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما أمرهم ﷺ برد أبي جندل[1]

١-رواه البخاري(٢٧٣١/٢٧٣٢) .

وعلموا أن رأي رسول الله ﷺ أفضل واحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الإسلام قلوبهم حتي قال أبو بكر ﷺ (ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتي تبلغ الأمور ما أراد) .

وفي رجوعه ﷺ من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه في أولها(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً (١))(الفتح:١) وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك أيها القارئ الكريم عن الصديق.

الفصل الثالث

الرسائل والفتوح

مكاتبة الملوك:

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلي الإسلام، واتخذ إذ ذاك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب إلي قيصر ملك الروم، وأمره أن يدفعه إلي عظيم بصري ليوصله إلي الملك.

كتاب قيصر:

كان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلي هرقل عظيم الروم ، سلام علي من اتبع الهدي ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين(١) و(قُل يا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤))(آل عمران: ٦٤) .

حَديث أَبي سَفيَان[٢]:

ولما وصل هذا الكتاب قيصر ، قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من القريش في تجارة ، فجاءت رسل قيصر لأبي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ، ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الراجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبوسفيان أنا ، لأنه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره،فقال قيصر : ادن منى ثم أمر أصحابه فجعلوه خلف ظهره ثم قال لترجمانه قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جئتكم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليها إذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله؟ قال لا قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: لا فهل كان من آبائه من ملك ، قال: لا فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون قال هل يرتد أحد منهم سخطه لدينه ؟ قال لا قال هل يغدر إذا عاهد ؟

١-الفلاحين .

٢-رواه البخاري(٧).

قال لا ونحن الأن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه ؟ قال : نعم قال فكيف حربكم وحربه ؟ قال الحرب بيننا وبينه سجال[1] مرة لنا ومرة علينا قال فبم يأمركم قال يقول (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهي عما كان يعبد أباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة).

فقال الملك : إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ زعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القوم قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب علي الناس ويكذب علي الله وسألتك هل كان من أبائه من ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الإيمان حتي يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطه لدينه فقلت لا وكذلك الأيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وإن الحرب بينكم وبين سجال وكذلك الرسل تبتلي ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت أنه يأمر بالصلاة و الصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبى وقد علمت انه مبعوث ولم أظن أنه فيكم وإن كان ما كلّمتني به حقّا فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم أني أخلص إليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدري ما قالوا وأُمر بنا فأُخرجنا.

فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال لقد بلغ أمرا بن أبي كبشه أن يخافه ملك بني الأصفر ولما سار قيصر إلي حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ، ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حصية حمر الوحش إلي الأبواب فوجدوها فغلقة ، فلما رأي قيصر نضرتهم قال ردوهم علي فقال لهم إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم علي دينكم فسكتوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكة علي الإسلام فذهب بأثمة وإثم رعيته كما قال ﷺ ولكنه ردا دحية ردا جميلا.

١-سجال : نوب ، نوبة تكون الغلبة لنا ونوبة تكون الغلبة له .

كتاب أمير بُصري :

أرسل ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلي أمير بصري فلما بلغ مؤته وهي قرية من عمل البلقاء بالشام – تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد قال الشام قال لعلّك من رسل محمد قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً .

كتاب الحارث بن أبي شمر :

ووجه ﷺ شجاع بن وهب إلي أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر ، وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي الحارث بن أبي شمر سلام علي من اتبع الهدي وآمن بالله وصدق وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقي لك ملكك) فلما قرأ الكتاب رمي به وقال من ينزع ملكي مني واستعد ليرسل جيشا لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما تري ثم أرسل إلي قيصر يستأذنه في ذلك ، وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر إليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره يهيئ بإيلياء ما يلزم لزيارته فإنه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأي الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسني ووصله بنفقة وكسوة .

كتاب المُقوقس :

ووجه ﷺ حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلي المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي المقوقس عظيم القبط ، سلام علي من اتبع الهدي ، أما بعد فإني أدعوك برعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم القبط (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤))(آل عمران: ٦٤) فأوصله حاطب بإسكندرية، فلما قرأه قال ما منعه إن كان نبياً أن يدعو علي من خالفه وأخرجه من بلده ؟ فقال حاطب ألست تشهد أن عيسي ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتي رفعه الله إليه؟ قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه إله النبوة إخراج الغائب المستور والإخبار بالنجوى وسأنظر .

ثم كتب ردّ الجواب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعث لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب وأهديت إليك بغلة تركبها والسلام واحدي الجاريتين مارية التي تسري بها ﷺ وجاء منها بولده إبراهيم والأخرى أعطاها لحسان بن ثابت ولم يسلم المقوقس

كتاب النجاشي:

ووجه ﷺ عمرو بن أمية الضمري بكتاب إلي النجاشي ملك الحبشة وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي النجاشي عظيم الحبشة سلام أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسي ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلي مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسي من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة علي طاعته وأن تبتغي وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلي الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي والسلام علي من اتبع الهدي.

ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو وإني أعلم والله أن عيسي بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فأنظرني حتي أُكثر الأعوان وألين القلوب وقد عرض عمرو علي من بقي من مهاجري الحبشة إلي رسول الله ﷺ بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذي كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصر فتزوج ﷺ أم حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه ﷺ .

كتاب كسري:

ووجه ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلي كسري ملك الفرس وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي كسري عظيم فارس سلام علي من اتبع الهدي وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلي الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول علي الكافرين وأسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغه ﷺ ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزق) وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن أن يوجه إلي الرسول ﷺ من يأتي به إليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم أرسل لعامله في اليمن ينهاه عما أمره به أبوه.

كتاب المنذر بن ساوي :

ووجه ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب إلي المنذر بن ساوي ملك البحرين يدعوه إلي الإسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن من صلي صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك من المجوس فإنه أمن ومن أبي فإن عليه الجزية) فأسلم وكتب في رد الجواب أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك علي أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك، فكتب إليه ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول اله إلي المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام علي يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية) .

كتاب مَلكي عُمان :

ووجه ﷺ عمرو بن العاص بكتاب إلي جيفر وعباد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي جيفر وعباد ابني الجلندي سلام علي من إتبع الهدي أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام اسلما تسلما فإني رسول الله إلي الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فان ملككما زائل ، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي علي ملككما فلما دخل بناديهما عمرو سأله عباد بن الجلندي عما يأمر به الرسول ﷺ وينهي عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكة من أن يدعه ويصير تابعا قال عمرو إن أسلم أخوك ملّكه رسول الله ﷺ علي قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها علي فقيرهم فقال عباد إن هذا لخلق حسن وما الصدقة ؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم

مواشينا التي ترعي في الشجر وترد المياه ؟ قال: نعم ،فقال عباد والله ما أري قومي علي بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ثم إن عباداً أوصل عمراً لأخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتي أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات.

كتاب هوذة بن علي :

ووجه ﷺ سليط بن عمرو العامري بكتاب إلي هوذة بن علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي هوذة بن علي ، سلام علي من اتبع الهدي ، واعلم أن ديني سيظهر إلي منتهي الخف والحافر فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال (لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت باد[1] وباد ما في يديه) فلم يلبث أن مات ،منصرف رسول ﷺ من فتح مكة وكان ﷺ يولّي علي كل قوم قبلوا الإسلام كبيرهم .

السنة السابعة غزوة خيبر

في محرم السنة السابعة أمر ﷺ بالتجهز لغزو يهود خيبر ، الذين كانوا أعظم مهيج للأحزاب ضد رسول الله ﷺ في غزوة الخندق ، والذين لا يزالون مجتهدين في محالفة الأعراب ضد رسول الله ﷺ كما قدمنا ذلك من قبل في قصة كعب بن الأشراف وقد استنفر رسول الله ﷺ لذلك من حوله من الأعراب الذين كانوا معه بالحديبية ، وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال ﷺ (لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد ، أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيء) ، وأمر منادياً ينادي بذلك ، ثم خرج ﷺ بعد أن ولّي علي المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وكان معه من أزواجه ﷺ أم سلمة ، ولما وصل جيش المسلمون إلي خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي ، رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء ، فقال ﷺ (ارفقوا بأنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) [2].

وكانت حصون خيبر ثلاثة ، منفصلاً بعضها عن بعض ، وهي حصون (النّطاه) وحصون (الكتيبة) وحصون(الشق) والأولي ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قُلّة ، والثانية حصنان حصن أُبي ، وحصن البريء ، والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص ، وحصن الوطيح ، وحصن

١-باد : هلك .

٢-رواه البخاري (٢٩٩٢/٤٢٠٥/ ٦٣٨٤) .

السُّلالم ، فبدأ ﷺ بحصون النّطاة ، وعسكر المسلمون شرقيها بعيداً عن مدي النبل ، وأمر ﷺ أن يقطع نخلهم ليرهبهم حتي يسلموا ، فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة ، ولما رأي ﷺ تصميم اليهود علي الحرب نهي عن القطع ، ثم ابتدأ القتالٍ مع حصن ناعم بالمراماة ، وكان لواء المسلمون بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً ، وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة ،وصار ﷺ يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ، ويخلّف علي العسكر أحد المسلمين حتي إذا كانوا في الليلة السادسة ، ظفر حارس الجيش ، وهو عمر بن الخطاب بيهودي خارج في جوف الليل ، فأتي به رسول الله ﷺ ، ولما أدرك الرجل الرعب قال (إن أمنتموني أدلكم علي أمر فيه نجاحكم) .

فقالوا :دلّنا فقد أمنّاك فقال إن أهل هذا الحصن أدركهم الملل والتعب وقد تركتهم يبعثون بأولادهم إلي حصن الشق ، وسيخرجون لقتالكم غدا ، فإذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فإني أدلكم علي بيت فيه منجنيق ودبابات[1] ودروع وسيوف، يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فإنكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات ، فينقبون الحصن.

فتفتحه من يومك ، فقال ﷺ لمحمد بن مسلمة (سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه) فبات المهاجرين والأنصار كلهم يتمنونها ، حتي قال عمر بن الخطاب ما تمنيت الإمارة إلا ليلتئذ.

فلما كان الغد سأل ﷺ عن علي بن أبي طالب فقيل له إنه أرمد ، فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل في عينة ﷺ فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء ، ثم أعطاه الراية ، فتوجه مع المسلمين للقتال[2] وهناك وجدوا اليهود متجهزين ، فخرج يهودي يطلب البراز فقتله علي ، ثم خرج مرحب وهو أشجع القوم فألحقه برفيقه ، فخرج أخوه ياسر ، فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون علي اليهود حتي كشفوهم عن مواقفهم، وتبعوهم حتي دخلوا الحصن بالقوة وانهزمٍ الأعداء إلي الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب ، وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيرا من الخبز والتمر ، ثم تتبعوا اليهود إلي حصن الصعب ، فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتي رد عنه المسلمون ، ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالا شديداً حتي هزموا اليهود فتبعوهم حتي افتتحوا عليهم الحصن ، فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر ﷺ مناديا يقول (كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً) .

١-الدبابة : ألة تتخذ للحروب تدفع في أصل الحصن فينقبونها وهم في جوفها .

٢- رواه مسلم (٢٤٠٥/٢٤٠٦)

ثم إن الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا إلي حصن (قُلّةٍ) فتبعهم المسلمون ، وحاصروهم ثلاثة أيام حتي استصعب عليهم فتحه ، وفي اليوم الرابع دلّهمٍ يهوديٍ علي جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوها عنهم ، فخرجوا ، وقاتلوا قتالا شديدا انتهي بهزيمتهم إلي حصون الشق ، فتبعهم المسلِون وبدأوا (بحصن أبي) فخرج أهله، وقاتلوا قتالا شديدا أبلي فيه أبو دجانةٍ الأنصاري بلاء حسناً حتي تمكن من دخول الحصن عنوة ووجدا المسلمون فيه أثاثا كثيراً ومتاعا وغنما وطعاما ، وهربٍ المنهزومون منه إلي (حصن البريء) فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد اليهود رميا بالنبل والحجارة حتي أصاب رسول الله ﷺ بعض منه ، فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع في قلب أهله الرعب ، وهربوا منه من غير عناء شديد ، فوجد فيه المسلمون أواني لليهود من نحاس وفخار ، فقال ﷺ (إغسلوها وإطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو إلي حصون الكتيبة وبدأوا بحصن القموص ، فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله علي يد علي بن أبي طالب ومنه سبيت صفية بنت حيي بن أخطب ثم سار المسلمون لحصار حصني الوطيح والسلالم ، فلم يقاوم أهلهما بل سلّموا طالبين حقن دمائهم وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم لا يصطحب الواحد منهم إلا ثوبا واحدا علي ظهره

فأجابهم رسول الله ﷺ إلي ذلك ، وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح ، وخمسمائة قوس عربية ، ووجدوا صحفا من التوراة فسلّموها لطالبيها وقد أمر ﷺ بقتل كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق لأنه أنكر حلي حيي بن أخطب ، وقد عثر عليها المسلمون ، فوجدوا فيها أساور ودمالج وخلاخيل وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغير ذلك .

هذا والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلاً وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلا وفي هذه الغزوة أهدت إحدي نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله ﷺ فأخذ منها مضغة، ثم لفظها حيث أُعلم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم رسول الله ﷺ ، وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة ، فسألها ﷺ عن سبب ذلك فأجابت قلت إن كان نبيا لن يضره وإن كان كاذباً أراحنا الله منه ، فعفا عنها ﷺ[1].

١-رواه البخاري (٤٢٤٩/٣١٦٩) .

زواج صفية[1]:

بعد تمام الظفر والنصر تزوج ﷺ صفية بنت حيي سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضي الله عنها ، فشرفت بأمومة المؤمنين .

النهي عن نكاح المتعة[2] :

نهي ﷺ بخيبر عن نكاح المتعة وهو النكاح لأجل وقد كان حلالاً في الجاهلية ، واستعملِ في بدء الإسلام حتى حرمه الشرع الحنيف في هذه السنة ، ونهي كذلك عن أكل لحوم الحمر الأهلية فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نضجت ولم يطعموها .

رجوع مهاجري الحبشة :

حين رجوع المسلمين من الحبشة قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الأشعريون أبو موسي وقومه بعد أن أقاموا فيها نحواً من عشر سنين أمنين مطمئنين ، وفرح ﷺ بمقدمهم فرحاً عظيماً وأعطي للأشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحاً ، وكان مع جعفر أم حبيبه بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، وقدم في هذا الوقت علي النبي ﷺ الدوسيون إخوان أبي هريرة ﷺ وهو معهم فأعطاهم أيضاً رسول الله ﷺ.

فتح فَدَك :

بعد تمام الفتح ، أرسل ﷺ من يطلب من يهود فدك[3] الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله ﷺ علي أن يحقن دماءهم ، ويتركوا الأموال وكانت أرض فدك هذه لرسول الله ﷺ خاصة ينفق منها علي نفسه ، ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيَّمهم.

صلح تيماء :

لما بلغ يهود تيماء ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا علي دفع الجزية ومكثوا في بلادهم أمنين مطمئنين .

فتح واد القُري :

ثم دعا ﷺ يهودِ وادي القري إلي الإسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون ، وأصابوا منهم أحد عشر رجلا ، وغنموا منهم مغانم كثيرة ، خمسها ﷺ وترك الأرض في أيدي أهلها

١-رواه النسائي في الكبري (١٣٨/٩) .

٢-رواه البخاري (٥١١٥) ، ومسلم (١٤٠٧) .

٣-فَدك : حصن قريب من خيبر علي ست ليال من المدينة .

يزرعونها بشطر ما يخرجون منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل إليهم عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأردوا أن يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه علي ألاّ أعدل .

هذا وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة أرتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر، مهما كان بين الفريقين من العهود و المواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين.

إسلام خالد ورفيقيه :

أعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين إسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطّولي في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد بن الوليد المخزومي وعمرو العاص السهمي ، وعثمان بن طلحة العبدري ، فسُّر بهم ﷺ سروراً كبيراً ، وقال لخالد (الحمد لله الذي هداك قد كنت أري لك عقلا رجوت ألاّ يسلمك إلا إلي الخير) فقال يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال ﷺ (الإسلام يقطع ما قبله) [1][2]

سرية عمر بن الخطاب إلي هوازن بتربة :

في شعبان بلغه ﷺ أن جمعاً من هوزان بتربة[3] يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا ، فسار إليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً ، فرجع.

سرية بشر بن سعد لقتال بني مرة :

ثم أرسل ﷺ بشير بن سعد الأنصاري لقتال بني مرة بناحية فداك ، فلما ورد بلادهم لم يرِ منهم أحداً ، فأخذ نعمهم ، أما القوم فكانوا في الوادي ، فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيراً ليلا وهو راجع فتراموا بالنبل ، ولما أصبح اقتتل فريقان قتالا شديداً حتي قُتل غالب المسلمين ، وجرح بشير جرحاً شديداً حتي ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتي جاء إلي رسول الله ﷺ وأخبره الخبر.

١-رواه مسلم (١٢١) .

٢-المشهور أن النبي ﷺ قال له الإسلام يجب ما قبله ومعني يجب: يقطع .

٣-واد بالقرب من مكة علي مسافة يومين منها.

سرية غالب بن عبيد الله الليثي إلي أهل الميفعة[1]:

في رمضان أرسل ﷺ غالب بن عبيدٍ الليثي إلي أهل الميفعة في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتي هجموا علي القوم فقتلوا بعضاً وأسروا أخرين وفي أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ولما رأي المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه إنما قال ذلك تخلصاً فقتله.

ولما رجع المسلمون إلي المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بفعله أُسامة قال :

(أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ فكيف تصنع بلا إله إلا الله ؟ قال يا رسول الله إنما قالها متعوذاً من القتل ، قال ﷺ (فهلاّ شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟ فقال يا رسول الله استغفر لي قال ﷺ (فكيف بلا إله إلا الله؟) فمازال يكرِهها حتي تمنيي أسامة أنه لم يسلم قبل ذلك قبل اليوم وأنزل الله ذلك في سورة النساء (يا أَيُّها الَّذين آمنُوا إِذَا ضربتم في سبيل اللَّه فَتبيَّنُوا ولا تقُولُوا لمن أَلْقَى إِليكم السَّلام لَست مؤْمنا تبتغُون عرض الحياة الدُّنْيا فعند اللَّه مغَانم كثيرةٌ كذَلك كُنتم من قَبل فَمنَّ اللَّه عليكم فَتبيَّنُوا إِنَّ اللَّه كان بما تعملون خَبيراً (٩٤))(النساء: ٩٤) ثم أمَر ﷺ أسامة أن يعتق رقبة كفارة لأنه قتل خطأ[2].

سرية بشير بن سعد إلي يمن وجبار لقتال عيينه بن حصن ومن معه:

في شوال بلغه ﷺ أن عيينه بن حصن واعد جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها يمن وجبار للإغارة علي المدينة فأرسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة بعير فساروا إليهم يكمنون النهار ، ويسيرون الليل حتي أتوا محلتهم ، فأصابوا نعماً كثيرة ، وتفرق الرعاء فأخبروا قومهم ففزعوا ولحقوا بعليا بلادهم ولم يظفر المسلمون إلا برجلين أسلما ، ثم رجعوا بالغنائم إلي المدينة.

عمرة القضاء:

لما حال الحول علي عمرة الحديبية خرج ﷺ بمن صدّ معه فيها ليقضي عمرته واستخلف علي المدينة أبا ذر الغفاري ، وساق معه الهدي ستين بدنة ، وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش ، وكان معه مائة فرس عليها محمد بن مسلمة ، وعلي السلاح بشير بن سعد ، وأحرم ﷺ من باب المسجد المدني، ولما انتهي إلي ذي الحليفة قدّم الخيل أمامه ، فقيل يا رسول الله ، حملت السلاح وقد شرطوا

١-علي ثمانية برد من المدينة بناحية نجد.

٢-رواه البخاري (٦٨٧٢) .

ألاّ تحمله ؟ فقالﷺ (لا ندخل الحرم به ولكن يكونِ قريباً منّا فإن هاجنا هائج فزعنا له) فلما كان بمر الظّهران قابلة نفر من قريش ، ففزعوا من هذه العدة، وأسرعوا إلي قومهم فأخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً، وإنّا لم نحدث حدثاً فقال (إنا لا ندخل الحرم بالسلاح) ولما حان وقت دخوله مكة خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت ، فدخل ﷺ وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثنّية كداء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده وطاف ﷺ بالبيت وهو علي راحلته ، واستلم الحجز بمحجنه ، وأمرِ أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط إظهار للقوة لأن المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حمي يثرب فقال ﷺ (رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة) واضطبع عليه ﷺ بردائه وكشف عضده اليمني شأن الفتوة ، وفعل مثله المسلمون ، وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين كما رأي ﷺ في منامة[1] .

زواج ميمونة :

تزوج ﷺ وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمة حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد ، وخالة عبد الله بن العباس وهي أخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف[2]ولما خرج ﷺ أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع ﷺ إلي المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله من تصديق رؤياه.

السنة الثامنة : سرية غالب بن عبد الله الليثي إلي بني الملوح بالكديد :

في صفر أرسل ﷺ عبد الله الليثي إلي بني الملوح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد[3] فسار القوم حتي إذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء ، وكان خصماً لدوداً فأسروه فقال لهم ما جئت إلا للإسلام فقالوا له إن تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة وإلا استوثقنا منك ، ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النّعم والشياه ، وخرج الصريخ إلي القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به ، ولكن من علي المسلمين فأرسل سيلاً شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتي صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرون علي ردها.

١-(الاكتفاء) (٢/٢٧٢-٢٧٤) .

٢-موضع قرب التنعيم .

٣-الكديد: موضع بين عسفان وقديد.

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلي بني مرة بفدك :

لما رجع غالب إلي المدينة ظافراً أرسله ﷺ في مائتي رجل ليقتص من بني مره بفدك هم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد – فساروا حتى إذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه ، فقال بعد أن حمد الله وأنثي عليه أما بعد فإني أوصيكم بتقوي الله وحده لا شريك له ، وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فإنه لا أري لمن لا يطاع ثم أخي بين الجند فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله وإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك ؟ فيقول لا أدي ، فإذا كبرت فكبروا ، فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا ، وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة .

سرية بن عمير الغفاري إلي ذات أطلاح :

في ربيع الأول أرسل ﷺ كعب بن عمير الغفاري إلي ذات أطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا فدعوهم إلي الإسلام فلم يجيبوا وقاتلوا، وكانوا أكثر عدداً ، فاستشهد المسلمون عن أخرهم إلا رئيسهم كعب بن عمير فإنه نجا وأتي بالخبر إلي رسول الله ﷺ فشق عليه وأراد أن يبعث إليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك .

غزوة مؤته :

جهز ﷺ في جمادي الأولي جيشاً للقصاص من قتلوا الحارث بن عمير الأزدي ، رسوله إلي أمير بصرة ، وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقال لهم (إن أُصيب فالأمير جعفر بن أبي طالب ، فإن أُصيب فعبد الله بن رواحة) وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف، فساروا وشيعهم ﷺ ، وكان فيما وصاهم به (أغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغير ولا بعيراً فانيا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا مؤته ، مقتل الحارث بن عمير ، وهناك وجدوا الروم قد جمعوا لهم جمعاً عظيماً[1] منهم ومن العرب المتنصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله ﷺ يطلبون منه مدداً أم يقدمون علي الحرب؟ فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله إن الذي تكرهون هو ما خرجتم له، خرجتم تطلبون

١-كان عدد جيش الروم مائة ألف ، وأنضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي – وهم من نصاري العرب- مائة ألف أخري.

الشهادة ونحن ما نقاتل بعدد ولا بقوة ولا بكثرة ، وما تقاتل إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالي به ، فإنما هي احدي الحسنين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال ، فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة ﷺ حتي استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول :

يا حبذا الجنــة واقترابهـا طيبة وبارد شرابهـا
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لا قيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتي استشهد ﷺ ، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد ، فقال يخاطب نفسه :

أقسمت يا نفس لتنــزلنـــه طـائعـــة أو لتكرهنّـــه
إن أجلب الناس وشدوا الرنةّ مالي أراك تكرهين الجنــة؟
قد طالمــا كنــت مطمئنـــة هل أنت إلا نطفة في شنّة؟

ثم أقتحم بفرسه المعمعة ولم يزل يقاتل ﷺ حتي استشهد وهمٍ بعض المسلمين بالرجوع إلي الوراء قال لهم عقبة بن عامر يا قوم يقُتل الإنسان مقبلا خير من أن يقتل مدبرا ، فتراجعوا واتفقوا علي تأمير الشهم الباسل خالد لن الوليد بهمته ومهارته الحربية حمي هذا الجيش من الضياع إذ ماذا تفعل ثلاث الأف بمائة وخمسين ألفا ؟ فإنه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديدا وفي غداة خالف ترتيب العسكر ، فجعل الساقة مقدمه ،والمقدمة ساقة ، والميمنة ميسرة ، و الميسرة ميمنة ، فظّن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا.

ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع إلي الوراء حتي انحاز إلي مؤته ثم مكث يناوش الأعداء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لأن الكفار ظنوا أن الأمداد تتوالي للمسلمين ، وخافوا أن يجروهم إلي وسط الصحاري حيث لا يمكنهم التخلّص ، وبذلك انقطع القتل ، وقد نصري النبي ﷺ زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب) وكانت عينا رسول الله تزرفان ثم قال حتي أخذ الراية سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم[1] وجاءه رجل فقال يا رسول الله ، إن نساء جعفر يبكين فأمره أن ينهاه فذهب الرجل ثم أتي فقال قد نهيتهن فلم يطعن،

١-رواه البخاري (٤٢٦٢) .

فأمره فذهب ثانياً ، ثم جاء فقال والله لقد غلبنا ، فقال له ﷺ (احث في أفواههن التراب) ولما أقبل الجيش إلي المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يا فُرار فقال ﷺ بل هم الكرار ظن المقيمون بالمدينة أن انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله ﷺ أراهم أن ذلك من مكايد الحرب وأثني علي خالد في مهارته[1] .

سرية عمرو بن العاص إلي قضاعة في وادي القرِي :

في جمادي الأخرة بلغه ﷺ أن جميعاً من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القري ليغيروا علي المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين و الأنصار ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر ، فلحقوا عمراً قبل أن يصل إلي القوم وقد أراد رجال من الجيش إيقاد نار فمنعهم عمرو فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر إنما بعثة رسول الله ﷺ علينا رئيساً لمعرفته بالحرب أكثر منّا تعصه فامتثل.

ولما حلُّوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة تفرق الأعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا إتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ، ثم رجعوا إلي المدينة ظافرين وبينما هم في الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال إن أنا اغتسلت هلكت والله يقول (وأَنفقُوا في سبيل اللَّه ولا تُلْقُوا بِأَيْديكُم إِلَى التَّهْلُكَة وأَحْسنُوا إِنَّ اللَّه يحبُّ الْمحْسنين (١٩٥))(البَقرة:١٩٥) ثم تيَمم وصلي ، ثم أمر بالسيرَ حتيَ إذا وصلوا إلَي المدينَة قام رسول الله ﷺ يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته ، فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص من نهييهم عن إيقاد النار ، ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنباً ، فسأله ﷺ عن ذلك فقال منعتهم من إيقاد النار لئلا يري العدو قلّتهم فيطمع فيهم ونهيتهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصلّيت جنباً لأن الله يقول (وأَنفقُوا في سبيل اللَّه ولا تُلْقُوا بِأَيْديكُم إِلَى التَّهْلُكَة وأَحْسنُوا إِنَّ اللَّه يحبُّ الْمحْسنين (١٩٥)) (البقرة:١٩٥) وإنَ أنا اغتسلتَ هلكتَ فتبسم ﷺ وأثنيَ عليَ عمرو خيراً[2].

١-البداية والنهاية (٤/٢٥٥) .

٢-رواه أبوا داود (٣٣٤/٣٣٥)

سرية أبي عبيد عامر بن الجراح إلي ساحل البحر لغزو قبيلة جهينه :

في رجب أرسل ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر ، وزود ﷺ هذا الجيش جراباً من التمر ، فساروا حتي إذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو ، وقد فني زادهم حتي أكلوا الخبط وهو ورق السمر- يبلّونه بالماء ويأكلونه إلي أن تقرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة لأن قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين علي أبيه فخاف أبوا عبيدة ألاّ يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أتري سعدا يقضي ديون الناس ، ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله ؟ ولما يئسوا من بقاء عدوهم رجعوا إلي المدينة فقال قيس بن سعد لأبيه كنت في الجيش فجاعوا فقال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نهيت.

الباب الرابع

الفتح المبين وانتشار الدعوة والهداية

الفصل الأول

فتح مكة

غزوة الفتح الأعظم :-

إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه وأزال كل موانعه ، فقد كان ﷺ يعلم أنه لا تُذل العرب حتى تُذل قريش، ولا تنقاد البلادِ حتى تنقاد مكة ، فكان يتشوق لفتحها ولكن كان يمنعه ﷺ من ذلك العهود التي أعطاها قريشاً في الحديبية وهو ﷺ سيد وأشرف من وفّي ولكن إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه ، فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله ﷺ وقبيلة بني بكر دخلت في عهد قريش، وكان بين خزاعة وبني بكر دماء في الجاهلية كمنت نارها بظهور الإسلام ، فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بني بكر يتغنى بهجاء الرسول ﷺ علي مسمع من رجل خزاعي ، فقام هذا وضربه ، فحرك ذلك كامن الأحقاد ، وتذكر بنو بكر ثأرهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم ، واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سراً بالعُدة والرجال ثم توجهوا إلي خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو علي العشرين، ولما رأي ذلك حلفاء السيد الأمين أرسلوا منهم وفداً برئاسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله ﷺ بما فعل بهم بنو بكر وقريش، فلما حلُوا بين يديه وأخبروه قال (والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه) أما قريش فإنهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهود التي أُخذت عليهم ندموا علي ما فعلوا وأرادوا مداواة هذا الجرح، فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب إلي المدينة ليشد العقد ، ويزيد في المدة ، فركب راحلته ، وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى إذا جاء المدينة نزل علي أم المؤمنين أم حبيبة بنته، وقد أراد أن يجلس علي فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك أن تجلس علي فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فقال: لقد أصابك بعدي شر ثم خرج من عندها وأتي النبي ﷺ في المسجد، وعرض عليه ما جاء له ، فقال له ﷺ (هل كان من حدث ؟) قال لا فقال ﷺ (فنحن علي مدتنا وصلحنا) ولم يزد علي ذلك فقام أبو سفيان ومشى إلي أكابر المهاجرين من قريش لعلهم يساعدونه علي مقصده ، فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا في جوار رسول الله ﷺ فرجع إلي قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بأنه خانهم واتبع الإسلام ، فتنسك عند الأوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة.

أما رسول الله ﷺ فتجهز للسفر ، وأمر أصحابه بذلك ، وأخبر الصدّيق بالوجهة ، فقال له يا رسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد؟ قال (نعم ولكن غدروا ونقضوا) ثم استنفر ﷺ الأعراب الذين حول المدينة وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة) فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وطوى ﷺ الأخبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر ، فتعلم قريش فتستعد للحرب ، والرسول ﷺ لا يريد أن يقيم حرباً بمكة ، بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها ، فدعا مولاه جل ذكره وقال (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) فقام حاطب بن أبي بلتعة أحد الذين شهدوا بدراً، وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وأرسله مع جارية لتوصله إلي قريش علي جعل ، فأعلم الله رسوله ﷺ ذلك فأرسل في أثرها عليا والزبير والمقداد وقال (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فأن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها) فانطلقوا حتى أتوا الروضة ، فوجدوا بها المرأة ، فقالوا لها لتخرجين الكتاب ، قالت ما معي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها، فأتوا به رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ (يا حاطب ما هذا ؟) قال يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال ﷺ (أما إنه قد صدقكم) فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال (إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع علي من شهد بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وفي ذلك أنزل الله في سورة الممتحنة (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [1] [الممتحنة : ١] . ثم سار ﷺ بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد أن ولي علي المدينة ابن أم مكتوم ، وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهدولما وصل الأبواء لقيه اثنان كانا من أشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر، وصهره عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة شقيق زوجة أم سلمة وكانا يريدان الإسلام، فقبلهما ﷺ وفرح بهما فرحاً شديداً وقال (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) [يوسف ٩٢] ولما وصل ﷺ الكديد رأي أن الصوم شق علي المسلمين ،

١- رواه البخاري (٣٠٠٧ ، ٤٨٩٠) ، ومسلم (٢٤٩٤).

فأمرهم بالفطر ، وأفطر هو ﷺ ، وقد قابل ﷺ في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله، فأمره أن يعودِ معه إلي مكة ويرسل عياله إلي المدينة .

ولما وصل ﷺ مر الظهران أمر بإيقاد عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قدِ بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدري وجهته ، فأرسلوا أبا سفيان بنِ حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة ، فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان بنو عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس (احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلي المسلمين) فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر كتيبةَ كتيبة علي أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها حتى إذا مرت به قبيلة الأنصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الزمَّار ، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيها رسول الله ﷺ وأصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام ، فأخبرِ أبو سفيان رسول الله ﷺ بمقالة سعد فقال ﷺ (كذب سعد، ولكن هذا يومِ يعظّم الله فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة) [١]

ثم أمر ﷺ أن ترتكز رايته بالحجون[٢] وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كُدى ودخل هو من أعلاها من كداء [٣] ونادي مناديه (من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)

وهذه أعظم منة له ، واستثني من ذلك جماعة عظّمت ذنوبهم ، وآذوا الإسلام وأهله عظيم الأذى ، فأهدر دمهم وإن تعلقوا بأستار الكعبة – منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، ثم ارتد وافتري الكذب علي الأمين المأمون ، فكان يقول إن محمداً كان يأمرني أن أكتب عليم حكيم فأكتب غفورِ رحيم فيقول كل جيد [٤]

ومنهم عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وهبار بن الأسود ، والحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية ، وكعب بن زهير ، ووحشي قاتل حمزة، وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وقليل غيرهم ، ونهي عن قتل أحد سوى هؤلاء إلا من قاتل ، فأما جيش خالد بن الوليد فقابله

١- رواه البخاري (٤٢٨٠) .

٢- جبل بمعلاة مكة.

٣- كدي كقوي جبل مسفلة بمكة علي طريق اليمن ، وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة.

٤- رواه البخاري (٣٦١٧) ومسلم (٢٧٨١).

الذعر من قريش يريدون صده ، فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين ، وقُتِل من جيشه اثنان ، ودخلها عنوة من هذه الجهة ، وأما جيش رسول الله ﷺ فلم يصادف مانعا وهو ﷺ راكب راحلته منحن علي الرحل تواضعاً لله وشكراً له علي هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل وأسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلا ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه، وهو يقرأ سورة الفتح ، حتى بلغ البيت ، وطاف سبعاً علي راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة إذا ذاك ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل ﷺ يطعنها بعود في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد) ثم أمر بالأصنام فأخرجت من البيت وفيها صورة إسماعيل وإبراهيم في أيديهما الأزلام ، فقال ﷺ (قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قط) .

وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الأدناس سقطت عبادة الأوثان من جميع بلاد العرب إلا قليلا ويوشك أن نوضح اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية .

العفو عند المقدرة :-

ثم إن النبي ﷺ دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم خرج إلي مقام إبراهيم وصلي فيه ركعتين ، ثم شرب من زمزم، وجلس في المسجد والناس حوله ، والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه ، وأخرجوه من بلاده وقاتلوه ، ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق التي يلزم أن يتعلم منها المسلم ، أن يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس ، فقال ﷺ (يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخٌ كريم وابن أخ كريم فقال ﷺ اذهبوا فأنتم الطلقاء ويرحم الله الإمام البوصيري حيث قال

وإذا كان القطع والوصل لله	تساوى التقـــريب والإقصـاء
وسواء عليـــه فيمـــا أتـاه	ســـواه المـــلام والإطـــراء
ولـــو أن انتقامـــه لهـــوى	النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الأمور فأرضـــي	الله منـــه تبـــاين ووفـــاء
فعله كله جميل وهلي ينفخ	إلا بمـــن حـــواه الإنـــاء

ثم خطب ﷺ خطبة أبان فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية منها ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة علي عمتها أو خالتها والبينة علي من ادعي ، واليمين علي من أنكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ، ثم قال (يا معشر قريش

إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب) ثم تلا هذه الآية (يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكم شعوباً وقَبائل لتعارفُوا إِنَّ أَكْرمكم عند اللَّه أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّه عليم خَبير) [الحجرات : ١٣]

ثم شرعَ الناسَ يبايعونَ رسولَ الله ﷺ علي الإسلام ، وممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان، وأبو قحافة والد الصديق ، وقد فرح الرسول ﷺ كثيراً بإسلامه وجاء رجل يرتعد خوفاً ، فقال له ﷺ (هون عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) [١]

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ، ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم[٢] فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ إليه أخيه من الرضاع عثمان بن عفان ، وطلب منه أن يستأمن له رسول الله ، فغيبة عثمان حتى هدأ الناس ، ثم أتي به وقال يا رسول الله ، قد أمنّته فبايعه ، فأعرض عنه ﷺ مراراً ثم بايعه ، فلما خرج عثمان وعبد الله قال ﷺ (أعرضت عنه ليقوم إليه أحدكم فيضرب عنقه) فقالوا هلا أشرت إلينا ؟ فقال (لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) [٣]

وأما عكرمة بن أبي جهل [٤] فهرب ، فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وكانت قد أسلمت يوم الفتح ، وقد أخذت له أماناً من رسول الله ﷺ فلحقته ، وقد أراد أن يركب البحر ، فقالت جئتك من عند أبر الناس وخيرهم ، لا تهلك نفسك وإني قد استأمنته لك فرجع ، ولما رآه ﷺ وثب قائماً فرحاً به وقال (مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً) ثم أسلم ﷺ ، وطلب من رسول الله ﷺ أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له ، وكان ﷺ بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم علي الإسلام

وأما هبار بن الأسود فهرب واختفي حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالجعرانة جاءه مسلماً وقال يا رسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال ﷺ (قد عفوت عنك) وأما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية

١- رواه ابن ماجه (٣٣١٢) .

٢- فتح الباري (٩/٧) .

٣- رواه أبو داود (٢٦٨٣ ، ٤٣٥٩) ، والنسائي (٧ / ١٠٥ ، ١٠٦) .

٤- (مغازي الواقدي) ، (٢ / ٨٥٣ ،٨٥٥) .

المخزومي ، فأجارتهما أم هاني بنت أبي طالب فأجاز ﷺ جوارها ، ولما قابل رسول الله ﷺ الحارث بن هشام مسلماً قال له (الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الإسلام) وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة ، وأما صفوان بن أمية فأختفي وأراد أن يذهب ويلقي نفسه في البحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجحمى وقال يا نبي الله إن صفوان سيد قومه هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فإنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فقال ﷺ (أدرك ابن عمك فهو آمن) فقال أعطني علامة ، فأعطاه عمامته ، فأخذها عمير حتى إذا لقي صفوان قال له فداك أبي وأمي ، جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس وأحلم الناس ، وخير الناس وهو ابن عمك ، وعزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك.

قال صفوان : إني أخاف علي نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم ، وأراه العمامة علامة الأمان ، فرجع إلي رسول الله ﷺ وقال له إن هذا يزعم أنك أمنتني ؟ قال صدق قال أمهلني بالخيار فيه شهرين قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر ثم أسلم ﷺ وحسن إسلامه[1]

وأما هند بن عتبة فاختفت ثم أسلمت وجاءت إلي رسول الله ﷺ فرحب بها وقالت له والله يا رسول الله ما كان علي ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك.

وفود كعب بن زهير :-

أما كعب بن زهير فلما ضاقت به الأرض ولم يجد له مجيراً ، جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله ﷺ من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثي وإن طالت سلامته ... يوماً علي آلة حدباء محمول

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وقال فيها مادحاً

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول ﷺ بردته الشريفة

١- صحيح مسلم (٢٣١٣) .

وأما وحشى قاتل حمزة فكذلك أسلم ، وحسن إسلامه ، وقبله ﷺ ، وقد جاءه ابنا أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما ﷺ .

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو ، فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه ﷺ وقال (إن سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل يجهل الإسلام) فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال كان والله براً صغيراً ، براً كبيراً ، ثم أسلم بعد ذلك

بيعة النساء :-

لما تمت بيعة الرجال بايعه النساء ، وكن يبايعن علي ألا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين الرسول ﷺ في معروف ثم أمر ﷺ بلالا أن يؤذن علي ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الإسلام علي ظهر البيت الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده علي هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم.

وأقام ﷺ بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة ، وولي عليها عتاب بن أسيد ، وجعل رزقه كل يوم درهماً ، فكان عتاب ﷺ يقول لا أشبع الله بطناً جاع علي درهم كل يوم.

هدم العُزى :-

في الخامس من مقامه ﷺ بمكة أرسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى – وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها ببطن نخلة فتوجه إليها خالد وهدمها .

هدم سُواع :-

أرسل ﷺ عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل وهيكله علي ثلاثة أميال من مكة ، فذهب إليه وهدمه .

هدم مناة :-

بعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكلب وخُزاعة وهيكلها بالمُشَلّل وهو جبل علي ساحل البحر يهبط منه إلي قديد فتوجهوا إليها وهدموها.

غزوة حُنين:

بهذا الفتح المبين وسقوط دولة الأصنام، دانت للإسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً، أما قبيلتا هوازن وثَقيف فأدركتهما حمية الجاهلية الأولي، واجتمع الأشراف منهم للشورى فيما بينهم، وقالوا قد فزع محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا.

فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم علي ذلك، وولوا رياستهم مالك بن عوف النصري فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم، بنو سعد بن بكر الذي كان رسول الله ﷺ مسترضعا فيهم، وكان من القوم دريد بن الصمة المشهور بأصالة الرأي، وشدة البأس في الحرب، ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب إلا الرأي، ثم إن مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذرياتهم وأموالهم ، فلما علم ذلك دريد سأل مالكاً عن السبب، فقال سقت مع الناس أموالهم وذرياتهم ونساءهم لأجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فقال دريد: وهلي يرد المنهزم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعل إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، فلم يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة، ووراءهم الأبل ثم البقر والغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين[1].

أما رسول الله ﷺ فإنه لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع رأيه علي المسير إليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غازٍ، منهم ألفان من أهل مكة والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة ،وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو صف ﷺ الغزاة وعقد الألوية فأعطي لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء الأوس لأُسيد بن حضير وكذلك أعطي ألوية لقبائل العرب الأخرى ثم ركب ﷺ بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر ﷺ.

وقد أُعجب المسلمون بكثرتهم فلن تغن عنهم من الله شيئاً، فإن مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو، فخرج لهم كمين كان مستتراً في شعاب الوادي ومضايقه، وقابلهم بنبل كأنه الجراد المنتشر ، فلووا أعنّة خيلهم متقهقرين ، ولما وصلوا إلي من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة ، أما رسول الله ﷺ فثبت علي بغلته في ميدان القتال، وثبت

١- رواه مسلم (١٣٦).

معه قليل من المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن أبي لهب وكان العباس آخذاً بلجام البغلة وأبو سفيان آخذاً الركاب وكان ﷺ ينادي (إلي أيُّها الناس) ولا يلوي عليه أحد وضاقت بالمنهزمين الأرض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالإسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الإدبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

وقال أخ صفوان بن أمية : الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو علي شركه اسكت فضّ الله فاك والله لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فو الله لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الأعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك الأمر بيد الله ليس إلي محمد منه شيء إن أُديل عليه القوم فإن العاقبة له غداً فقال سهيل بن عمرو والله إن عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد إنا كنا علي غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع

وبلغت هزيمة بعض الفارين مكة ، كل هذا ورسول الله ﷺ واقف مكانه يقول :

أنا النبـــي لا كـــذب أنا بن عبد المطـــلب[1]

ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت (ناد بالأنصار يا عباس) فنادي يا معشر الأنصار يا أصحاب بيعة الرضوان ، فاسمع من في الوادي ، وصار الأنصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم ان يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ، ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله ﷺ جمع كبير منهم وأنزل الله سكينته علي رسوله ﷺ وعلي المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها، فكر المسلمون علي عدوهم يداً واحدة فانتكث فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون علي شيء من الأموال والنساء والذرية وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذرية وأسروا كثيراً من المحاربين، وهرب من هرب ، وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم أناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين والذي حدث في هذه الغزوة درس مهم من دروس الحرب ، فإن الجيش

١- رواه مسلم (١٧٧٦) .

دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد بالإسلام هؤلاء سيان عندهم لغير الإسلام وخذلانه ولذلك بادروا لأول صدمة إلي الهزيمة.

وكادت تتم الكلمة علي المسلمين لولا فضل الله ورحمته وعنايته ، فلا ينبغي أن يكون في الجيش إلا من يقاتل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقاً عن دينه ، فلا تميل نفسه إلي الفرار خشية مما أعده الله للفّارين من عذاب أليم.

ثم أمر ﷺ بجمع الغنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير وأكثر من أربعين ألفا شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، فجمع ذلك كله بالجعرانة أما المشركون فتفرقوا ثلاث فرق : فرقة لحقت بالطائف ، وفرقة لحقت بنخلة ، وفرقة عسكرت بأوطاس [1]

سرية أبي عامر الأشعري للحاق من فر من هوازن :- [2]

فأرسل ﷺ لهذه الفرقة أبا عامر الأشعري في جماعة منهم أبو موسي الأشعري ، فسار إليهم وبددهم وظفر بما بقي معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر في هذه الغزوة وخلّف علي الغزاة ابن أخيه أبا موسي فرجع ظافراً منصوراً .

غزوة الطائف :-

سار ﷺ بمن معه إلي الطائف ليجهز علي بقية حياة ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل علي مقدمته خالد بن الوليد ، ومر ﷺ بحصن لمالك بن عوف النصري فأمر بهدمه ومر ببستان لرجل من ثقيف قد تمنّع فيه ، فأرسل إليه أن اخرج وإلا حرقنا عليك بستانك ، فامتنع الرجل فأمر ﷺ بحرقه .

ولما وصل المسلمون إلي الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به وأدخلوا معهم قوت سنتهم فعسكر المسلمون قريب الحصن ، فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد طاوله[3] جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ، ومنهم أبو سفيان بن حرب فُقئت عينه ، وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين ، ولما رأي رسول الله ﷺ أن العدو متمكن من رميهم ارتفع إلي محل مسجد الطائف الآن ، وضرب لأم سلمة وزينب قبتين هناك ، واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً ،

١- واد بديار هوازن .

٢- أي الفرقة التي عسكرت بأوطاس .

٣- امتد به .

كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالمبارزة فلم يجبه أحد ، وناداه عبد يا ليل عظيم ثقيف لا ينزل إليك منّا أحد ، ولكن نقيم في حصننا ، فإن فيه من الطعام ما يكفينا سنين ، فإن أقمت حتى يفني هذا الطعام خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا ، فأمر ﷺ بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب.

ودخل جمع من الأصحاب تحت دبابتين[1] لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوهم، فأمر ﷺ أن تقطع أعنابهم ونخيلهم ، فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً ، فناداه أهل الحصن ، أن دعها لله وللرحم ، فقال (أدعها لله وللرحم) ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن ، فخرج إليه بضعة عشر رجلاً ولما رأي ﷺ أن تمنع ثقيف شديد ، وأن الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلّي في الذهاب أو المقام ، فقال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت أخذته ، وإن تركته لم يضرك فأمر ﷺ بالرحيل ، وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو علي ثقيف ، فقال (اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين)[2]

تقسيم السِبي :-

ثم رجع ﷺ إلي الجُعرانة حيث ترك السبي فأحصاه ، وخمسه وأعطي منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم يتألفهم بذلك، وأعطَي أناساً لم يسلموا ليحبب إليهم الإسلام ومن الأولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الإبل وكذلك ابناه معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لأنت كريم في السلم والحرب .

ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه ، ثم استزاده فأعطاه مثلها وقال (يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة) فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلي[3] فأخذ حكيم المائة الأولي وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ[4] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ يعرضون عليه العطاء الذي

١- آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها.

٢- صحيح السيرة النبوية ص ٥٦٦ .

٣- رواه البخاري (١٤٧٢) .

٤- لا أنقص .

يستحقه من بيت المال فلا يأخذه وأعطي ﷺ عيينة بن حصن مائة من الإبل وكذلك الأقرع بن حابس ، والعباس بن مرداس.

وأعطي صفوان بن أمية شعباً مملوء نعماً وشاء كان رآه يرمقه [1] فقال له(هل يعجبك هذا ؟) قال نعم ، قال (هو لك) فقال صفوان ما طابت بمثل هذا نفس أحد وكان سبب إسلامه.

وكان ﷺ يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها علي الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسماً للمؤلفة قلوبهم ، وقد عاد ذلك بفائدة عظمى ، فإن كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا في قلوبهم حب الإسلام صاروا بعد ذلك من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعاً كصفوان بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان، والحارث بن هشام وغيرهم.

ثم أمر ﷺ زيد بن ثابت فأحصي ما بقي من الغنائم وقسمه علي الغزاة بعد أن اجتمع إليه الأعراب ، وصاروا يقولون له اقسم علينا حتى ألجأوه إلي شجرة فتعلق رداؤه فقال (ردوا ردائي أيها الناس ، فو الله إن كان لي شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جباناً ولا كذوباً) ثم قام إلي بعيره وأخذ وبرة من سنامه وقال (أيها الناس ، والله مالي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول [2] يكون علي أهله عاراً وشفاراً ونارا يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خلسة يرده ولو كان زهيداً ، ثم شرع يقسم فأصاب الرجل أربعة من الإبل وأربعون شاه ، والفارس ثلاثة أمثال ذلك ، فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب ﷺ حتى احمر وجهه الشريف وقال (ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟) فلم يؤده غضبه أن ينتقم لنفسه ، حاشاه ﷺ من ذلك ، بل لم يزد علي أن نصح وحذّر ﷺ وقال له عمر وخالد بن الوليد : دعنا يا رسول الله نضرب عنقه ، فقال (لا لعله أن يكون يصلي) فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال ﷺ (إني لم أؤمر أن أنقّب عن قلوب الناس ، ولا أشق عن بطونهم) .

ولما أعطي رسول الله ﷺ ما أعطي من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب ، وترك الأنصار غضب بعضهم حتى قالوا ، إن هذا لهو العجب يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر

١- ينظر إليه .

٢- الاختلاس من الغنيمة .

من دمائهم فبلغه ذلك ، فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال (يا معشر الأنصار ما مقالةٌ بلغتني عنكم ؟ ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وعالةً [1] فأغناكم الله بي ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟ إن قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة ، وإني أردت أن أخبرهم وأتألفّهم ، أغضبتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلي إسلامكم الثابت الذي لا يزلزل ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلي رحالكم ؟ فو الذي نفسٍ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحمِ الأنصارِ وأبناء الأنصار) فبكي القوم حتى اخضلّت لحاهم وقالوا رَضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ، ثم انصرف ﷺ وتفرقوا[2] .

وفود هوَازِن :- [3]

بعد بضع عشرة ليلة جاءه ﷺ وفد هوازن يرأسهم زهير بن صرد وقالوا يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات، وهن مخازي الأقوام ونرغب إلي الله وإليك يا رسولِ الله وقال زهير إن في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ثم قال أبياتاً يستعطفه بها :

امنن علينا رسول الله في كـــرم ... فإنك المـــرء نرجـــوه وننتظـــر
امنن علي نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك مملوءة من مخضها الدرر
إنا لنشكر للنعمـــاء إن كفـــرت ... وعندنا بعـــد هذا اليـــوم مدختـــر
إنا نؤمل عفـــوا منـــك نلبســـه ... هدي البرية إن تعفـــو وتنتصـــر
فألبس العفـــو قد كنـــت ترضعـــه ... من أمهاتك إن العفـــو مشتهـــر

فقال ﷺ (إن أحب الحديث إلي أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبيِ وإما المال وقد كنت انتظركم حتى ظننت أنكم لا تقدمون) فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، اردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحبُّ إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال ﷺ (أما ماهولبني عبد المطلب فهو لكم ، فإذا أنا صليت الظهر فقوموا ، وقولوا نحن نستشفع برسول الله ﷺ إلي

١- جمع عائل وهو الفقر .

٢- رواه مسلم (١٠٦١) .

٣- البداية والنهاية (٤ / ٣٥٢) .

المسلمين وبالمسلمين إلي رسول الله ﷺ بعد أن تظهروا إسلامكم ، وتقولوا نحن إخوانكم في الدين) ففعلوا فقال ﷺ لأصحابه (أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاءوا تائبين ، وإني قد رأيت ان أرد عليهم سبيهم ، فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون علي حظّه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل) فقال المهاجرون والأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وامتنع من ذلك جماعة من الأعراب، كالأقرع بن حابس، وعينيه بن حصن ، والعباس بن مرداس ، فأخذه الرسول منهم قرضاً[1] وأمر ﷺ بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أمية فقال له الوفد : أولئك ساداتنا فقال ﷺ (إنما أريد بهم الخير) ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال (أخبروه أنه إن جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل) فلما بلغ ذلك مالكاً نزل من الحصن خفية حتى أتي رسول الله ﷺ بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله واستعمله ﷺ علي من أسلم من هوازن [2]

عمرة الجعرانة :-

ثم إن الرسول ﷺ اعتمر فأحرم من الجعرانة، ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ، ثم رجع من ليلته ، وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر ﷺ بالرحيل ، فسار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث باقين من ذي القعدة .

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك، وأزال دولته، وأفقد سراة أهله ، فإن هوازن لم تترك وراءها رجلا تمكنه الحرب إلا ساقته ، ولم تترك لها بعيراً ولا شاة إلا جاءت به معها ، فأراد الله إعزاز الإسلام بخذلان أعدائه وأخذ أموالهم، فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول إن انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم إلا فئات قليلة بسوقهم الطيش إلا شهر السلاح ، ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة .

١- رواه البخاري (٤٣١٩) .

٢- السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٤٤) .

سرّية قيس بن سعد إلي صداء باليمن :-

لما رجع ﷺ إلي المدينة أرسل قيس بن سعد في أربعمائة ليدعو صداء قبيلة تسكن اليمن إلي الإسلام فجاء إلي رسول الله ﷺ رجل منهم، فقال يا رسول الله إني جئتك وافداً عمن ورائي ، فأردد الجيش وأنا لك بقومي فأمر ﷺ برَّد الجيش .

وفود صُدَاء :-

خرج الرجل إلي قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم، فنزلوا ضيوفاً علي سعد بن عبادة، ثم بايعوا رسول الله ﷺ علي الإسلام، وقالوا نحن لك علي من وراءنا من قومنا، ولما رجعوا فشا فيهم الإسلام وقدم علي رسول الله ﷺ منهم مائة في حجة الوداع.

سرّية بِشر بن سفيان العدوى إلي بنى كعب من خزاعة :-

ثم أرسل ﷺ بشر بن سفيان العدوى إلي بني كعب من خزاعة لأخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فُرِض عليهم ، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ أرسل إليهم عيينة بن حصن في خمسين فارساً من الأعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل إلي المدينة ، فأمر ﷺ بجعلهم في دار رملة بنت الحارث.

وفود تميم :-

فجاء في أثرهم وفد تميم ، وفيه عطارد بن حاجب ، والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم فجلسوا ينتظرون الرسول ﷺ ، فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج علينا نفاخرك، فإن مدحنا زين ، وإن ذمنا شين، فخرج إليهم ﷺ وقد تأذي من صياحهم وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1] [الحجَرات ٤ ، ٥]

وكان الوقت وقت الظهر فأذّن بلال ودخل النبي ﷺ للصلاة فتعلقوا به يقولون ، نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك ، فقال لهم ﷺ (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أُمرنا) ثم صلي الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الأهتم الزبرقان بن بدر فقال إنه لمطاع في أنديته ، سيد في عشيرته ،

١- رواه البخاري (٤٣٦٧ ، ٤٨٤٧) .

فقال الزبرقان : حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال ، فقال عمرو : إنه لزمن المروءة ضيق الطعن لئيم الخال ، فرئي الغضب في وجه رسول الله ﷺ لاختلاف قولي عمرو ، فقال يا رسول لقد صدقت في الأولي وما كذبت في الثانية ، رضيت فقلت أحسن ما عملت ، وغضبت فقلت أسوأ ما عملت.

فقال ﷺ (إن من البيان لسحراً) ثم أسلم القوم، فرد النبي ﷺ أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين .

سرّية الوليد بن عقبة لأخذ صدقات بني المصطلق :-

ثم بعث ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأخذ صدقات بني المصطلق ، فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعم إبل الصدقة، فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية، فرجع مسرعاً إلي المدينة، وأخبر الرسول ﷺ أن القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة، فأرسل لهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار إليهم في عسكره خفية حتى إذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة، فرجع وأخبر الرسول ﷺ ، فأرسل ﷺ لهم غير الوليد لأخذ الصدقات، وفي الوليد نزل في أوائل سورة الحجرات (يا أَيُّها الَّذين آمنوا إن جاءكم فَاسقٌ بنَبأٍ فَتَبيَّنُوا أَن تُصيبوا قَوماً بجهالَةٍ فَتُصْبحُوا علَى ما فَعلْتم نادمين) [الحجرات ٦] .

سرّيَة علقمة بن مجزز إلي جَدة لقتال بعض الحبشة :-

ثم بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من الحبشة رآهم أهل جدة في مراكبهم يريدون الإغارة عليها فأرسل لهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليدركهم وكان الأحباش متحصنين في جزيرة هناك ، فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فأوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم ألستم مأمورين بطاعتي؟ قالوا نعم قال عزمت عليكم إلا ما تواثبتم في هذه النار فقال بعضهم ما أسلمنا إلا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) [1]

١- رواه البخاري (٤٣٤٠) ، ومسلم (١٨٤٠) .

السنة التاسعة : سرّية علي بن أبي طالب لهدم صنم طيىء :-

في ربيع الأول أرسل ﷺ علي بن أبي طالب في مائة راكب وخمسين فارساً لهدم الفُلس صنم لطيى فسار إليه وهدمه وأحرقه ، ولما حارب عباده هزمهم وإستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم ، وكان فيه سفّانه بنت حاتم الطائى.

ولما رجع علي إلي المدينة طلبت سفانة من رسول الله ﷺ أن يمن عليها فأجابها لأنه كان من سِنته ﷺ أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها شكرتك يد افتقرت بعد غني ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلي لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة كريمٍ إلا جعلك سبب لردها عليه وكانت هذه المعاملة من رسول الله ﷺ سبباً في إسلام أخيها عدى بن حاتم الطائي الذي كان فر إلي الشام عندما رأي الرايات الإسلامية قاصدة بلاده وكان من حديث مجيئه أن أخته توجهت إليه بالشام وأخبرته ، بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين في أمرِ هذا الرجل؟ فقالت أري أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضل ، وإن يكن ملكاً فأنت أنت قال والله هذا هو الرأي .

وفود عُدى بن حاتم :-

فخرج حتى جاء المدينة ، ولقي رسول الله ﷺ فقال ﷺ من الرجل ؟ قال عدى بن حاتم فأخذه إلي بيته ، وبينما هما يمشيانِ إذا لقيت رسول الله ﷺ امرأة عجوز فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكمله في حاجتها فقال عدىٍ واللهِ ما هو بملك ، ثم مضي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها إلي عدى وقال (اجلس علي هذه) فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع ﷺ وأعطاها له ، وجلس هو علي الأرض ثم قال يا عدى أسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدى إني علي دين وكانِ نصرانياً فقال له ﷺ أنا أعلم بدينك منك فقال عدى أأنت أعلم بديني منى؟ قال : نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء ، كأخذه الربع وهو ربع الغنائم ثم قال (يا عدى إنما يمنعك من الدخول في الدين ما تري ، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما تري من كثرة عدوهم وقلة عددهم، أتعرف الجيرة؟ قال لم أرها وقد سمعت بها، قال فو الله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف البيت من غير جوار أحد، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وايم

الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم) [1] فأسلم عدى ﷺ وعاش حتى رأي كل ذلك .

غزوة تبوك (جيش العسرة) :-

بلغ رسول الله ﷺ أن الروم جمعت الجموع تريد غزوة في بلاده ، وكان ذلك في زمن عسرة الناس ، وجدب البلاد، وشدة الحر حين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، فأمر ﷺ بالتجهز وكان قلما يخرج في غزوة إلا وري بغيرها، ليعمي الأخبار علي العدو إلا في هذه الغزوة ، فإنه أخبر بمقصده لبعد الشُقة ولشدة العدو ، ليأخذ الناس عدتهم لذلك ، وبعث إلي مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم لذلك ، وحثّ الموسرين علي تجهيز المعسرين فأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار ، وأعطي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً ، فقال ﷺ (اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه) [2]

وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم ، فقال ﷺ (هل أبقيت لأهلك شيئاً؟) فقال ﷺ أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً من تمر وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن ، وجاءه ﷺ سبعة أنفس من فقراء الصحابة يطلبون إليه أن يحملهم فقال (لا أجد ما أحملكم عليه) فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم ، وجهز العباس اثنين ، وجهز يامين بن عمرواثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله ﷺ وهم ثلاثون ألفاً ، وولي علي المدينة محمد بن مسلمة وعلي أهله علي بن أبي طالب ، وتخلف كثير من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبي ، وقال يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب؟ والله لكأني أنظر إلي أصحابه مقرنين في الحبال واجتمع جماعة منهم ، فقالوا في حق رسول الله ﷺ وأصحابه ما يريدون من الأرجاء فبلغه ذلك ، فأرسل إليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا، فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب وجاء إليه جماعة منهم الجد بن قيس يعتذرون عن الخروج، فقالوا يا رسول الله ﷺ ، ائذن لنا ولا تفتنا لأنا لا نأمن نساء بني الأصفر ، وجاء إليه المعذرون من الأعراب وهم أصحاب الأعذار من ضعف أو قلّة ليؤذن لهم فأذن لهم ، وكذلك

١- السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٣٦) .

٢- رواه الترمذي (٣٧٥٢) .

استأذن كثير من المنافقين فأذن لهم ، وقد عتب الله عليه في ذلك الإذن بقوله تعالي في سورة التوبة (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) [التوبة ٤٣] ثم قال في حقهم (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) [التوبة ٤٥] ثم كذبهم الله في عذرهم قال (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) [التوبة ٤٦] ثم لكي لا يأسي المسلمون على قعود المنافقين عنهم ، قال جل ذكره (لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [التوبة ٤٧] وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في إسلامهم منهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وأبو خثيمة.

ولما خلّف ﷺ عليا قال المنافقون قد استثقله فتركه ، فأسرع إلي رسول الله ﷺ وشكا له ما سمع ، فقال ﷺ (أما ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسي) [1] ثم سار ﷺ بالجيش وأعطي لواءه الأعظم أبا بكر الصديق وفي إعطاء اللواء لأبي بكر آخر غزوة الرسول ﷺ ، وتخليف علي علي أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق ﷺ الرايات فأعطي الزبير راية المهاجرين ، وأُسيد بن حضير راية الأوس والحباب بن المنذر راية الخزرج ، ولما مر الجيش بالحجر وهي ديار ثمود ، قال ﷺ لأصحابه (لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم بكون) [2] ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملا علي حرس الجيش عباد بن بشر، وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا إلي تبوك وكانت أرضا لا عمارة فيها ، قال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل يوشك إن طالت بك حياة أن تري ما هنا مليء بساتين وقد كان [3] .

ولما استراح الجيش لحقه أبو خيثمة ، وكان من خبر مجيئه أن دخل علي أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له عريشتين لهما في بستان ، قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء ، وهيأت طعاما ، وكان يوما شديد الحر ، فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنّصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيأ لي زادا ففعلتا ، ثم ركب بعيره ، وأخذ سيفه ورمحه ، وخرج يريد رسول الله ﷺ فصادفه حين نزل بتبوك[4].

١- رواه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) .

٢- رواه البخاري (٣٣٧٨ ، ٤٧٠٢) ومسلم (٢٩٨١) .

٣- رواه مسلم (٧٠٦) .

٤- رواه مسلم (٢٧٦٩) .

وفود صاحب أيلة :-

لم ير ﷺ بتبوك جيشاً كما كان قد سمع ، فأقام هناك أياماً جاءه في أثنائها يوحنا ، صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء [1] وأهل أذرح [2] وأهل ميناء ، فصالح يوحنا رسول الله ﷺ علي إعطاء الجزية ، ولم يسلم وكتب له الرسول كتاباً هذه صورته .

كتاب صاحب أيلة :-

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله يوحنا (بن رؤبة) وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دونٍ نفسه، وإنه لطيبة لمن آخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر)

كتاب أهل أذرح وجرباء :-

كتب لأهل أذرح وجرباء كتاباً صورته (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء ، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافيه طيبة ، والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء علي ربع ثمارها.

ثم إن الرسول ﷺ استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلي ما هو أبعد منها من ديار الشام ، فقال له عمر: إن كنت أمرت بالسير فسر، فقال ﷺ (لو كنت أمرت بالسير لم أستشير) فقال يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك ، فلو رجعنا في هذه السنة حتى نري أو يحدث الله أمراً ، فتبع ﷺ مشورته، وأمر بالقفول فرجع الجيش إلي المدينة .

مسجد الضِرّار :-

لما كان علي مقربة منها ، بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ، ليفرقوا جماعةالمسلمين وجاءجماعة منهم إلي الرسول ﷺ طالبين منه أن يصلي لهم فيه ، فسألهم عن سبب بنائه ، فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى

١- قرية في جنوب الشام .

٢- مدينة تلقاء السراة .

والله يشهد إنهم لكاذبون ، فأمر ﷺ جماعة من أصحابه لينطلقوا إليه ويهدموه ففعلوا هذا ولما استقر ﷺ بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذباً ، فقبل منهم ﷺ علانيتهم ووكل ضمائرهم إلي الله واستغفر لهم .

حديث الثلاثة الذين خُلّفوا :- [1]

جاءه كعب بن مالك الخزرجي ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الأوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسُّم الغضب وقال (ما خلفك ؟) فقال يا رسول لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بغدر، ولقد أوتيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضي به عني ، ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن حدثتك بحديث صدق تغضب علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي من عذر فقال ﷺ (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) وقال صاحباه مثل قوله ، فقال لهم ﷺ كما قال لكعب ، ونهى المسلمين عن كلامهم ، فاجتنبهم الناس ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم ، واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لأنه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ، ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ، فأرسل لهم ﷺ من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى ، فتلقاهم الناس أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله ﷺ مسروراً فقال (أبشر يا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك) فقال من عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال (بل من عند الله) فقال كعب يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ولرسوله فقال ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ ﷺ الآيات التي فيها توبته هو وصاحباه في سورة التوبة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) [التوبة ١١٨] .

وفود ثقيف :- [2]

عقب مقدمة ﷺ من تبوك وفد عليه وفد ثقيف ، وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من محاصرتهم ، تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلي قومه ويدعوهم إلي الإسلام فقال له (إنهم قاتلوك) فقال يا

١- رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩).

٢- السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٩٣) .

رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ، فخرج إلي قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم ، لأنه كان فيهم محبباً ومطاعاً ، فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم العرب ، فأجمعوا أمرهم علي أن يرسلوا لرسول الله ﷺ رجلاً منهم يكلمه ، وطلبوا من عبد يا ليل بن عمرو [1] أن يكون ذلك الرجل فأبي [2] ، وقال لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فبعثوا معه خمسة من أشرافهم ، فخرجوا متوجهين إلي المدينة ، ولما قابلوا رسول الله ﷺ ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا وكانوا يغدون إلي رسول الله ﷺ كل يوم ويخلّفون في رحالهم أصغرهم سناً عثمان بن أبي العاص فكان إذا رجعوا ذهب إلي النبي واستقرأه القرآن وإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ، ثم أسلم القوم ، وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم ، فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه علي الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين.

كتاب أهل الطائف :-

ثم كتب لهم كتاباً من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلي المؤمنين ، إن عضاة وج وصيده حرام، لا يعضد شجرة، ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الإسلام في قلوب القوم ، ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه ، فرضي بذلك ﷺ ولما خرجوا عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف، اكتموا عنهم إسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمداً طلب أموراً عظيمة أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية ، وأن نترك الزني ، وشرب الخمر ، والربا ، فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف ، فقال الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ،ودان الناس له ، فعرض علينا أموراً شديدة ، وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم أصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال ، فأجابوا واستمروا علي ذلك يومين أو ثلاثة ، ثم ألقي الله الرعب في قلوبهم فقالوا والله مالنا بحربه من طاقة ارجعوا إليه وأعطوه ما سأل ، فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لقد كتمتم علينا ذلك ؟ قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا.

١- هو عبد يا ليل بن عمرو بن عمير الثقفي ، كان وجهاً من وجوه ثقيف .

٢- امتنع أن يذهب وحده لأنه خاف أن يفعلوا به ما فعلوه بعروة بن مسعود .

هدم اللات :-

لما بلغ رسول الله ﷺ إسلام ثقيف أرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف ، فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالأرض .

حج أبي بكر :- [1]

في آخر أيام ذي القعدة ، أرسلِ ﷺ أبا بكر ليحج بالناس ، فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ، ومعه الهدى : عشرون بدنة أهداها رسول الله ﷺ وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل علي رسول الله ﷺ أوائل سورة التوبة ، فأرسل بها عليا ليبلغها للناس في يوم الحج الأكبر وقال (لا يبلّغ عني إلا رجل منّي) فلحق أبا بكر في الطريق ، فقال الصديق هل استعملك رسول الله علي الحج ؟ قال لا ولكن بعثني اقرأ أو أتلو (التوبة علي الناس) فلما اجتمعوا بمني يوم النحر ، قرأ عليهم علي ثلاث عشرة آية من أول سورة التوبة ، تتضمن نبذ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفّوا عهودهم ، وإمهالهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الأرض كيف شاءوا وإتمام عِهد المشركين الذين لم يظّاهروا علي المسلمين ، ولم يغدروا بهم إلي مدتهم ثم نادي لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، وكان علي يصلي في هذا السفر وراء أبي بكر رضي الله عنهما.

وفاة ابن أبّي :-

في ذي القعدة مات عبد الله بن أُبي ، وقد صلّي عليه رسول الله ﷺ صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف علي قبره ، وإنما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله ، وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبي فيهم وقد نزع ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم ﷺ وقد نهي الله رسوله ﷺ عن الصلاة علي المنافقين، فقال جل شأنه وعلا ذكره في سورة التوبة (ولا تصل علَى أَحدٍ منْهم مَّات أَبدا ولا تقُم علَى قَبره إِنَّهم كَفَروا بِاللَّه ورسوله وماتوا وهم فَاسقُون)[2] [التوبة ٨٤] .

وفاة أمّ كلثوم :-

في هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

١- البداية والنهاية (٧ /١٣٦) ، وصحيح السيرة النبوية (٦٢٥).

٢- صحيح البخاري (٤٦٧٠).

السنة العاشرة : سرية خالد بن الوليد إلي نجران لمحاربة بنى عبد المدان :-

في ربيع الآخر أرسل ﷺ خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن ، وأمره أن يدعوهم إلي الإسلام ثلاث مرات فإن أبوا قاتلهم ، فلما قدم إليهم بعث الركبان فِي كل وجه يدعون إلي الإسلام ويقولون أسلموا تسلموا ، فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا ، فأقام خالد بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن الكريم وكتب إلي رسول الله ﷺ بذلك ، فأرسل إليه أن يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به ﷺ قال لهم (بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهِلية ؟) قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين .

سرية علي بن أبي طالب إلي بني مذحج :-

في رمضان أرسل ﷺ عليا في جمع إلي بنى مذحج قبيلة يمانية وعممه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم ، فادعهم إلي قول لا إله إلا الله ، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ، ولأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهي إليهم لقي جموعهم فدعاهم إلي الإسلام فأبوا ، ورموا المسلمين بالنبل فصف علي أصحابه وأمرهم بالقتال ، فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم ثم لحقهم ودعاهم إلي الإسلام فأجابوا، وبايعه رؤساؤهم ، وقالوا نحن علي من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع إلي رسول الله ﷺ فوافاه بمكة في حجة الوادع.

بعث العمال إلي اليمن :-

ثم بعث ﷺ إلي اليمن عمالاً من قبله ، فبعث معاذ بن جبل علي الكورة العليا من جهة عدن ، وبعث أبا موسي الأشعري علي الكورة السفلي ، ووصاهما ﷺ بقوله (يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا) [1] وقال لمعاذ (إنك ستأتي قوماً أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلي أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علي فقرائهم ، فإن هم اطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ،

١- رواه البخاري (٤٣٤٢) ، (٤٣٤٥) .

واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [1] وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ ، أما أبو موسي الأشعري فقدم علي الرسول ﷺ في حجة الوداع .

١- رواه البخاري (٤٣٤٧) .

الفصل الثاني
الوداع

حجة الوداع :- [1]

في السنة العاشرة حج ﷺ بالناس حجة ودع فيها المسلمين ، ولم يحج غيرها ﷺ وخرج لها يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة ، ووِلي علي المدينة أبا دجانة الأنصاري ، وكان مع الرسول ﷺ جمع عظيم يبلغ تسعين ألفا ، وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته ثم لبي فقال (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ولم يزل ﷺ سائراً حتى دخل مكة ضحىً من الثنية العليا وهي ثنية كداء ولما رأي البيت قال (اللهم زده تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا) ثم طاف بالبيت سبعا واستلم الحجر الأسود ، وصلي ركعتين عند مقام إبراهيم ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم سعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا علي راحلته وكان إذا صعد الصفا يقول ﷺ (لا إله إلا الله ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) وفي الثامن من ذي الحجة توجه إلي منى فبات بها [2]

خطبة الوداع :-

في التاسع منه توجه ﷺ إلي عرفة وهناك خطب ﷺ خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسسه وفروعه ، وهذا نصها : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم علي طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير ، أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلي أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلي من ائتمنته عليها .

إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة

١- زاد المعاد (٣ / ٥٩٥) .

٢- رواه البخاري (٤٤٠٧) ، ومسلم (١٢١٨) .

بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم.

أيها الناس إن النسيء [1] زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرَّم الله ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادي وشعبان ، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد.

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن ، فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن [2] وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان ، ولا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد.

أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلُّ لأمرئ مال أخيه إلاّ عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله و سنّة نبيه ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وراث نصيبه من الميراث ، ولا تجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر[3] ، من ادعي إلي غير أبيه أو تولي غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، والسلام عليكم ورحمة الله

١- كانت العرب تحرم أربعة أشهر ثلاثة متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر رجب وكانوا ربما استطالوا هذه الأشهر المتوالية لحاجتهم إلي الحرب والقتال ، فأجلوا المحرم وحرموا صفراً من العام المقبل ، فهذا هو الذي عابه القرآن عليهم لأتباعهم الهوى في عقيدتهم .

٢- العضل : هو الحبس والتضييق .

٣- أي للزاني المتزوج الحد ، وهو ان يرمي بالحجارة حتى يموت .

وفي هذا اليوم امتن الله علي المؤمنين بقوله في سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) [المائدة ٣] فلا غرابة أن اتخذه المسلمون عيدا ، ويوما سعيدا يظهرون فيه شكر الله علي هذه النعمة الكبرى

ثم إنه ﷺ أدي مناسك الحج من رمي الجمار ، والنحر ، والحلق ، والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل إلي المدينة ولما رآها كبر ثلاثا وقال ﷺ (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) [1]

الوفود :-

في هذه السنة والتي قبلها كان قدوم وفود العرب إلي رسول الله ﷺ ليبايعوه علي الإسلام ، وكانوا يقدمون أفواجا ، ولما في أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الأدب أن يعرفها ، رأينا أن نخص بالذكر ما يزيدك يقينا وهدي وينير بصيرتك فنقول.

وفود نجران :- [2]

من الوفود وفد نصاري نجران وكانوا ستين راكباً ، دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير ، مختمين بالذهب ، ومعهم بسط فيها تماثيل ، ومسوح جاءوا بها هدية للنبي ﷺ فلم يقبل البسط وقبل المسوح، ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ، ولما أتموا صلاتهم دعاهم ﷺ للإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال ﷺ (يمنعكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولدا) قالوا فمن مثل عيسي خلق من غير أب ؟ فأنزل الله في ذلك سورة آل عمران (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران ٥٩] وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [آل عمران ٦١]

١- صحيح السيرة النبوية ص ٦٦٤ .

٢- البداية والنهاية (٤٨/٥) .

فدعاهم ﷺ لذلك فامتنعوا ورضوا بإعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أميناً فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمي أمين هذه الأمة.

وفود ضمام بن ثعلبة :-[1]

من الوفود ضمام بن ثعلبة ، بينما رسول الله ﷺ بين أصحابه مكتئباً جاء رجل من أهل البادية ، ثائر الرأس ، يسمع دوي صوته ، ولا يفقه ما يقول فأناخ جمله في المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب ؟ فدلوه عليه، فدنا منه وقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة ،فلا تجد [2] علي نفسك فقال (سل ما بدا لك) فقال : أنشدك بالله ، آلله أرسلك إلي الناس كلهم ؟ فقال ﷺ نعم فقال أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ، قال (اللهم نعم) فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده علي فقرائنا ؟ قال اللهم نعم ، فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال اللهم نعم ،قال فإني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة [3] ولما ولي ، قال ﷺ فقه الرجل ثم ذهب ضمام إلي قومه ودعاهم إلي الإسلام ، وترك عبادة الأوثان فأسلموا كلهم .

وفود عبد القيس :- [4]

ومن الوفود عبد القيس ، وكان من خبرهم أن الرسول ﷺ كان جالساً بين أصحابه يوماً فقال لهم (سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق ، لم يكرهوا علي الإسلام ، قد أنضوا [5] الركائب ، وأفنوا الزاد ، اللهم اغفر لعبد القيس) فلما أتوا ورأوا النبي ﷺ رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد ، وتبادروا إلي رسول الله ﷺ ، يسلمون عليه ، وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج ، وكان أصغرهم سنا ، فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع ، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هوناً حتى سلم علي رسول الله ﷺ وكان رجلا دميما ، ففطن لنظر الرسول ﷺ إلي دمامته ، فقال يا رسول الله ، إنه لا يستقي في مسوك أي جلود الرجال وإنما الرجل بأصغريه : قلبه ولسانه ، فقال ﷺ (إن فيك خلّتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة [6]) .

١- صحيح السيرة النبوية ص٦٣١ .

٢- أي لا تغضب .

٣- هو ضمام بن ثعلبة السعدي ، أسلم قومه كلهم علي يديه ، قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام .

٤- صحيح السيرة النبوية ص٦٣١ .

٥- أنضوا : أهزلوا .

٦- رواه البخاري (٥٠٣) .

وقد قال ﷺ لهذا الوفد (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيده [١] ، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نصل إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصلٍ ، فقال آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامِة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطعوا من المغانم الخمس،وأنهاكم عن الدباء [٢] والحنتم [٣] ، والنضير [٤] ، والمزفّت [٥] والمراد بذلك ما ينبذ في هذه الأواني .

فقال الأشج [٦] : يا رسول الله ، إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا ، فرخص لنا في مثل هذه ، وأشار إلي يده ، فأومأ ﷺ بكفّيه وقال (يا أشج إن رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه ومزج بين يديه وبسطه حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلي ابن عمه فضرب ساقه بالسيف) وإنما خص ﷺ نهيهم بما ذكر لكثرة الأشربة بينهم.

وفود بنى حنيفة :-

من الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان مسيلمة يقول إن جعل لي الأمر من بعده اتبعته ، فأقبل ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من جريد حتى وقف علي مسيلمة في أصحابه، فقال (إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، وإني لأراك الذي منه رأيت) وكان ﷺ قد رأي في منامه أن في يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما ، فأوحي الله إليه أن انفخهما فنفخهما فطارا ، فأولهما ﷺ كذّابين يخرجان من بعده ، فكان مسيلمة أحدهما والثاني الأسود العنسى صاحب صنعاء ، وقد أسلم بنو حنيفة [٧] .

وفود طيىء :-

من الوفود وفد طيىء ، وفيهم زيد الخيل رئيسهم ، وقد قال ﷺ في حقه (ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيته دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل) وسماه ﷺ زيد الخير.

١- لأن ديارهم كانت بساحل الخليج العربي ، وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز أرض نجد .

٢- اليابس .

٣- هو جرار مدهونة بدهان أخضر .

٤- هو أصل النخلة ينقر .

٥- ما طُلي بالزفت.

٦- الأشج : رجل أشج بين الشجة إذا كان في جبينه أثر الشجة .

٧- رواه البخاري (٣٦٢١ ، ٧٠٣٤) .

وفود كِندة :-

منهم وفد كندة وفيهم الأشعث بن قيس ، وكان وجيهاً مطاعاً في قومه ولما دخلوا علي رسول الله ﷺ خبأوا له شيئا وقالوا أخبرنا عما خبأناه لك فقال (سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن، وإن الكاهن والمتكهن في النار) ثم قال (إن الله بعثني بالحق، وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فقالوا أسمعنا منه ، فتلا ﷺ (والصَّافات صفاً فالزَّاجرات زجراً فالتَّاليات ذكراً إنَّ إلهكم لواحدٌ ربُّ السَّموات والأَرض وما بينهما وربُّ المشارق) [الصافات ١ :٥] ثم سكت وسكن ودموعه تجري علي لحيته ، فقالوا إنا نراك تبكي ، أفمن مخافة من أرسلك تبكي؟ قال (إن خشيتي منه أبكتني ، بعثني علي صراط مستقيم في مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت) ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك ثُمَّ لا تجد لك به علينا وكيلا إلاَّ رحمةً من ربِّك إنَّ فضله كانَ عليك كبيرا) [الإسراء ٨٦ : ٨٧] ثم قالَ لهم ﷺ ألم تسلموا؟ قالوا بلي قال (ما بال هذا الحرير في أعناقكم؟) فعند ذلك شقّوه وألقوه.

وفد أزد شنوءة :-

منهم وفد أزد شنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلموا وأمره عليهم ، وأمره بأن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك.

وفود رسول ملوك حِميَر :-

منهم وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كُلال ، ونعيم بن عبد كُلال ، والنعمان قيل ذي رعين ، وهمدان ، وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب إليهم النبي ﷺ .

كتاب ملوك حمير :-

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلي الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين ، ومعافر ، وهمدان ، أما بعد : فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم ، فلقيناه بالمدينة فبلّغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من الغنائم خُمس الله، وسهم النبي وصفيه وما كتب علي المؤمنين من الصدقة أما بعد فإن محمداً النبي أرسل إلي زرعة بن ذي يزن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا: معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم ، وأبلغوها رسلي وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً، أما بعد : فأن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنا عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير ، وقتلت

المشركين ، فأبشر بخير وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله ﷺ هو مولي غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحلٍ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يزكيٍ بها علي فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكاً قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب ، وآمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفود همدان :-

منها وفود همدان ، وفيهم مالك بن عغط، وكان شاعراً مجيداً ، فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك ، عليهم مقطّعات من الحبرات [1] اليمنية ، والعمائم العدنية وقد انشد مالك لرسول الله ﷺ

حلفت برب الراقصات إلي منـي ... صوادر بالركبان من هضب قــردد [2]

بأن رسـول الله فينـا مصــدق ... رسول أتي من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشــد علي أعدائــه من محمتــد

وقد أمره ﷺ علي من أسلم من قومه ، وقد قال الرسول ﷺ في حق همدان (نعم الحي همدان ، ما أسرعها إلي النصر وأصبرها علي الجهد، وفيهم أبدال [3] وفيهم أوتاد) .

وفود تُجيب :-

منها وفد تجيب ، قبيلة من كندة ، وفد علي رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً منهم ، معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فسُر بهم ﷺ وأكرم مثواهم ، وقالوا يا رسول الله ، إنا سقنا إليك حق الله في أموالنا ، فقال ﷺ ردوها فاقسموها علي فقرائكم فقالوا يا رسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر : يا رسولٍ الله ما قدم علينا من وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال ﷺ إن الهدي بيد الله عز وجل ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان وجعلوا يسألونه عن القرآن ، فازداد ﷺ رغبة فيهم ، ثم أرادوا الرجوع إلي أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم ؟ قالوا نرجع إلي من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ ولقائنا إياه وما رد علينا ، ثم جاؤوا إلي رسول الله ﷺ فودعوه فأجازهم بأفضلٍ ما كان يجيز به الوفود ، ثم قال لهم (هل بقي منكم أحد ؟) قالوا غلام خلّفناه علي رجالنا وهو أحدثنا سناً قال (فأرسلوه إلينا) فأرسلوه فأقبل الغلام وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك ؟ قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي فقال ﷺ (اللهم اغفر له ، وارحمه ، واجعل غناه في قلبه) ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.

١- ثياب مخيطة برود يمنية .

٢- الراقصات : الإبل ، وصوادر : رواجع ، والقردد : ما ارتفع من الأرض.

٣- الأولياء والعباد .

وفود ثعلبة :-

منها وفود ثعلبة ، وفد علي رسول الله ﷺ أربعة منهم مقرين بالإسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله ، إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام وقد قيل لنا إنك تقول (لا إسلام لمن لا هجرة له) فقال ﷺ حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياماً ، وحين إرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من الفضة.

وفود بني سعد بن هُذيم :-

منها وفد بني سعد بن هَذيم من قُضاعة، قال النعمان منهم : قدمت علي رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي ، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد ، وأزاح العرب ، والناس صنفان إما داخل في الإسلام راغب فيه ، وإما خائف السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلي بابه ، فوجدنا رسول الله ﷺ يصلي علي جنازة في المسجد ، فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم ، وقلنا حتى يصلي رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر إلينا فدعا بنا فقال (ممن أنتم ؟) فقلنا من بني سعد بن هذيم، فقال أمسلمون أنتم؟ قلنا نعم ، فقال (هلا صليتم علي أخيكم) قلنا يا رسول الله ، ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك، فقال ﷺ أينما أسلمتم فأنتم مسلمون ، قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا ، ثم انصرفنا إلي رحالنا ، وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث ﷺ في طلبنا ، فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه ﷺ علي الإسلام ، فقلنا يا رسول الله ، إنه أصغرنا وإنه خادمنا ، فقال (سيد القوم خادمهم ، بارك الله عليه) قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي ﷺ له ثم أجازهم وانصرفوا.

وفود بني فزارة :-

منها وفد بني فزارة، وفد علي رسول الله ﷺ جماعة منهم مقرين بالإسلام وهم مسنتون[1] فسألهم ﷺ عن بلادهم ، فقال رجل منهم : يا رسول الله ، أسنتت بلادنا ، وهلكت مواشينا ، وأجدب جنابنا ، وجاعت عيالنا فأدع لنا ربك يغثنا واشفع لنا إلي ربك وليشفع لنا ربك إليك فقال ﷺ (سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع إلي ربي ، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلي العظيم ، وسع كرسيه السماوات والأرض ، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل) الحديث أي من ثقل الحمل ثم صعد ﷺ المنبر، ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير ، والرحمة التامة.

١- أي أصابهم الجدب .

وفود بني أسد :-

منها وفد بني أسد ، وفيهم : ضرار بن الأزور وطُليحة بن خويلد الذي ادعي النبوة بعد ذلك ، فأسلموا وقالوا يا رسولِ اللهِ ، أتيناكِ نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث إلينا بعثاً ، فأنزلِ اللهِ في ذلك (يمنُّون عليك أن أسلموا قُل لا تمنُّوا عليَّ إسلامكم بل اللَّه يمنُّ عليكم أن هداكم للْإيمان إن كنتم صادقين) [الحجرات ١٧] وسألوا رسول الله ﷺ عما كانوا يفعلون فى الجاهلية من العيافة [١] والكهانة وضرب الحصباء ، فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل ، فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك وإلا فلا ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن اجيزوا.

وفود بني عُذرة :-

منها وفد بني عذرة ، ووفد بني بلي ، ووفد بني مرة ، ووفد خولان وهي قبائل من اليمنِ وقد أمرهم ﷺ بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، وحسن الجوار لمن جاوروا ، وألا يظلموا أحداً فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

وفود بني مُحارب :-

منها وفد بني محارب ، وكانوا من اللذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله ﷺ بعكاظ يدعوا القبائل إلي الله ، فما أعظم منة الله الذي أتي بهؤلاء وكانوا ألد الأعداء مسلمين منقادين .

وفود غسّان :-

منها وفد غسان، ووفد بني عبس ، ووفد النخع وكان ﷺ يقابل هذه الوفود بما جلبه الله عليه من البشاشة وكرم الأخلاق ويجيزهم بما يرضيهم ، ويعلمهم الإيمان والشرائع ، ليعلموا من وراءهم، وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لإظهار الدين بين الأعراب في البوادي.

وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ :-

في هذه السنة توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ .

السنة الحادية عشرة : سرية أسامة بن زيد إلي أُبني :-

لأربع بقين من صفر ، جهز ﷺ جيشا برئاسة أسامة بن زيد إلي أبني حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر إلي موقع قتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فأغر صباحاً علي أهلِ أُبني وحرق عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فإن أظفرك الله فأقل اللبث فيهم ، وخذ الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار

١- هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها والتخرص علي الغيب .

المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد ﷺ لأسامة اللواء ، وقال له (اغز باسم الله ، في سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله) وقد انتقد جماعة علي تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، علي جيش فيه كبار المهاجرين ، فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال (أما بعد ، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله إنه كان لخليقا بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها ، وإن كان لمن أحب الناس إلي ، وإنهما لمظنّة لكل خير ، فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفي ﷺ لأن المرض بدأه فاختاره الله للرفيق الأعلى .

مرض الرسول ﷺ :-

لما تمم ﷺ ما كُلف به ، وأدي ما أؤتمن عليه ، وهدي الله به أمته ، اختاره الله للرفيق الأعلى فجلس علي المنبر مرة ، وكان فيما قال ﷺ (إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده) فبكي أبو بكر ﷺ وقال يا رسول الله ، فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فقال ﷺ (إنِ أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، فلو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ، لا يبقي في المسجد خوخة [1] إلا سدت إلا خوخة أبي بكر [2])

وقد بدأه ﷺ مرضه في أواخرٍ صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر مريضا ثلاثة عشر يوما ، وكان في خلالها ينتقل إلي بيوت أزواجه ، ولما اشتد عليه المرض ﷺ استأذن منهن أن يمرض ﷺ في بيت عائشة الصديقة فأذنَّ له ، ولما دخل بيتها ﷺ واشتد عليه وجعه (فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله) قال (هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن لعلي أعهد إلي الناس) فأُجلس في مِخضب ، وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن ، وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمي التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثيابه الشريف.

صلاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس :-

لما تعذّر عليه الخروج إلي الصلاة ﷺ قال (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فرضيه ﷺ خليفة له في حياته ﷺ [3] ولما رأت الأنصار اشتداد وجعِ الرسول ﷺ أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس وأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، فخرج ﷺ متوكئا علي علي والفضل ، وتقدم العباس

١- الفتح في الجدار يدخل منها الوضوء والمراد بها هنا الباب .

٢- رواه البخاري (٤٦٦ ، ٣٦٥٤) .

٣- رواه مسلم (٢٠٧) .

أمامهم والنبي ﷺ معصوب الرأس يخُطَ برجليه ﷺ حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر ، وثار الناس إليه فحمد الله ، وأثني عليه ثم قال ﷺ (يا أيها الناس ، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلّد فيكم ؟ ألا إني لاحق بربي ، وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله تعالي يقول (والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصَّبر) [العصر ١ :٣] وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم إستبطاء أمر علي استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم) [محمد ٢٢] وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم علي أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحلم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا فإن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي) [١]

وبينما المسلمون في صلاة الفجر ، من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول ، وأبو بكر يصلي بهم ، إذا برسول الله ﷺ قد كشف سجف حجرة عائشة ، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ﷺ ، فنكص أبو بكر ﷺ علي عقبه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلي الصلاة ، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم ﷺ بيده الشريفة أن اتموا صلاتكم (فدالك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله) ثم دخل ﷺ الحجرة وأرخي الستر [٢]

وفاة أشرف خلق الله علي الإطلاق محمد رسول الله ﷺ :-

لم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله ﷺ دنياه ، ولحق بمولاه ، وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونيو سنة ٦٣٣ ميلادية) فيكون عمره ﷺ ٦٣ سنة قمرية كاملة ، وثلاثة أيام ، وإحدى وستين شمسية ، وأربعة وثمانين يوما ، وكان أبو بكر ﷺ غائباً بالسنح وهي منازل بن الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد ، فسل عمر سيفه ، وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ وقال إنما أرسل إليه كما أرسل إلي موسي ، فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إني لأرجو أن يقطّع أيدى رجال وأرجلهم .

١- رواه البخاري (٣٧٩٩ ، ٣٨٠١) .

٢- رواه البخاري (٤٤٤٨) .

فلما أقبل أبو بكر وأُخبر الخبر دخل بيت عائشة ، وكشف عن وجه رسول الله ﷺ ، فجثا يقبله ويبكي ويقول توفى والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حياً وميتاً ، بأبي أنت وأمي لا يجمعِ الله عليك موتتين ثم خرج فحمد الله وأثني عليه ثم قال ألا من كان يعبدِ محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبدِ اللهِ فإن اللهِ حيٌ لا يموت وتلا قوله تعالي (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) [الزمر ٣٠] وقولهِ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران : ١٤٤]
قال عمر : والله لكأني لم أتل هذه الآية قط[١].

ثم مكث ﷺ في بيته بقية يوم الاثنين ، وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء حتى انتهي المسلمون من إقامة خليفة عليهم ، فغُسل ﷺ ودفن ، وكان الذي يغسله علي بن أبي طالب ويساعده العباس ، وابناه الفضل وقثم ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولي رسول الله ﷺ ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة [٢]

ولما فرغوا من تجهيزه وضع علي سريرهِ ﷺ في بيته ودخل الناس عليه أرسالاً متتابعين يصلون عليه ﷺ ، ولم يؤمهم أحد [٣] ثم حفر له ﷺ لحد في حجرة عائشة حيث توفي ، وأنزله القبر ﷺ علي والعباس وولداه الفضل وقثم ، ورش قبره بلال بالماء ، ورفع قبره ﷺ عن الأرض قدر شبر[٤] .

توفي خير خلق الله علي الإطلاق ، توفي رسول الله ﷺ وترك المسلمين ما إن اتبعوه لم يضرهم شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وترك أصحابه البررة الكرام ، يوضحون الدين ويتممون فتح البلاد ، ويظهرون في الدنيا شمس الدين الإسلامي القويم ، حتى يتمم الله كلمته ، ويحق وعده ، وقد فعل ﷺ ، فنسأل اللهِ العظيم رب العرش الكريم أن يقدرنا علي أداء شكره علي هذه المنة العظمي والنعمة الكبرى الذي أرسله الله للكون رحمة للعالمين.

١- صحيح البخاري (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٤) .
٢- رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٩ ، ٦٠) .
٣- رواه مسلم (٢ / ٦٥٠) ، كتاب الجنائز .
٤- صحيح السيرة النبوية ص ٧٢٧ .

الفصل الثالث

شمائل الرسول ﷺ ومعجزاته

شمائله [1] ﷺ :-

منح الله سبحانه نبينا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله من الأنبياءِ والرسل ، ونشير في هذا الباب بنبذة مختصرة من أفضل صفاته وآدابه ﷺ ، لتكون لنا ولكم نموذجاً نسير به ، حتى نكون علي نهج نبينا ﷺ ، فنستحق الحمد في الدنيا والذخر في الآخرة.

فاعلم أيها القارئ الفاضل – أرشدنا الله وإياك وهدانا للصراط السوى المستقيم أن خصال وسمات الجلال والكمال في البشر نوعان : ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلي الله زلفي وحسن مآب ، فأما الضروري : فما ليس للمرء فيه من اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلّته ﷺ من كمال الخلقة ، وجمال الصورة ، وقوة العقل ، وصحة الفهم ، وفصاحة اللسان ، وقوة الحواس والأعضاء ، واعتدال الحركات ، وشرف النسب وعزة القوم وسادتهم ، وكرم الأرض ، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة إليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه.

أما المكتسبة الأخروية :-

فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفّة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها والتي يجمعها حسن الخلق

فإذا نظرنا إلي خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلّة الخلقة ، وجدته ﷺ حائزاً لجميعها ، محيطا بشتات محاسنها فأما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها ، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه ﷺ كان أزهر اللون [2] ، أدعج [3] ،

١- (الشفاء) للقاضي عياض .

٢- نير اللون أو حسنة .

٣- شديد سواد الحدقة مع سعة فيها .

أنجل [١] ، أشكل [٢] ، أهدب الأشفار [٣] ، أبلج [٤] ، أزّج [٥] ، أقني [٦] ، أفلج [٧] ، مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية ﷺ تملأ صدره سواء البطن والصدر ، عظيم المنكبين [٨] ، ضخم العظام ، عبل [٩] ، العضدين والذراعين والأسافل ، رحب الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، أنور المتجرد ، دقيق المسربة [١٠] ، ربعة القد ، ليس بالطويل البائن [١١] ولا القصير المتردد [١٢] ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلي الطول إلا طاله ﷺ ، رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام ، وإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه ﷺ ، أحسن الناس عنقا ، ليس بمطهم [١٣] ولا مكلثم ، متماسك البدن ، ضرب اللحم [١٤] .

قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة سوداء ، في حلة حمراء ، أحسن من رسول الله ﷺ [١٥] ، وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك تلألأ في الجدر ﷺ وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في أخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ [١٦] .

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ﷺ ونزاهته عن الأقذار والأدناس وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالي في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم أتمها بنظافة الشرع الحكيم

١- واسع العين مع حسن .
٢- في بياض عينيه حمرة .
٣- كثير شعر حروف الأجفان .
٤- مضيء الوجه مشرقة .
٥- دقيق الحاجبين في طول .
٦- مرتفع قصبة الأنف مع أحديداب يسير فيه .
٧- مفرج بين الثنايا والرباعيات .
٨- مجمع رأس العضد والكتف.
٩- ضخم .
١٠- شعر دقيق من الصدر إلي البطن .
١١- مفرط الطول .
١٢- المتناهي في القصر .
١٣- الفاحش السمن .
١٤- رواه البخاري (٣٥٤٨ ، ٥٩٠٠) .
١٥- رواه مسلم (٢٢٣٧) .
١٦- رواه الترمذي (٣٦٣٨) .

قال ﷺ (بني الدين علي النظافة) [1] وقال أنس ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ [2] وعن جابر بن سمرة أنه ﷺ مسح خده ، قال فوجدت ليده ﷺ برداً وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده علي رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ، وروي البخاري في تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبة [3] ، وأما وفور عقله ﷺ وذكاء لبه ، وقوة حواسه وفصاحة لسانه الشريف ﷺ واعتدال حركاته ، وحسن شمائله ، فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بِواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاده من العلم ، وقدره من الشرع ، دون تعلّم سابق ، ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله ، وثقوب فهمه لأول بديهة ، وكان ﷺ إذا قام في الصلاة يري من خلفه كما يري من أمامه وبذلك فسر قوله تعالي (وتقلُّبك في السَّاجدين) [الشعراء ٢١٩]

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ يري في الظلمة كما يري في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجماً [4] وجاءت الأخبار أنه ﷺ صرع (ركانة) أشد أهل وقته وكان دعاه إلي الإسلام

وقال أبو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه كأنما الأرض تطوي له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث [5] .

وفي صفته ﷺ أن ضحكه كان تبسماً إذا التفت التفت معاً ، وإذا مشي مشي تقلعاً كأنما ينحط من صبب [6] وأما فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ويباريها في من منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه ﷺ يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيرة علم ذلك وتحققّه وليس كلامه مع قريش ككلامه مع قبائل حضرموت ، وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنه من

١- رواه بن عساكر (١ / ١٢٤) .

٢- رواه البخاري (٣٥٦١) .

٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفي ﷺ (١ / ٦٢) .

٤- البيهقي في الدلائل (٦ / ٧٤) .

٥- رواه أحمد (٢ / ٣٥٠) والترمذي في الشمائل ١١٨ .

٦- رواه الترمذي (٣٦٣٨) .

الألفاظ ، وما انتهجه من طرق البلاغة ليبيّن للناس ، ما نُزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة ﷺ وجوامع كلمه ، وحكمه المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة ، ولا يباري بلاغة ، كقوله ﷺ (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم أدناهم ، وهم يد علي من سواهم) وقوله ﷺ (الناس كأسنان المشط) والمرء مع من أحب[١] ولا خير في صحبة من لا يري لكٍ ما تري له ، والناس معادن[٢] وما هلك امرؤ عرف قدره[٣] والمستشار مؤتمن[٤] ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم [٥]

وقوله ﷺ (اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين) [٦] ، وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون [٧]

وقوله ﷺ لعله كانٍ يتكلم بما لايعنيه أو يبخل بما لا يغنيه [٨] ، وقوله ﷺ ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها [٩] ونهيه ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ، ووأد البنات [١٠] وقوله ﷺ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن [١١] وخير الأمور أوسطها [١٢] وقوله ﷺ أحبب حبيبك هوناً ما ، عسي أن يكون بغيضك يوماً ما [١٣] وقوله ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة [١٤] وقوله ﷺ في بعض دعائه (اللهم إني اسألك رحمة تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمِري ، وتلم بها شملى وتصلح بها غائبي ، وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي ، وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم إني اسألك الفوز في القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء

١- رواه الترمذي (٢٣٨٦) .
٢- رواه البخاري (٣٥٨٨) .
٣- الشفا (١ / ٧٢) .
٤- رواه الترمذي (٢٨٢٢) .
٥- رواه بن حبان (١٢٨) .
٦- رواه مسلم (١٧٧٣) .
٧- رواه الترمذي (٢٠١٨) .
٨- الترغيب (٣ / ٥٤١) .
٩- الشفا (١ / ٧٣) .
١٠- رواه مسلم (٥٩٣) .
١١- رواه الترمذي (١٩٨٧) .
١٢- رواه البيهقي (٣ / ٢٧٣) .
١٣- رواه الترمذي (١٩٩٧) .
١٤- رواه البخاري (٢٤٤٧) .

والنصر علي الأعداء) [1] ، وقد قال أصحابه ﷺ ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال ﷺ وما يمنعني ؟ وإنما أُنزل القرآن بلساني ، لسان عربي مبين [2] ، وقال ﷺ مرة أخري (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد) فجمع له بذلك قوة عارضة [3] البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، إلي التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر.

أما ما تدعو إليه ضرورة الحياة ، فمنه ما الفضل في قلته ، ومنه ما الفضل فِي كثرته ومنه ما تختلف الأحوال فيه ، فالأول كالغذاء والنوم ، ولم تزل العرب والحكماء قديما تتمادح بقلتهما ، وتذم بكثرتهما ، لأن كثرة الأكل والشرب دليل علي النهم والحرص ، والشرهة وغلبة الشهوة ، وسبب لمضار الدنيا والآخرة ، جالب لأدواء الجسد ، وخثارة النفس ، وامتلاء الدماغ وقلة الأكل ِوالشرب دليل علي القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن ، كما أن النوم دليل علي الضعف وعدم الفطنة ، مسبب الكسل وتضييع العمر في غير نفع ، وقساوة القلب وغفلته ، وكان ﷺ قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل ، وحض عليه قال ﷺ (ما ملأ بن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه) [4] ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب .

وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط ، وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ، إن أطعموه أكل ، وما أطعموه قبل وما سقوه شرب [5] وفي صحيح الحديث (أما أنا فلا آكل متكئاً) [6] والاتكاء هو التمكن للأكل ، والتقعد في الجلوس له ، كالمتربع وشبهه ، من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس علي ما تحته ، والجالس علي هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه، والنبي ﷺ إنما كان جلوسه للأكل جلوس

١- رواه الترمذي (٣٤١٩) .

٢- الشفا (١ / ٧٥) .

٣- بيان ولسن .

٤- رواه الترمذي (٢٣٨٠) .

٥- رواه الترمذي (٢٣٥٧) .

٦- رواه البخاري (٥٣٩٨ ، ٥٣٩٩) .

المستوفز مقيعاً ويقولِ (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد) [١] وكذلك نومه كان قليلا ومع ذلك فقد قال (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) [٢] .

وأما ما الفضل في كثرته ، فكالجاه ، وهو محمود عند العقلاء عادة ، وبقدر جاهه عظمة في القلوب ، وقد قال تعالي في صفة سيدنا عيسي عليه السلام (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [آل عمران ٤٥] وكان النبي ﷺ قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب ، والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية ، حتى إذا واجههم ﷺ أعظموا أمره وقضوا حاجته ، وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره ، كما روى عن قيلة أنها لما رأته أُرعدت من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينة)[٣] وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأُرعد فقال له ﷺ (هون عليك فإني لست بملك)[٤].

وأما عظيم قدره ﷺ بالنبوة ، وشريف منزلته بالرسالة ، وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا ، فأمر هو مبلغ النهاية ، ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم .

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به ، والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال ، فصاحبه علي الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلي حاجته ، وتمكنه في أغراضه ، وإلا فليس فضيلة في نفسه ، فمتي كان بهزه لصورة ، وصاحبه منفقا له في مهماته ، ومهمات من قصده وأمله ، يصرفه في مواضعه ، مشتريا به المعالي والثناء الحسن ، والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالي والدار الأخرة .

كان فضيلة عند الكل بكل حال ، ومتي كان صاحبه ممسكا له ، غير موجهه وجوهه حريصا علي جمعه ، عادت كثرته كالعدم ، وكان منقصه في صاحبه ، ولم يقف به علي جدد السلامة ، بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ، ومذمة النذالة فالتمدح بالمال ليس لذاته بل للتوصل به إلي غيره ، وتصريفه في متصرفاته ونبينا ﷺ أُوتي خزائن الأرض ، ومفاتيح البلاد ، وأُحلّت له الغنائم ، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، وما داني ذلك من الشام والعراق ، وجلب إليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ، وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم ، فما استأثر بشيء منه ، ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه

١- رواه بن عدى (٥ / ٣٣٤) .

٢- رواه البخاري (١١٤٧) .

٣- رواه الطبراني في الكبير .

٤- رواه بن ماجه (٣٣١٢) .

وأغني به خيرهِ ، وقويَ به المسلمين وقال (ما يسرني أن لي أحداً ذهباً يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لديني) [1]

وأتته ﷺ دنانير مرة فقسمها ، وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها ، وقال (الآن استرحت) ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله ، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه علي ما تدعوه ضرورته إليه ، وزهد فيما سواه ، فكان يلبس ما وجده ، فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ، ويقسم علي من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ، ويرفع لمن لم يحضر ، فأنت تري رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه ، وإنفاقه علي مستحقيه .

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ علي الانتهاء في كمالها والاعتدال إلي غايتها حتى أثني الله تعالي عليه بذلك فقال (وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظِيمٍ) [القلم ٤] قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضي برضاه ويسخط بسخطه [2] وقال ﷺ (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [3]

وقال أنس : كان عليه السلام أحسن الناس خلقا [4] وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لإخوانه من الأنبياء جبلّة خلقوا عليها ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله تعالي عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ودون ممارسة .

وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة الكثيرة ، ولكن نذكر أصولها ونشير إلي جميعها ونحقق وصفه ﷺ بها إن شاء الله .

فأصل فروعها ، وعنصر ينابيعها ، ونقطة دائرتها : العقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي ، وجودة الفطنة ، والإصابة ، وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة ، وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل ، وتجنب الرذائل ، وقد بلغ ﷺ منه ومن العلم الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ، يعلم ذلك من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره ، وطالع جوامع كلمة وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه ، وعلمه ﷺ بما في التوراة والإنجيل والكتب السماوية المنزلة وحكم الحكماء ، وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب

١- رواه البخاري (٦٤٤٥) .

٢- رواه مسلم (٧٤٦) .

٣- رواه مالك في الموطأ (٨٠) .

٤- رواه البخاري (٦٢٠٣) .

الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلي فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة وإشاراته حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دونٍ تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلي علمائهم ، بل نبي أمي لا يعرف شيئا في ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلّمه وبحسب عقله كانت معارفه ﷺ إلي سائر ما علّمه الله ، وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالي (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفةٌ منهم أن يضلّوك وما يضلّون إلاّ أنفسهم وما يضرّونك من شيءٍ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [النساء ١١٣]

وأما الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة ، والصبر علي ما يكرهه فمما أدّب الله تعالي به نبيه ﷺ فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [الأعراف ١٩٩] وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك [١] وقال له (يا بنيّ أقم الصّلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور) [لقمان ١٧] وقال (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رّحيم) [النور ٢٢] وقال (ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور) [الشورى ٤٣] .

وقد تضافرت الأخبار علي اتصافه عليه ﷺ بنهاية هذه الأوصاف ، فما من حليم إلا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ، ونبينا ﷺ لا يزيد مع كثرة الإيذاء إلا صبراً وعلي إسراف الجاهل إلا حلماً قالت عائشة رضي الله عنها (ما خير ﷺ في أمرين قطّ إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان ﷺ أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله بها) [٢] .

ولما فعل به المشركون ما فعلوا في أحد ، وطُلب منه ﷺ ان يدعو عليهم قال (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) [٣] فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله يا خير خلق الله علي الإطلاق .

وحسبنا ما فعله ﷺ مع مشركي قريش الذين آذوه ، واستهزئوا به ، وأخرجوه ﷺ من ديارهو وأصحابه الكرام ،ثم قاتلوه ، وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب ، حتى تمالأ عليه جمعهم ، ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد علي أن عفا وصفح وقال (ما تقولون أني فاعل بكم ؟) قالوا

١- رواه بن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٨٢) .

٢- رواه البخاري (٣٥٦٠) .

٣- رواه مسلم (٢٥٩٩) .

خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس : كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ﷺ ، ثم قال يا محمد احمل لي علي بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت النبي ﷺ ثم قال (المال مال الله وأنا عبده) ثم قال (ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي) قال لا ، قال (لم) ؟ قال لأنك لم تكافئ بالسيئة السيئة فضحك ﷺ ثم أمر أن يحمل له علي بعير شعير، وعلي الأخر تمر[١]

قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمه ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالي ، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة [٢] ، فصلي الله تعالي عليه ، وأقر عينه باتباع المسلمين سنته.

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان ﷺ لا يوازي في هذه الأخلاق الكريمة ولا يباري وصفه بهذا كل من عرفه، قال جابر ﷺ ما سئل ﷺ شيئا فقال لا [٣] وقال بن عباس كان ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان الكريم ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة [٤] وقالت خديجة رضي الله عنها في صفته ﷺ مخاطبة له إنك تحمل الكل ، وتكسب المعدوم [٥] .

وحسبنا شاهداً ما فعله ﷺ مع هوازن من ردُّ السبي إليها ، وما فعله ﷺ يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلّفة قلوبهم عظيم الأعطية وحمل إليه ﷺ تسعون ألفاً فوضعها علي حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال (ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءني شيء قضيناه) فقال له عمر ما كلّفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره ذلك ﷺ ، فقال له رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه الشريف وقال (بهذا أمرت)[٦].

والإخبار بجوده وكرمه ﷺ كثيرة يكفي منها ما ذكرناه موجزاً ومنها الشجاعة والنجدة فكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يجهل ، قد حضر المواقف الصعبة ، وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح ، وما من شجاع إلا أُحصيت له فرد وحفظت عنه جولة سواه وحسبنا ما فعله ﷺ في حنين وأحد وقال بن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضي من رسول الله ﷺ وقال علي إنا

١- رواه البخاري (٣١٤٩) .

٢- رواه مسلم (٢٣٢١) .

٣- رواه البخاري (٦٠٣٤) .

٤- رواه البخاري (١١٠٢) .

٥- رواه البخاري (٤٩٥٦) .

٦- رواه الترمذي في الشمائل (٣٤٠) .

كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلي العدوِ منه ، ولقد رأيتُني يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلي العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال أنس كان ﷺ أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فزع أهل المدينة ليلةِ فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم ﷺ راجعا قد سبقهم إلي الصوت ، واستبرأ الخبر علي فرس لأبي طلحة عري ، والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا [١]

وأما الحياء والإغضاء فكان ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال أبو سعيد الخدري كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكانِ إذا كرِه شيئاً عرفناه في وجهه [٢]

وكان ﷺ لطيف البشرة ، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكرهه ، حياء وكرم نفس قالت عائشة كان ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا؟ بل يقول (ما بال أقوامٍ يصنعون أوٍ يقولون كذا؟)[٣] ينهي عنه ولا يسمي فاعله وقالت رضي الله عنها لم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[٤].

وأما حسن عشرته وأدبه ﷺ وبسط خلقه مع أصنافِ الخلق فمما انتشرت به الأخبار الصحيحة ، قال علي رضي الله عنه كان ﷺ أوسع الناس صدراً ، وأصدقِ الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان ﷺ يؤلّفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن ينطوي علي أحدٍ منهم بشره ، ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سألهِ حاجة لم يردّه إلا بها ، أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه بنِ أبي هالة وكان دائم البِشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّابٍ ، ولا فحاشٍ ولا عياب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال تعالي (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران ١٥٩] وقال تعالي (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت ٣٤]

١- رواه البخاري (٦٠٦٣) .

٢- رواه البخاري (٦١٠٢) .

٣- رواه أبو داود (٤٧٨٨) .

٤- رواه البخاري (٦٠٣٥) .

وكان ﷺ يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كراعاً [1] ويكافئ عليها وكان يمازح ﷺ أصحابه ويخالطهم ، ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحُّر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضِي في أقصي المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما التقم أحد أُذن النبي يحادثه فنحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينّحي رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر[2].

وكانِ يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط مادّا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما علي أحد ، يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبي ويكنّي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمةً لهم ، ولا يقطِع علي أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب[3] .

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله تعالي (لَقَدْ جاءكُمْ رسُولٌ منْ أَنْفُسِكُمْ عزِيزٌ عَلَيْه ما عنتُّم حرِيص علَيكُم بالْمُؤْمنين رءوف رَّحيم) [التوبة ١٢٨] وقال (وَما أَرسَلْناك إِلاَّ رحمةً لّلْعالَميَن) [الأنبياء ١٠٧]

روى أن أعرابياً جاءه ﷺ يطلَب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أأحسنت إليك ؟ قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضِب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفُّوا ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إليه ، وزاده شيئاً ثم قال (أأحسنت إليك؟) قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ﷺ (إنك قلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب ما في صدورهم عليك) قال نعم فلما كان الغد أو العشى ، جاء فقال ﷺ (إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟) قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقالﷺ (مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلِم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذلها من قمام الأرض فردها ، حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) [4] .

١- الكراع : من البقر والغنم وهو مستدق الساق .

٢- رواه أبو داود (٤٧٩٤) .

٣- رواه البخاري (٦٠٨٩) .

٤- الهيثمي (مجمع الزوائد) (٩ / ١٥) .

وقال ﷺ (لا يبلّغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فإني أحب أن اخرج إليكم وأنا سليم الصدر) [١] وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز [٢] في صلاته وعن بن مسعود كان ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا[٣].

وأما خلقه ﷺ في الوفاء ، وحسن العهد ، وصلة الرحم ، فروى عن عبد اللهِ بن أبي الحمساء قالِ بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال (يا فتي ، لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك) [٤] وكانِ إذا أُتي بهدية قال (اذهبوا بها إلي بيت فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة)[٥] .

وكان ﷺ يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم علي من هو أفضل منهم ، ووفد عليه وفد ، فقام ﷺ يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه الكرام نكفيك فقال ﷺ (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإني أحب أن أكافئهم) وفي حديث خديجة أبشر فو الله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين علي نوائب الحق.

وأما تواضعه ﷺ يدل علي سمو وعلو منصبه ورفعة مكانته ، فكان ﷺ أشد الناس تواضعا وأقلّهم كبراً ، وحسبنا أنه ﷺ خير بين أن يكونِ نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فأختار أن يكون نبيا عبدا ، وخرج ﷺ مرة علي أصحابه متوكئا علي عصا ، فقاموا ، فقال ﷺ (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظّم بعضهم بعضا) [٦] .

وقال ﷺ (إنما أنا عبد ، أكل كما يأكل العبد ، واجلس كما يجلس العبد) وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيثما انتهي به المجلس جلس وقال ﷺ (لا تطّروني كما أطّرت النصارى بن مريم إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) ، وحج ﷺ علي رحل رثّ ، وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال (اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة) ، وقد فُتحت

١- رواه الترمذي (٣٨٩٦) .

٢- رواه البخاري (٢٣٨) .

٣- رواه البخاري (٦٠٣٠) .

٤- رواه أبو داود (٤٩٩٦) .

٥- رواه البخاري (٢٤٣٥) .

٦- رواه أبو داود (٥٢٣٠) .

عليه الأرض ، وأهدي في حجة ذلك مائة بدنة ولما فُتحت عليهِ مكة ، ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ علي رحله رأسهِ حتى كاد يمسُّ قادمته [1] تواضعاً لله تعالي.

وعن أبي هريرة ﷺ: دخلت السوق مع النبي ﷺ ، فأشتري سراويل وقال للوازن (زن وأرجح) [2] ، ثم قال : فوثب إلي يد رسول الله ﷺ يقبلّها ، فجذب يده ، وقال ﷺ (هذا ما تفعله الأعاجم بمولكها ولست بملكٍ إنما أنا رجل منكم) [3] ، ثم أخذ ﷺ السراويل فذهبت لأحمله قال ﷺ (صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله) .

وأما عدله ﷺ ، وأمانته ، وعفته ، وصدق لهجته ، فكان آمن الناس وأعدل الناس ، وأعف الناس ، وأصدقهم لهجة منذ كان ، اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه ، وكان يسمي قبل نبوته الصادق الأمين ، وفي الحديث عنه ﷺ ما لمست يده ﷺ يد امرأةٍ قط لا يملك رقّها ، قال أبو العباس : قسم كسري أيامه ، فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للهو والشرب ، ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا ﷺ جزأ نهاره ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة علي العامة، ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر) وكان ﷺ لا يأخذ أحدا بذنب أحد ، ولا يصدق أحداً علي أحد.

وأما وقاره ﷺ وصمته ، ومروءته ، وحسن هديه ، فكان ﷺ أوقر الناس في مجلسه ، لا يكادٍ يخرج شيئا من أطرافه ، وكان إذا جلس احتبي بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً[4] وكان كثيرٍ الصمت والتدبرٍ لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسما ، وكلامه فصلا ، لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له ، واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنماعلي رؤوسهم الطير، وقال بن أبي هالة : كان صمته ﷺ علي أربع علي الحلم والحذر والتقدير ، والتفكر وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ، ويستعملها كثيراً ، ويحضُّ عليهما .

١- قادمة الرجل : هي الخشبة التي في مقدمة البعير ، بمنزلة السرج .

٢- رواه أبو داود (٣٣٣٦) ، والترمذي (١٣٠٥) .

٣- رواه الطبراني في الأوسط (٦٥٩٤) .

٤- رواه ابو داوود (٤٨٤٦) .

ومن مروءته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشراب [1] والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب (مفاصل الأصابع من ظاهر الكف وباطنها) .

وأما زهده ﷺ في الدنيا وحسبنا شاهداً علي تقلّله من الدنيا وإعراضه ﷺ عن زهرتها ، وقد سقيت إليه بحذافيرها ، وترادفت عليه فتوحها ، أنه توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) [2] وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله [3] وقالت ما ترك ﷺ ديناراً ، ولا درهماً ولا شاه ولا بعير [4] ولقد مات وما في بيته شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال ﷺ (إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوما ، وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك , وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) [5] . وقالت عائشة إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ,إن هو إلا التمر والماء , وعن أنس ما أكل ﷺ على خوان ولا في سكرجة ، ولا خبز له مرتق ، ولا أري شاة سميطاً قط [6] .

وفي حديث حفصة : كان فراش رسول الله ﷺ في بيته مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فثنيناه ليلة بأربع، فلما أصبح ﷺ ، قال (ما فرشتم لي ؟) فذكرنا له ذلك فقال (ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي)[7].

وقالت عائشة : لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً ، ولم يبعث شكوى إلي أحد ، وكانت الفاقة أحب إليه من الغني والثراء وإن كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أري به وأمسح بيدي علي بطنه مما أري به من الجوع وأقول : نفسي لك الفداء ، لو تبلّغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول (يا عائشة ، مالي وللدنيا ، إخواني من أُولي العزم من الرسل صبروا علي ما هو أشد من هذا ، فمضوا علي حالهم فقدموا علي ربهم فأكرم مآبهم ، وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفّهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم ، وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي) قالت فما أقام بعد إلا أشهراً حتى توفي ﷺ .

١- رواه البخاري (٨٨٧) .

٢-رواه مسلم (٢٥٦) .

٣- رواه مسلم (١٠٥٥) , والترمذي (٢٣٦١) .

٤- رواه مسلم (٢٩٧٠) .

٥- رواه مسلم (١٦٣٥) .

٦- رواه الترمذي (٢٣٤٧) .

٧- رواه البخاري (٥٣٨٦) .

أما خوفه ربه ، وطاعته له ، وشدة عبادته ﷺ ، فعلي قدر علمه بربه ولذلك قال (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، أري ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت صوتت – السماء وحق لها أن تئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء علي الفُرش ، ولخرجتم إلي الصعدات تجأرون إلي الله تعالي لوددت أني شجرة تعضد) [١]

وكان ﷺ يصلي حتى تورمت قدماه ، فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال (أفلا أكون عبداً شكوراً) [٢] .

وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله ﷺ ديمة ، وأيكم يطيق ما كان يطيق ؟ [٣] وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم [٤] وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة ، فاستاك ثم توضأ ، ثم قام يصلي ، فقمت معه فاستفتح البقرة ، فلا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)[٥] ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ (آل عمران) ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل [٦] وفي وصف بن أبي هالة كان متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة.

وعن علي ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ عن سنّته فقال (المعرفة رأس مالي ، والعقل أصل ديني ، والحب أساسي ، والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسي ، والثقة كنزي ، والحزن رفيقي ، والعلم سلاحي ، والصبر ردائي ، والرضا غنيمتي ، والعجز فخري ، والزهد حرفتي ، واليقين قوتي ، والصدق شفيعي ، والطاعة حسبي والجهاد خلقي ، وقرة عيني في الصلاة ، وثمرة فؤادي في ذكره ، وغمي لأجل أمتي ، وشوقي إلي ربي). فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله.

فجزاه الله خير ما جزي نبي عن أمته ، ورحم الله عبداً تأمل في هذه الشمائل الكريمة والخصال الحميدة فتمسك بها ، واتبع رسول الله ﷺ ليحوز شفاعته يوم الفزع الأكبر ، ويرضي الله عنه ، فنسألك اللهم أن تتقبل منا هذا العمل خالصا لوجهم الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

١- رواه البخاري (٨ /١٣١) ، ومسلم (٢٣٥٩) والترمذي (٢٣١٢) .

٢- رواه البخاري (١١٣٠) .

٣- رواه البخاري (١٩٨٧) .

٤- رواه أبو داود (٢٤٣٠) .

٥- رواه أبو داود (٨٧٣) .

٦- رواه أبو داود (٩٠٤) .

معجزاته ﷺ:-

إذا تأمل المتأمل ما قدّمناه من جميل أثر هذا النبي الكريم ، وحميد سيره ، وبراعة علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله – لم يشك في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفي هذا غير واحد في إسلامه وإيمان به كعبد الله بن سلام فإنه قال لما قدم النبي ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه فلما استنبت وجهه الشريف عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب.

وروي مسلم أن ضماداً لما وفد عليه قال له ﷺ (أن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد : أعد علي كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أُبايعك.

ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله ﷺ يدعوه إلي الإسلام ، قال والله لقد دلّني علي هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهي عن شيء إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد ، وينجز الموعود ، وأشهد أنه نبي وقال بن رواحة :

لو لم تكن فيه آيات مبينّة لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله علي يده تصديقاً لدعوته من المعجزات ما لا يفي به العدُّ فهو أكثر الأنبياء آية ، وأظهرهم برهانا ، وسنسرد في هذه الوريقات من الآيات ما تقر به عينك ، ويزداد به يقينك ، مما رواه الجم الغفير من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً ، وأثبته المحدثون عن صحاحهم ونبدأ بها بأظهرها شأناً ، وأوضحها بياناً ، وأجلُّها كلاما ، وهو القرآن الكريم وإعجازه الذي لا ينتهي إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ونعلم جيدا أن كتاب الله العزيز منطوٍ علي وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

الوجه الأول من إعجاز القرآن الكريم: حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب ، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخُّص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يقّيد الألباب ، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة يأتون منه علي البديهة بالعجب ، ويدلون به إلي كل سبب ، فيخطبونَ بديها في المقامات ، وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويقدحون ويمدحون ، ويتوسلون ويتوصلون ،

ويرفعون ويضعون ، فيأتوا من ذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ، ويذهبون الإحن ، ويهيجون الدمن ، ويجرئون الجبان ، ويعيرون الناقص كاملا ، ويتركون النبيه خاملا ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجوهري ، والمنزع القوي ، ومنهم الحضري ، ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق ، الرقيق الحاشية وكلاهما له في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة ، والقدح الفالج ، والمهيع الناهج ، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها ، فقالوا في الخطير والمهيمن ، وتفننوا في الغث والسمين ، وتقاولوا في القل والكثر ، وتساجلوا في النظم والنثر ، فما راعهم إلا رسول كريم ، بكتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : ٤٢]

أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته علي كل معقول ، وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه وحوت كل البيان مجامعه وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق علي كثرة فوائد مختار لفظه وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالا ، وأشهر في الخطابة رجالا ، وأكثر في الشعر والسجع ارتجالا ، وأوسع في الغريب واللغة مقالا ، بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخا بها في كل حين ، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما علي رءوس الملأ أجمعين (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [يونس : ٣٨] وقوله سبحانه وتعالي (وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [البقرة ٢٣] ،(قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء ٨٨] ، (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [هود ١٣] .

فلم يزل يقرعهم أشدُّ التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفّه أحلامهم ويحطُّ أعلاهم، ويشتّت نظامهم ، ويذم آلهتهم وآباءهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب ، والاغترار بالافتراء وقولهم (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) [المدثر ٢٤] ، و(وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) [القمر ٢] و(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزوراً) [الفرقان ٤]

و (ومنهم مَّن يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنَّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقْراً وإن يروا كلَّ آيةٍ لاَّ يؤمنوا بها حتَّى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاَّ أساطير الأوَّلين) [الأنعام ٢٥] والمباهتة ، والرضا بالدنية كقولهم (وقالوا قلوبنا غلف بل لَّعنهم الله بكفرهم فقليلا مَّا يؤمنون) [البقرة ٨٨] وقولهم (وقالوا قلوبنا في أكنَّةٍ ممَّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقْر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنَّنا عاملون) [فصلت ٥] وقولهم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلَّكم تغلبون) [فصلت ٢٦]

والادعاء مع العجز كقولهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلاَّ أساطير الأوَّلين) [الأنفال ٣١] وقد قال لهم (فإن لَّم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النَّار الَّتي وقودها النَّاس والحجارة أُعدَّت للكافرين) [البقرة ٢٤] فما فعلوا ولا قدروا ، ومن تعاطي ذلك من سخفائهم كمسيلمة، كشفَ عوارَه لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا لم يخف علي أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا إليه مذعنين ، وأنت إذا تأملت قوله تعالي (ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب لعلَّكم تتَّقون) [البقرة ١٧٩] وقوله (ولا تستوي الحسنةُ ولا السَّيئةُ ادفع بالَّتي هي أحسن فإذا الَّذي بينك وبينه عداوة كأنَّه وليٌّ حميم) [فصلت ٣٤] وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظَّالمين) [هود ٤٤] وقوله (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم مَّن أرسلنا عليه حاصبا ومنهم مَّن أخذته الصَّيحة ومنهم مَّن خسفنا به الأرض ومنهم مَّن أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [العنكبوت ٤٠] .

ويوضح القرآن الكريم في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام علي طولها ، ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها علي كثرة ترددها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديها ولا معادة لمعادها.

الوجه الثاني من إعجاز القرآن الكريم :-

صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آية وانتهت فواصل كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدلّهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلي مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر.

والإعجاز بكل واحد من النوعين ، والإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منهما نوع إعجاز ، لم تقدر العرب علي الإتيان بواحد منهما ، إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها.

الوجه الثالث من الإعجاز :-

ما انطوي عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ، ولم يقع فوقع ، فوجد كما ورد وعلي الوجه الذي أخبر كقوله تعالي (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) [الفتح ٢٧] وقوله عن الروم (في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون) [الروم ٣ ، ٤] وقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [الصف٩] وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) [النور ٥٥] وقوله (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) [النصر ١ ، ٢]

فكان جميع هذا كما أخبر ﷺ فغلبت الروم فارس ودخلت في الدين أفواجاً واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصي بلاد الأندلس غربا إلي أقاصي الهند شرقا ، ومن بلاد الأناضول شمالا إلي أقاصي السودان جنوبا وقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر ٩] فكان كذلك إلي الآن ، والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [القمر ٤٥] فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) [التوبة ١٤] فكان كذلك مما اطلع عليه قارئ هذه السيرة العطرة ، وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ، ومقالهم وكذبهم في حلفهم كقوله (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) [المجادلة ٨]

وقوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص

مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [آل عمران ١٥٤] وقوله (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء ٤٦] إلي غير ذلك من الآيات البينات.

الوجه الرابع مَن الإعجاز :-

ما أنبا به من أخبار القرون السالفة ، والأمم السابقة ، والشرائع السالفة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذّ من أحبار أهل الكتب ، الذي قطع عمره في تعلُّم ذلك ، فيورده ﷺ علي وجهه ويأتي به علي نصه ، فيقرُّ العالم بذلك بصحته وصدقه ، وأن مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا أنه ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمدارسه ولا مجالسة ، لم يغب عنهم ، ولا جهل حالة أحد منهم ، وكثيرا ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا ، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا ، كقصص الأنبياء ، وبدء الخلق ، وما في الكتب السابقة مما صدقة فيه العلماء بها ، ولم يقدروا علي تكذيب ما ذُكر منها ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ، ولا أبدي صحيحا ولا سقيما من صحفه ، بعد أن قرعهم وبخهم بقوله (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران ٩٣] ومما يدلُّ علَيَ أنَ أهلَ الكتاب يعلمونِ صدقة ما تَحداهمَ فيه الله بقوله (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة ٩٤] ثم حسم عدم إجابتهم بقوله (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [البقرة ٩٥] فما سمع عن أحد منهم أنه تمني ذلك ولو بلسانه، مع أنهم كانوا أحرص الناس علىَ تكذيبه، ومثل ما فعله أهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا كما تم توضيحه من قبل في فصل وفودهم كما ذكرنا آنفا.

ومما يدل علي أن هذا القرآن ليس من كلام البشر : الروعة التي تلحق قلوب سامعيه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته ، لقوة حاله ، وإنافة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفورا ولهذا قالﷺ (إن القرآن صعب مستصعب علي من كرهه وهو الحكم) وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه إقبالا ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالي (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر ٢٣] وقال تعالي (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر ٢١] ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم : كونهَ آيةً باقية لا تعدم ما بقيتَ الدنيا ، مع تكفّل الله بحفظه ، فقال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر ٩] وقال (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت ٤٢] وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها والقرآن إلي وقتنا هذا حجة قاهرة ، ومعارضة ممتنعة ، والإعصار كلها طافحة بأهل البيان ، وحملة علم اللسان ، وأئمة البلاغة ، وفرسان الكلام ، وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير ، والمعادي للشرع عتيد ، فما منهم من أتي بشيء يؤثر في معارضته ، ولا ألّف كلمتين في مناقضته ، ولا قدر فيه علي مطعن صحيح ، ولا قدح المتكلّف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح ، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاءه في العجز بيديه ، والنكوص علي عقبيه.

ونختم بحديثٍ النبي ﷺ في القرآن الكريم ، حيث قال ﷺ (إن الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً ، وسنّة خالية ، ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلح ، ومن حكم به أُسقط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدي إلي صراط مستقيم ، ومن طلب الهدي من غيره أضلّه الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوجُّ فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب[١])

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثيره ببركته [٢] وقد روى هذا الجم الغفير من الصحابة ، منهم أنس وجابر وبن مسعود .

قال أنس : رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه ، فأُتي النبي ﷺ بوضوء ، فوضع في الإناء يده الشريفة ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم ، فقيل كم كنتم؟ قال زهاء ثلاثمائة.

وقال بن مسعود بينما نحن مع النبي ﷺ ، وليس معنا ماء ، فقال لنا ﷺ (اطلبوا من معه فضل ماء) فأُتي بماء ، فصبه في إناء ، ثم وضع كفّه الشريف فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ.

وقال جابر: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك ، فوضع يده ﷺ الشريفة في الرَّكوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة [٣] .

١- رواه الترمذي (٢٩٠٦) .

٢- رواه البخاري (٣٥٧٢) ، ومسلم (٢٢٧٩) .

٣- رواه البخاري (٣٥٧٦) ، ومسلم (٢٢٧٩) .

ومما يشبه تفجير الماء ببركته وانبعاثِه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك ، وأنهم وردوا العين وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشّراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فيه شيء، ثم غسل ﷺ فيه وجهه ويديه وأعاده فيهاَ فجرت بماء كثير ، فاستقي الناس[١] وروي عن البراء وسلمة بن الأكوع تكثير عين الحديبية بدعوته ﷺ وروي أبو قتادة أن الناس شكوا إلي رسول الله ﷺ العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه (ما بين الكشح إلي الإبط) ثم التقم فمها ، فالله أعلم ، أنفث فيها أم لا ، فشربِ الناس حتى رووا وملئوا كل إناء معهم ، فخيل لي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا .

وروي جابر أنه ﷺ أطعم يوم الخندق ألف رجلٍ من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغطُ كما هي ، وإن عجيننا ليخبز وكان ﷺ قدٍ بصق في العجين والبرمة وبارك ، وروى أبوٍ أيوب أنه صنع لرسول الله ﷺ وأبي بكر طعاماً يكفيهما ، فأطعم منه ﷺ مائة وثمانين رجلا [٢]

ومن معجزاته ﷺ قصة حنين الجذع [٣] قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً علي جذوع النخلٍ، فكان ﷺ إذا خطب يقوم إلي جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، وفي رواية أنس : حتى ارتجّ المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليهٍ فسكت ، وفي رواية (والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلي يوم القيامة تحزنا علي رسول الله ﷺ فأمر به فدفن تحت المنبر[٤])

ومن معجزاتهِ ﷺ إبراء المرضي فقد أصيبت يوم أُحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت علي وجنتيه ، فردها ﷺ فكانت أحسن عينيه وأحدهما وبصق علي أثرٍ سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الأسنّة استسقاء ، فبعث إلي النبي ﷺ ، فأخذ بيده حثوة من الأرض ، فتفل عليها ، ثم أعطاها رسوله ، فأخذها يري أنه قد هزئ به فاتاه بها وهو علي شفي ، فشربها فشفاه الله.

١- رواه مسلم (٢٢٧٩) .

٢- رواه البيهقي في الدلائل .

٣- رواه البخاري (٣٥٨٣) .

٤- رواه البيهقي في الدلائل .

أما ما منحه الله إياه من إجابة دعواه ، فروي عن انس بن مالك ، قال قالت أمي أم سليم يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له ، فقال ﷺ (اللهم أكثرِ ماله وولده ، وبارك له فيما آتيته) قال أنس فو الله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة [١] .

ودعا ﷺ لعبدِ الرحمن بن عوف بالبركة ، فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الأربع من تركتهِ ثمانين ألفا، وتصدق مرة بعير منها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها ، وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها [٢] .

ودعا لمعاوية بالتمكين في الأرض فنال الخلافة ، ودعا لسعد بإجابة الدعوة ، فما دعا علي أحد إلا استجيب له ، وتقدم دعاؤه ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ أن يعز الإسلام به [٣]، وقال لأبي قتادة (أفلح وجهك ، اللهم بارك في شعره وبشره) فمات وهو ابنِ سبعين سنة ، كأنه ابن خمس عشرة [٤].

وحسبنا ومما ينير بصيرتنا ما مِن الله به علي رسولنا ﷺ من عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالي (يا أَيُّها الرَّسولِ بلِّغْ ما أُنزِلَ إِليكِ من رَّبِّك وإِن لَّم تفْعل فَما بلَّغْتَ رِسالَته واللَّه يعصمك مِن النَّاسِ إِنَّ اللَّه لا يهدِي القَوم الكافِرين) [المائدة ٦٧] وقال تعالي (واصبِر لِحكمِ ربك فَإِنَّكَ بِأَعيننَا وسبِح بِحمد ربكِ حينَ تقومِ) [الطورَ ٤٨] وقال (أَليس اللَّه بكافٍ عبده ويخوفُونك بالَّذين من دونه ومن يضلل اللَّه فما لَه من هادٍ) [الزمرِ ٣٦] وقوله تعالي (إِنَّا كَفَيناك المستهزِئين) [الحجرَ ٩٥] ولما نزل قوله تعالي (يا أَيُّها الرَّسول بلِّغْ ما أُنزل إِليك من رَّبِّك وإِن لَّم تفْعل فَما بلَّغْت رسالَته واللَّه يعصمك من النَّاس إِنَّ اللَّه لا يهدي القَوم الكافِرين) [المَائدة ٦٧] صرف حجابه وقال ﷺ (انصرفوا فقدَ عصمَني الله) وحسبنا أنه ﷺ مكث بين أعَداء ألداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين أمثالهم من المنافقين واليهود عشر سنين ولم يتمكن أحد من إيصال الأذى إليه ﷺ بل كفاه سبحانه وتعالي شر أعدائه وجعل كيدهم في نحرهم وتدبيرهم في تدميرهم حتى أظهر الله سبحانه وتعالي الدين وأتمه.

وختاما لهذا الفصل أختم حديثي بمقولة عماد الأصفهاني إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتابه في يومه إلا قال في غده ، لو زيد كذا لكان أحسن ، ولو نقص كذا لكان مستحسن ، ولو كان هذا لكان أجمل ولو كان ذاك لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر ودليل علي استيلاء النقص علي جملة البشر ، فما بالكم ونحن نتحدث عن خير خلق الله علي الإطلاق نبينا وحبيبنا وشفيعنا يوم الزحام ﷺ .

١- رواه البخاري (٦٣٤٤) .

٢- رواه أبو داود (٢١٠٩) .

٣- رواه الترمذي (٣٦٨١) .

٤- رواه البيهقي في الدلائل .

الفصل الرابع
الأذكار اليومية من صحيح الكتاب والسنة النبوية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه والتابعين وبعد.....،

فهذه جملة منتخبة من صحيح الأذكار اليومية انتخبناها من صحيح السنة وقد اكتفينا بعزو ما في الصحيحين أو أحدهما إليكم وعزو ما ليس فيهما إلي مصدر واحد من كتب السنة مع ذكر درجته من حيث الصحة والحسن فاحرص عليها في جميع أحوالك وحلك وترحالك وصحتك وسقمك ومدخلك ومخرجك فإن من حافظ عليها أدخل نفسه حرما آمنا وحصنا حصينا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضل الذكر

قال الله تعالى:{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ }[البقرة ١٥٢] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب ٤١] { وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب ٣٥] { وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ }[الأعراف ٢٠٥]

وَقال ﷺ " مَثَل الذيَ يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت "[١] وقال ﷺ :" ألا أنبئكم بخير أعمالكم ،وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟" قالوا بلى .قال : "ذكر الله تعالى"[٢] وقال ﷺ " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ،وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ،وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة "[٣].

وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيءٍ أتشبث به. قال ﷺ " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله "[٤] وقال ﷺ "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : {الم} حرف؛ ولكن : ألف حرف ،ولام حرف ،وميم حرف"[٥].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال:" أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم ؟" فقلنا :

١- البخاري مع الفتح ٢٠٨/١١ ومسلم بلفظ "مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت" ٥٣٩/١.

٢- الترمذي ٤٥٩/٥ وابن ماجه ١٢٤٥/٢ وانظر صحيح ابن ماجه ٣١٦/٢ وصحيح الترمذي ١٣٩/٣.

٣- البخاري ١٧١١٨ ومسلم ١٤ ٢٠٦١ واللفظ للبخاري.

٤- الترمذي ٤٥٨/٥ وابن ماجه ١٢٤٦١٢ وانظر صحيح الترمذي ١٣ ١٣٩ وصحيح ابن ماجه ١٢ ٣١٧.

٥- الترمذي ١٧٥/٥ وانظر صحيح الترمذي ٩١٣ وصحيح الجامع الصغير ٣٤٠١٥.

يا رسول الله نحب ذلك . قال :" أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم ، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاثٍ خير له من ثلاثٍ ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهنٍ من الإبل"[1] وقال ﷺ " من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترةٍ"[2].

وقال ﷺ: " ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم "[3]. وقال ﷺ :" ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة "[4].

أذكار الصباح والمساء

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده[5]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم { الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ له ما في السَّماوات وما في الأرض من ذا الَّذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاء وسع كرسيُّه السَّماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العليُّ العظيم }[6]

بسم الله الرحمن الرحيم{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} بسم الله الرحمن الرحيم {قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق *ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النَّفَّاثات في العقد * ومن شر حاسدٍ إذا حسد } بسم الله الرحمن الرحيم{ قل أعوذ برب النَّاس * ملك النَّاس * إله النَّاس *من شر الوسواس الخنَّاس * الَّذي يوسوس في صدور النَّاس * من الجنَّة والنَّاس}(ثلاث مرات) [7].

"أصبحنا وأصبح الملك لله[8]، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده[9] وأعوذ بك من

١- مسلم ١/٥٥٣.

٢- أبو داود ٢٦٤١٤ وغيره وانظر صحيح الجامع ٣٤٢١٥.

٣- الترمذي وانظر صحيح الترمذي ٣/١٤٠.

٤- أبو داود ٢٦٤١٤ وانظر صحيح الجامع ١٧٦١٥.

٥- عن أنس يرفعه " لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة " أبو داود برقم ٣٦٦٧، وحسنه الألباني ، صحيح أبو داود ٢/ ٦٩٨.

٦- سورة البقرة ، آية ٢٥٥ من قالها حين يمسي أجير منهم حتى يصبح أخرجه الحاكم ١/ ٥٦٢وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٧٣ وعزاه إلى النسائي والطبراني وقال : وإسناد الطبراني جيد.

٧- من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي كفته من كل شيء . أبو داود ٤/ ٣٢٢ والترمذي ٥/ ٥٦٧وانظر صحيح الترمذي ٣/ ١٨٢.

٨- وإذا أمسى قال : أمسينا وأمسى الملك لله.

٩- وإذا أمسى قال : رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها.

شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر"[1] وإذا أمسَي قال ذلك أيضا : " أمسينا وأمسي الملك لله ".

"اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا[2] وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور"[3] وإذا أمسي فليقل :

" اللهم بك أمسينا، وبكِ أصبحنا، وبِكِ نحيا وبك نموت، وإليك المصير ".

"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء[4] لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"[5]

اللهم إني أصبحت [6] أشهدك وأشهد حملةِ عرشك ، وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك" (أربع مرات) [7]

اللهم ما أصبح بيِ [8] من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر"[9]

"اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت .اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت" (ثلاث مرات) [10].

"حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم "(سبع مرات) [11]

"اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي"[12].

١- مسلم ٤/ ٢٠٨٨.

٢- وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير".

٣- الترمذي ٥/ ٤٦٦ وانظر صحيح الترمذي ٣/ ١٤٢.

٤- أقر وأعترف.

٥- من قالها موقناً بها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ، وكذلك إذا أصبح أخرجه البخاري ١٥٠/٧.

٦- وإذا أمسى قال : اللهم إني أمسيت.

٧- من قالها حين يصبح وحين يمسي أربع مرات أعتقه الله من النار . أخرجه أبو داود ٤/ ٣١٧ والبخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٠١ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩، وابن السني برقم ٧٠ وحسن سماحة الشيخ ابن باز إسناد النسائي وأبي داود في تحفة الأخيار ص ٢٣.

٨- وإذا أمسى قال : اللهم ما أمسى بي.

٩- من قالها حين يصبح فقد أدي شكر يومه ، ومن قالها حين يمسى فقد أدى شكر ليلته . أخرجه أبو داود ٣١٨/٤ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٧وابن السني برقم ٤١ وابن حبان ((موارد)) رقم ٢٣٦١وحسن ابن باز إسناده في تحفة الأخيار ص٢٤.

١٠- أبو داود ٤/ ٣٢٤، وأحمد ٥/ ٤٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٢٢وابن السني برقم ٦٩والبخاري في الأدب المفرد وحسن العلامة ابن باز في تحفة الأخيار ص٢٦.

١١- من قالها حين يصبح ويمسي سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة .أخرجه ابن السني برقم ٧١مرفوعاً وأبو موقوف ٣٢١/٤،وصحح إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط . انظر زاد المعاد ٢/ ٣٧٦.

١٢- أبو داود وابن ماجه وانظر صحيح ابن ماجه ٣٣٢/٢.

"اللهم عالمَ الغيب والشَّهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم"[١].

"بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم"[٢](ثلاث مرات)

رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا "[٣] (ثلاث مرات)

"يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلْني إلى نفسي طرفة عين"[٤].

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين[٥] ، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم[٦] : فتحه، ونصره ،ونوره ،وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده"[٧]

"أصبحنا على فطرة الإسلام[٨] وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملَّة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"[٩].

من قال :"سبحان الله وبحمده"(مائة مرة) [١٠].

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(عشر مرات) [١١]

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(مائة مرة إذا أصبح) [١٢]

١- الترمذي وأبو داود .انظر :صحيح الترمذي٣/ ١٤٢.

٢- من قالها ثلاثاً إذا أصبح وثلاثاً إذا أمسى لم يضره شيء أخرجه أبو داود ٤/ ٣٢٣ والترمذي ٥/ ٤٦٥ وابن ماجه وأحمد . انظر : صحيح ابن ماجه ٣٣٢/٢ وحسن إسناده العلامة ابن باز في تحفة الأخيار ص٣٩.

٣- من قالها ثلاثاً حين يصبح وحين يمسي كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة . أحمد ٤/ ٣٣٧ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٤ وابن السني برقم ٦٨ وأبو داود ٤١٨/٤ والترمذي ٤٦٥/٥ وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار ص ٣٩.

٤- الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٥٤٥ وانظر صحيح الترغيب والترهيب ٢٧٣/١.

٥- وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين.

٦- وإذا أمسى قال: اللهم إني أسألك خير هذه الليلة فتحها ونصرها ونورها وبركتها وهداها وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها.

٧- أبو داود ٤/ ٣٢٢ وحسن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد ٢/ ٢٧٣.

٨- وإذا أمسى قال: أمسينا على فطرة الإسلام.

٩- أحمد ٣/ ٤٠٦و ٤٠٧ وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٣٤ وانظر : صحيح الجامع ٤/ ٢٠٩.

١٠- من قالها مائة مرة حين يصبح وحين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد رواه مسلم٤ / ٢٠٧١.

١١- النسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٢٤ وانظر :صحيح الترغيب والترهيب ٢٧٢/١ ،وتحفة الأخيار لابن باز ص٤٠وانظر فضلها في ص١٤٦ ،حديث رقم ٢٥٥.

١٢- من قالها مائة مرة في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ،ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ،ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . البخاري ٩٥/٤،ومسلم ٢٠٧١/٤.

"سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته"(ثلاث مرات إذا أصبح) [١]
" اللهم إني أسألك علما نافعاً ، ورزقا طيبا ، وعملا متقبلا " (إذا أصبح)[٢]
"أستغفر الله وأتوب إليه " (مائة مرة في اليوم) [٣]
"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" (ثلاث مرات إذا أمسى) [٤]
" اللهم صل وسلم على نبينا محمد " (عشر مرات) [٥]

أذكار النوم

"يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ *مِن شَرِّ مَا خَلَقَ *وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ *وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } بسم الله الرحمن الرحيم{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ *مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده" (يفعل ذلك ثلاث مرات) [٦]

{ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }[٧]

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٨]

١- مسلم ٤/ ٢٠٩٠.

٢- أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٥٤وابن ماجه برقم ٩٢٥وحسن إسناده عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد ٢/٣٧٥.

٣- البخاري مع الفتح ١١/١٠١ ومسلم ٤/٢٠٧٥.

٤- من قالها حين يمسي ثلاث مرات لم تضره حمه تلك الليلة أخرجه أحمد ٢/٢٩٠ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٥٩٠، وابن السني برقم ٦٨ ، وانظر صحيح الترمذي ٣/١٨٧ وصحيح ابن ماجه ٢/٢٦٦ وتحفة الأخيار ص٤٥ .

٥- من صلى علي حين يصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة"...، رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد ، انظر الزائد ١٠/ ١٢٠ وصحيح الترغيب والترهيب ١/٢٧٣.

٦- البخاري مع الفتح ٩/٦٢ومسلم ٤/١٧٢٣.

٧- من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح البخاري مع الفتح ٤/٤٨٧.

٨- من قرأها في ليلة كفتاه، البخاري مع الفتح ٩/ ٩٤ ومسلم ١/ ٥٥٤ ، والآيتان من سورة البقرة ، ٢٨٥ – ٢٨٦.

باسمك[1] ربي وضعت جنبي وبِك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"[2]، "اللهم خلقْت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية"[3].

"اللهم قِني[4] عذابك يوم تبعث عبادك"(ثلاث مرات) [5].

" باسمك اللهم أموتٍ وأحيا "[6].

" سبحَان الله (ثلاثا وثلاثين) والحمد لله (ثلاثاً وثلاثين) والله أكبر(أربعاً وثلاثين) [7]

"اللهم ربَّ السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ،وأنت الآخِر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين واغننا من الفقر"[8].

"الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي"[9].

"اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجرَّه إلى مسلم"[10].

" يقرأ {ألم } تنزيل السجدة، و{تبارك الذي بيده الملك}"[11].

" اللهم[12] أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت"[13]

١- "إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفض بصنفة إزاره ثلاث مرات وليسم الله فإنه لا يدري ماذا خلفه عليه بعده وإذا اضطجع فليقل ... " الحديث.

٢- البخاري ١١/ ١٢٦ .ومسلم ٤/ ٢٠٨٤.

٣- رواه مسلم٤/ ٢٠٨٣وأحمد بلفظه ٢/٧٩.

٤- كان الرسول ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول ....." الحديث.

٥- أبو داود بلفظه ٤/٣١١ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٤٣.

٦- البخاري مع الفتح ١١/١١٣ ومسلم ٤/ ٢٠٨٣.

٧- من قال ذلك عندما يأوي إلى فراشه كان خيراً له من خادم البخاري مع الفتح ٧/٧١ ومسلم ٤/ ٢٠٩١.

٨- مسلم ٤/ ٢٠٨٤.

٩- مسلم ٤/ ٢٠٨٥.

١٠- أبو داود ٤/ ٣١٧ وانظر صحيح سنن الترمذي٣/ ١٤٢.

١١- الترمذي والنسائي وانظر صحيح الجامع٤/ ٢٥٥.

١٢-"إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل:...." الحديث.

١٣- قال ﷺ لمن قال ذلك : "فإن متَّ ،متَّ على الفطرة " البخاري مع الفتح ١١/١١٣ ومسلم ٤/ ٢٠٨١.

دعاء القلق والفزع في النوم ومن بلي بالوحشة

" أعوذ بكلمات الله التَّامَّة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأنْ يحضرون"[١].

الذكر قبل الوضوء

" بسم الله "[٢]

الذكر بعد الفراغ من الوضوء

"أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"[٣]

وزاد الترمذي بعد ذكر الشهادتين :"اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين"[٤]

"سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"[٥].

أذكار الأذان

يقول مثل ما يقول المؤذن إلا في "حي على الصلاة ، وحي على الفلاح" فيقول "لا حول ولا قوة إلا بالله"[٦]، ويقول " وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبمحمدا رسولا وبالإسلام دينا"[٧] ((يقول ذلك عقب تشهد المؤذن)) [٨]

"يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من إجابة المؤذن"[٩]

"اللهم رب هذه الدعوة التامة ،والصلاة القائمة، آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة، وأبعثه مقاماً محمودا الذي وعدته، [إنك لا تخلف الميعاد] [١٠] .

"يدعو لنفسه بين الأذان والإقامة فإن الدعاء حينئذٍ لا يرد "[١١]

دعاء الذهاب إلى المسجد

" اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، ومن فوقي نوراً ، ومن تحتي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن شمالي نورا ، ومن أمامي نورا ، ومن خلفي نورا ، و اجعل في نفسي نورا ، وأعظم لي نورا ، وعظم لي نورا ، واجعل لي نورا ،

١- أبو داود ٤/١٢ نظر صحيح الترمذي٣/ ١٧١.

٢- أبو داود وابن ماجه وأحمد وانظر إرواء الغليل ١/ ١٢٢.

٣- رواه مسلم١/ ٢٠٩.

٤- الترمذي ١/ ٧٨ وانظر صحيح الترمذي١/ ١٨.

٥- النسائي في عمل اليوم والليلة ص١٧٣ وانظر إرواء الغليل ١/ ١٣٥ و٢/ ٩٤.

٦- البخاري ١/ ١٥٢ ومسلم ١/ ٢٨٨.

٧- مسلم ١/٢٩٠.

٨- ابن خزيمة ١/ ٢٢٠.

٩- مسلم ١/ ٢٨٨.

١٠- البخاري ١/ ١٥٢ وما بين المعكوفين للبيهقي ١/ ٤١٠ وحسن إسناده العلامة عبد العزيز بن باز في تحفة الأخيار ص ٣٨.

١١- الترمذي وأبو داود وأحمد وانظر إرواء الغليل ١/ ٢٦٢.

واجعلني نوراً ، اللهم أعطني نوراً ، واجعل في عصبي نوراً ، وفي لحمي نوراً ، وفي دمي نوراً ، وفي شعري نورا ، وفي بشري نورا"[١].

" [اللهم اجعل لي نورا في قبري .. ونوراً في عظامي]" [٢] [" وزدني نوراً ، وزدني نوراً ، وزدني نورا "][٣] [" وهب لي نورا على نورا "][٤]

دعاء دخول المسجد

" أعوذ بالله العظيم ،وبوجهه الكريم ،وسلطانه القديم ،من الشيطان الرجيم "[٥]

"[بسم الله ،والصلاة] [٦] [والسلام على رسول الله] [٧] ،" اللهم افتح لي أبواب رحمتك"[٨]

دعاء الخروج من المسجد

" بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ،اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم "[٩]

دعاء الاستفتاح

"اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد "[١٠]

"سبحانك اللهم وبحمد ك وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك"[١١]

"وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ،إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني

١- جميع هذه الخصال في البخاري ١١/ ١١٦ برقم ٦٣١٦ ومسلم ١/ ٥٢٦، ٥٢٩ ، ٥٣٠ برقم ٧٦٣.

٢- الترمذي برقم ٣٤١٩، ٥/٤٨٣.

٣- أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٦٩٥ ، ص ٢٥٨ وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٥٣٦.

٤- ذكره ابن حجر في فتح الباري وعزاه إلى ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء ،انظر الفتح١١/١١٨وقال:فاجتمع من اختلاف الروايات خمس وعشرون خصلة.

٥- أبو داود وانظر صحيح الجامع برقم ٤٥٩١.

٦- رواه ابن السني برقم ٨٨ وحسنه الألباني.

٧- أبو داود ١/ ١٢٦ وانظر صحيح الجامع ١/ ٥٢٨.

٨- رواه مسلم١/ ٤٩٤. وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة رضي الله عنها " اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك " وصححه الألباني لشواهده انظر صحيح ابن ماجه ١/ ١٢٨ – ١٢٩.

٩- انظر تخريج روايات الحديث السابق رقم ٢٠ وزيادة ((اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم)) لابن ماجه . انظر صحيح ابن ماجه ١/ ٢٨٨.

١٠- البخاري ١/ ١٨١ ومسلم ١/ ٤١٩.

١١- أخرجه أصحاب السنن الأربعة وانظر صحيح الترمذي ١/٧٧ وصحيح ابن ماجه ١/ ١٣٥.

سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك "[١]

"اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم "[٢]

"اللهِ اكبر كبيرا، الله اكبر كبيرا، الله اكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرةً وأصيلا . ثلاثا . " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : من نفخه، ونفثه ،و همزه"[٣]

كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: " اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن [ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن]، [ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن] [ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض] [ولك الحمد] أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ،ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق] [اللهم لك أسلمت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وأسررت، وما أعلنت] [أنت المقدم ،وأنت المؤخر لا إله إلا أنت][أنت إلهي لا إله إلا أنت] [٤]

دعاء الركوع

" سبحان ربي العظيم " ثلاث مرات[٥] .

" سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي "[٦]

"سبوح قدوس رب الملائكة والروح"[٧] ،

"اللهم لك ركعت وبك آمنت ،ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي، وما استقل به قدمي "[٨]

" سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة "[٩].

١- رواه مسلم١/ ٥٣٤.

٢- رواه مسلم١/ ٥٣٤.

٣- أخرجه أبو داود ١/ ٢٠٣ وابن ماجه ١/ ٢٦٥ وأحمد ٨٥/٤ وأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهماا بنحوه وفيه قصة ١/ ٤٢٠.

٤- البخاري مع الفتح ٣/٣ و١١٦/١١ و ١٣/ ٣٧١ ٤٢٣، ٤٦٥ ومسلم مختصراً بنحوه ١/ ٥٣٢.

٥- أخرجه أهل السنن وأحمد وانظر صحيح الترمذي ٨٣/١.

٦- البخاري ١٩٩/١ومسلم ١/ ٣٥٠.

٧- مسلم١/ ٣٥٣ وأبو داود ٢٣٠/١.

٨- مسلم ٣٤٥/١والأربعة إلا ابن ماجه.

٩- أبو داود ١/ ٢٣٠ والنسائي وأحمد وإسناده حسن.

دعاء الرفع من الركوع

" سمع الله لمن حمده"[١] .

"ربنا ولك الحمد ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه"[٢]

"....ملء السموات وملء الأرض وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .أهل الثناء والمجد ،أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[٣]

دعاء السجود

" سبحان ربي الأعلى " ، ثلاث مرات. [٤]

"سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي"[٥]

" سبوح قدوس رب الملائكة والروح "[٦]

" اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين "[٧].

" سبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة"[٨].

" اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ،وأوله وآخره ، وعلانيته وسره "[٩]

" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ،وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "[١٠] .

دعاء الجلسة بين السجدتين

" رب اغفر لي ، رب اغفر لي"[١١]

" اللهم اغفر لي ، وارحمني ،واهدني ، واجبرني، وعافني، وارزقني ، وارفعني"[١٢].

١- البخاري مع الفتح ٢/ ٢٨٢.

٢- البخاري مع الفتح ٢/ ٢٨٢.

٣- مسلم ١/ ٣٤٦.

٤- أخرجه أهل السنن وأحمد وانظر صحيح الترمذي ١/٨٣.

٥- البخاري ومسلم وتقدم تخريجه برقم ٣٤.

٦- مسلم ١/ ٣٣٥وتقدم برقم ٣٥.

٧- مسلم١/ ٥٣٤ وغيره.

٨- أبو داود ١/ ٢٣٠ والنسائي وأحمد وإسناده وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٦٦.

٩- مسلم١/ ٣٥٠.

١٠- مسلم١/ ٣٥٢.

١١- أبو داود ١/ ٢٣١وانظر صحيح ابن ماجة١/ ١٤٨.

١٢- أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وانظر صحيح الترمذي ١/٩٠ وصحيح ابن ماجه ١/ ١٤٨.

دعاء سجود التلاوة

"سجد وجهي للذي خلقه ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته {فتبارك الله أحسن الخالقين}"[1]

"اللهم أكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود"[2].

التشهد

"التحيات لله ، والصلوات ، والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ،أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[3].

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[4]

" اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[5]..

الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

" اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات ،ومن شر فتنة المسيح الدجال"[6]

" اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم "[7]

" اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم "[8]

" اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت "[9].

١- الترمذي ٢/٤٧٤ وأحمد ٦/٣٠ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٢٢٠ والزيادة له.

٢- الترمذي ٢/٤٧٣ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٢١٩.

٣- البخاري مع الفتح ١/١٣ ومسلم ١/ ٣٠١.

٤- البخاري مع الفتح ٦/ ٤٠٨.

٥- البخاري مع الفتح ٦/ ٤٠٧ومسلم ١/ ٣٠٦ واللفظ له.

٦- البخاري ٢/ ١٠٢ ومسلم ١/ ٤١٢ واللفظ لمسلم.

٧- البخاري ١/ ٢٠٢ ومسلم ١/ ٤١٢.

٨- البخاري ٨/١٦٨ ومسلم ٤/ ٢٠٧٨.

٩- مسلم ١/ ٥٣٤.

" اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك وحسن عبادتك "[1]

" اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر "[2].

" اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار "[3] .

" اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الغنى والفقر ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضرَّاء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين "[4] .

" اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم "[5].

" اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، المنان ، يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار "[6].

" اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"[7].

الأذكار بعد السلام من الصلاة

" أستغفر الله " ثلاثاً .." اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[8].

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد "[9].

١- أبو داود ٢/ ٨٦والنسائي ٣/ ٥٣ وصححه الألباني في صحيح أبو داود ١/ ٢٨٤.

٢- البخاري ٦/٣٥.

٣- أبو داود وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٨.

٤- النسائي ٤/٥٥،٤٥وأحمد ٤/٣٦٤ وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ٢٨١.

٥- أخرجه النسائي بلفظه ٣/٥٢وأحمد ٤/٣٣٨ وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ٢٨٠.

٦- رواه أهل السنن وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٩.

٧- أبو داود٢/٦٢والترمذي ٥/ ٥١٥ وابن ماجه ٢/ ١٢٦٧ وأحمد ٥/٣٦٠ وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٢٩ وصحيح الترمذي ٣/ ١٦٣.

٨- مسلم١/ ٤١٤.

٩- البخاري ١ /٢٥٥ ومسلم ١ / ٤١٤.

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،لا حول ولا قوة إلا بالله ،لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ،وله الثناء الحسن ،لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"[1].

" سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير "[2]

بسم الله الرحمن الرحيم{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحِيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ *ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد } بسم الله الرحمن الرحيم{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ *مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }بعد كل صلاة مرة واحدة , وبعد صلاة المغرب والفجر ثلاث مرات[3]

{ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }عقب كل صلاة [4]

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير " عشر مرات بعد صلاة المغرب والصبح[5] .

" اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً "بعد السلام من صلاة الفجر [6] .

دعاء صلاة الاستخارة

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل :" اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر –يسمي حاجته – خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : عاجلة وآجله – فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني

١- مسلم ١/ ٤١٥.

٢- مسلم ١/ ٤١٨من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر مسلم ١/ ٤١٨.

٣- أبو داود٢ /٨٦ والنسائي ٣/ ٦٨ وانظر صحيح الترمذي ٨/٢ والسور الثلاث يقال لها المعوذات وانظر فتح الباري ٩ / ٦٢.

٤- من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت . والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ١٠٠ ، وابن السني برقم ١٢١ وصححه الجامع ٣٣٩/٥ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٩٧/٢ برقم ٩٧٢.

٥- رواه الترمذي ٥١٥/٥ وأحمد ٤/ ٢٢٧ وانظر تخريجه في زاد المعاد ٣٠٠/١.

٦- ابن ماجه وغيره وانظر صحيح ابن ماجة١/ ١٥٢ ومجمع الزوائد ١١١/١٠.

ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : عاجله وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به "[1].

وما ندم من استخار الخالق ، وشاور المخلوقين المؤمنين وتثبت في أمره ، فقد قال سبحانه{ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله}[2]

دعاء قنوت الوتر

" اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ،[ولا يعز من عاديت] تباركت ربنا وتعاليت "[3]

" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك "[4]

" اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك بالكافرين ملحق ، اللهم إنا نستعينك ، ونستغفرك ، ونثني عليك الخير ، ولا نكفرك ، ونؤمن بك ونخضع لك ، ونخلع من يكفرك "[5].

الذكر عقب السلام من الوتر

كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر :(سبح اسم ربك الأعلى) و (وقل يا أيها الكافرون) و (وقل هو الله أحد). فإذا سلم قال " سبحان الملك القدوس [رب الملائكة والروح] "ثلاث مرات والثالثة يجهر بها ويمد بها صوته "[6].

دعاء الوسوسة في الصلاة والقراءة

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واتفل على يسارك (ثلاثا) [7]

الدعاء عند إفطار الصائم

" ذهب الظمأ، وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله"[8].

" اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيءٍ أن تغفر لي "[9]

١- البخاري ٧/ ١٦٢.

٢- سورة آل عمران ، آية : ١٥٩.

٣- أخرجه أصحاب السنن الأربعة وأحمد والدرامي والحاكم والبيهقي وما بين المعكوفين للبيهقي وانظر صحيح الترمذي ١/١٤٤وصحيح ابن ماجه ١/١٩٤ وإرواء الغليل للألباني ٢/١٧٢.

٤- أخرجه أصحاب السنن الأربعة وأحمد. انظر صحيح الترمذي ٣/١٨٠وصحيح ابن ماجه ١/١٩٤ والإرواء ٢/١٧٥.

٥- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وصحح إسناده ٢/٢١١ وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل وهذا إسناد صحيح ٢/١٧٠ .وهو موقوف على عمر.

٦- رواه النسائي ٣/٢٤٤ والدار قطني وغيرهما وما بين المعكوفين زيادة للدار قطني ٢/٣١ وإسناده صحيح .انظر زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ١/٣٣٧.

٧- مسلم ٤/١٧٢٩ من حديث عثمان بن العاص ﷺ وفيه ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

٨- أخرجه أبي داود ٢/٣٠٦ وغيره وانظر صحيح الجامع ٤/٢٠٩.

٩- أخرجه ابن ماجه ١/٥٥٧ من دعاء عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ،وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار انظر شرح الأذكار ٤/٣٤٢.

الدعاء قبل الطعام

" إذا أكل أحدكم الطعام فليقل: "بِسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بِسمِ الله في أوله وآخره"[١].

" من أطعمه الله الطعام فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه". ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه"[٢].

الدعاء عند الفراغ من الطعام

" الحمد لله الذي أطعمني هذا ، ورزقنيه ،من غير حول مني ولا قوة"[٣]

" الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير [مكفيٍّ ولا] مودَّع، ولا مستغنَى عَنْهُ ربّنا"[٤].

دعاء الضيف لصاحب الطعام

" اللهمَّ بارِكْ لَهُم فيما رزقتهم، واغْفر لهم وارحمهم "[٥].

الدعاء لمن سقاه أو إذا أراد ذلك

" اللهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أطْعَمني واسقِ من سقاني "[٦].

الدعاء إذا أفطر عند أهل بيت

" أَفطَرَ عِنْدَكُم الصائمونَ ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكُمُ الملائكَةُ "[٧].

دعاء الصائم إذا حضر الطعام ولم يفطر

" إذا دُعي أحدكم فليج، فإن كان صائماً فليصل وإن كان مفطراً فليطعم "[٨] ومعنى فليصل أي فليدع.

ما يقول الصائم إذا سابه أحد

" إني صائم ، إني صائم "[٩].

دعاء لبس الثوب

مَنْ لَبِسَ ثَوْباً فقال: الحَمْدُ لله الذي كساني هذا(الثوب) ورَزَقَنيه مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي ولا قُوةٍ"[١٠]

١- أخرجه أبو داود ٣٤٧/٣ والترمذي ٢٨٨/٤ وانظر صحيح الترمذي٢/ ١٦٧.

٢- الترمذي ٥٠٦/٥ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٥٨.

٣- أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وانظر صحيح الترمذي ١٥٩/٣.

٤- البخاري ٢١٤/٦ والترمذي بلفظه ٥/ ٥٠٧.

٥- مسلم٣/ ١٦٢٦.

٦- مسلم٣/ ٢٦.

٧- سنن أبي داود ٣٦٧/٣، وابن ماجه ٥٥٦/١ ،والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٢٩٦- ٢٩٨ ،ونص على أنه صلى الله عليه وسلم يقوله إذا أفطر عند أهل بيت ،وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٧٣٠/٢.

٨- مسلم ١٠٥٤/٢.

٩- البخاري مع الفتح ١٠٣/٤ ،ومسلم ٢/ ٨٠٦.

١٠- أخرجه أهل السنن إلا النسائي انظر إرواء الغليل ٧/ ٤٧ ..

دعاء لبس الثوب الجديد

" اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ أَنْتَ كَسَوتَنيه، أسألك من خيرِه وخيرِ ما صُنع لَه، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّه وشَرِّ ما صنِع لَه "[1]

الدعاء لمن لبس ثوباً جديداً

" إلبسْ جَديداً وعشْ حميداً ومت شهيدا "[2].

" تبلَي ويخَلف الله تعالى "[3].

ما يقول إذا وضع الثوب

سِتْرُ ما بين أعين الجِنِّ وعورات بني آدم إذا وضع أحدُهم ثَوبَهُ أنْ يقول: " بسم الله "[4].

الذكر عند الخروج من المنزل

" بسمِ الله ، توكَّلْتُ على الله ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله "[5]

"اللهم إني أعوذُ بِك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ، أو أُزَلَّ، أو أظلِم أو أُظْلَم، أو أَجهل أو يجهل علي"[6].

الذكر عند الدخول المنزل

"بسم الله ولجنا ،وبسم الله خرجنا ، وعلى ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله"[7]

دعاءِ السفر

"اللهِ أكبرِ، الله أكبر، الله أكبِر،{سُبْحانَ الَّذي سخَّر لَنا هَذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنا لَمنقَلبون} "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضَى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل" وإذا رجع قالهن وزاد فيهن "آيبون، تائبوَن، عابدون، لربنا حامدون"[8].

دعاء المسافر للمقيم

" أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه "[9].

١- أبو داود والترمذي والبغوي وانظر مختصر شمائل الترمذي للألباني ص ٤٧.

٢- ابن ماجه ٢/ ١١٧٨ والبغوي ١٢/ ٤١ وانظر صحيح ابن ماجة٢/ ٢٧٥.

٣- أخرجه أبو داود ٤/ ٤١ ، وانظر صحيح أبي داود٢/ ٧٦٠.

٤- الترمذي ٢/٥٠٥ وغيره وانظر الإرواء برقم ٤٩ صحيح الجامع٣/ ٢٠٣.

٥- أبو داود ٤/ ٣٢٥ والترمذي ٥/ ٤٩٠ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٥١.

٦- أهل السنن وانظر صحيح الترمذي ٣/ ١٥٢ وصحيح ابن ماجه ٢/ ٣٣٦.

٧- أخرجه أبو داود ٤/ ٣٢٥ ، وحسن إسناده العلامة ابن باز في تحفة الأخيار ص٢٨ ، وفي الصحيح " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء " مسلم برقم ٢٠١٨.

٨- رواه مسلم٢/ ٩٧٨.

٩- أحمد ٢/٤٠٣ وابن ماجه ٢/٩٤٣ وانظر صحيح ابن ماجة٢/ ١٣٣.

دعاء المقيم للمسافر

" أستودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم عملك "[1].

" زوَّدك الله التقوى، وغفر ذَنبك ويسَّر لك الخير حيث ما كنت ".[2]

ذكر الرجوع من السفر

" يكبرِ على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، آيبون ،تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون ،صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"[3]

كيف يلبي المحرم في الحج أو العمرة

" لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك "[4]

التكبيرة إذا أتي الركن الأسود

" طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير كلما أتي الركن أشار إليه بشيء عنده وكبر "[5]

الدعاء بين الركنِ اليمانيِ والحجرِ الأسود

{ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النَّارِ}[6]

دعَاء الوقوفُ علي الصفاَ والمروة

فلما دنا ﷺ من الصفا قرأ: { إِنَّ الصَّفَا والْمروة من شعائر الله } " أبدأ بما بدأ الله به " فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ، فوَحد الله وَكبرهَ وقال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات " الحديث وفيه " ففعل على المروة كما فعل على الصفا "[7]

الدِعاء يوم عرفة

" خير الدِعاء دِعاء يوم عرِفة ، وخير ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[8]

١- أحمد ٢/٧ الترمذي٥/٤٩٩ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٥٥.

٢- الترمذي وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٥٥.

٣- كان النبي ﷺ يقوله إذا قفل من غزو أو حج ، البخاري ١٦٣/٧ ومسلم ٢/ ٩٨٠.

٤- البخاري مع الفتح ٣/ ٤٠٨ ، ومسلم ٨٤١/٢.

٥- البخاري مع الفتح ٤٧٦/٣ ،والمراد بالشيء المحجن انظر : البخاري مع الفتح ٤٧٢/٣.

٦- أبو داود ٢/ ١٧٩ وأحمد ٤١١/٣ والبغوي في شرح السنة ١٢٨/٧ ،وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٣٥٤ ، والآية من سورة البقرة ، ٢٠١.

٧- مسلم ٨٨٨/٢.

٨- الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ١٨٤/٣، وفي الحديث الصحيحة ٦/٤.

الذكر عند المشعر الحرام

" ركب ﷺ القصواء حتي أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة (فدعاهُ ، وكبره ،وهلله ، ووحده) فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس "[1]

التكبيرة عند رمي الجمار مع كل حصاة

"يكبر كلما رمى بحصاة عند الجمار الثلاث ثم يتقدم، ويقف يدعو مستقبل القبلة، رافعاً يديه بعد الجمرة الأولى والثانية، أما جمرة العقبة فيرميها ويكبر عند كل حصاة وينصرف ولا يقف عندها "[2]

دعاء الكرب

" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم "[3]

" اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت "[4].

" لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "[5]

" الله الله ربي لا أشرك به شيئا "[6]

دعاء الهم والحزن

" اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك ، عدلٍ في قضاؤك ،أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ،وجلاء حزني وذهاب همي "[7]

" اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال "[8].

الدعاء للمريض في عيادته

" لا بأس طهور إن شاء الله "[9] .

" أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" (سبع مرات) [10]

١- مسلم ٨٩١/٢.

٢- البخاري مع الفتح ٥٨٣/٣ و٥٨٤/٣ وانظر لفظه هناك . والبخاري مع الفتح ٥٨١/٣ ورواه مسلم أيضاً.

٣- البخاري ١٥٤/٧ومسلم ٤/ ٢٠٩٢.

٤- أبو داود ٣٢٤/٤ وأحمد ٤٢/٥ وحسنه الألباني في صحيح أبو داود ٣/ ٩٥٩.

٥- الترمذي ٥٢٩/٥ والحاكم وصححه ووفقه الذهبي ٥٠٥/١ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٦٨.

٦- أخرجه أبو داود ٨٧/٢ وانظر صحيح ابن ماجه ٣٣٥/٢.

٧- أحمد ٣٩١/١وصححه الألباني.

٨- البخاري ١٥٨/٧ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من هذا الدعاء.

٩- البخاري مع الفتح ١٠/ ١١٨.

١٠- صحيح الترمذي٢/ ٢١٠ وصحيح الجامع ١٨٠/٥.

ما من عبد مسلم يعود مريضاً لم يحضر أجله فيقول: سبع مرات....."الحديث إلا عوفي . أخرجه الترمذي وأبو داود وانظر

فضل عيادة المريض

قال ﷺ:" إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح "[1]

دعاء المريض الذي يئس من حياته

" اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى"[2]

" جعل النبي صلى الله عليه وسلم يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت لسكرات" [3]

" لِا إله إلا اللهِ والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[4] .

تلقين المحتضر

" من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة "[5]

الدعاء عند إغماض الميت

" اللهم اغفر لفلان (باسمه) وابرفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين ،وافسح له في قبره ونور له فيه"[6]

الدعاء للميت في الصلاةِ عليه

" اللهم اغفر له وارحمه، وعافه ،واعف عنه ،وأكرم نزله ، ووسع مدخلهَ ، واغسله بالماءِ والثلج والبرد ، ونقه منِ الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة ،وأعذه من عذاب القبر (ومن عذاب النار)" [7]

" اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأُنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده"[8]

١- رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وانظر صحيح ابن ماجه ٢٤٤/١ وصحيح الترمذي ٢٨٦/١ وصححه أيضاً أحمد شاكر.

٢- البخاري ١٠/٧ ومسلم ١٨٩٣/٤.

٣- البخاري مع الفتح ١٤٤/٨وفي الحديث السواك.

٤- أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني ، وانظر صحيح الترمذي ١٥٢/٣وصحيح ابن ماجه ٣١٧/٢.

٥- أبو داود ١٩٠/٣ وانظر صحيح الجامع ٤٣٢/٥.

٦- مسلم ٦٣٤/٢.

٧- مسلم ٦٦٣/٢.

٨- ابن ماجه ٤٨٠/١ وأحمد ٣٦٨/٢ وانظر صحيح ابن ماجة١/ ٢٥١.

" اللهم إن فلان بن فلان في ذِمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق .فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم" [1]

" اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتٍك احتاج إلى رحمتك ،وأنت غني عن عذابه، إن كان محسناً فزده في حسناته، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه"[2]

دعاء التعزية

" إن لله ما أخذ وله ما أعطى . وكل شيء عنده بأجل مسمى ...فلتصبر ولتحتسب "[3]

وإن قال : " أعظم الله أجرك ،وأحسن عزاءك وغفر لميتك " فحسن [4]

دعاء عند إدخال الميت القبر

" بسم الله وعلى سنة رسول الله "[5]

دعاء بعد دفن الميت

" اللهم اغفر له اللهم ثبته "[6]

دعاء زيارة القبور

" السلام عليكم أهل الديار ، من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون [ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين] أسأل الله لنا ولكم العافية[7]

دعاء المتزوج لنفسهٍ ودعاء شراء الدابة

إذا تزوج أحدكم امرأة ،أو إذا اشترى خادماً فليقل :" اللهم إنِي أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك "[8]

الدعاء قبل إتيان الزوجة

" بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا "[9]

١- أخرجه ابن ماجه ، وانظر صحيح ابن ماجة١/ ٢٥١ورواه أبو داود ٢١١/٣.

٢- أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣٥٩/١ وانظر أحكام الجنائز للألباني ص١٢٥.

٣- البخاري ٨٠/٢ ومسلم ٦٣٦/٢.

٤- الأذكار للنووي ص١٢٦ .

٥- أبو داود ٣١٤/٣بسند صحيح وأحمد بلفظ بسم الله وعلى ملة رسول الله وسنده صحيح .

٦- كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال :" استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل" .أبو داود ٣١٥/٣ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣٧٠/١.

٧- سلمم٦٧١/٢ ،وابن ماجه واللفظ له ٤٩٤/١ عن بريدة رضي الله عنه ، وما بين المعكوفين من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم ٦٧١/٢.

٨- أبو داود ٢٤٨/٢ وابن ماجه ٦١٧/١ وانظر صحيح ابن ماجه ٣٢٤/١.

٩- البخاري ١٤١/٦ ومسلم ١٠٢٨/٢.

تهنئة المولود له وجوابه

" بارك الله لك في الموهوب لك ،وشكرت الواهِب، وبلغ أشده، ورزقت بره " .ويرد عليه المهنأ فيقول : " بارك الله لك وبارك عليك ، وجزاك الله خيرا ، ورزقك الله مثله، وأجزل ثوابك "[1] .

دعاء دخول الخلاء

{بسم الله}، اللهمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ من الخُبث والخبائث"[2].

دَعاء الخروَج من الخلاَء

" غُفْرانَكَ "[3].

دعاء الريح

" اللهم إني أسألك خيرها ، وأعوذ بك من شرها "[4].

" اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أُرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به "[5].

دعاء الرعد

" سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته "[6]

من أدعية الإستسقاء

" اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل "[7]

" اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا "[8]

" اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت"[9]

الدعاء إذا نزل المطر

" اللهم صيباً نافعاً "[10].

الذكر بعد نزول المطر

" مطرنا بفضل الله ورحمته "[11]

١- انظر الأذكار للنووي ص٣٤٩ وصحيح الأذكار للنووي ، لسليم الهلالي ٧١٣/٢.

٢- أخرجه البخاري ١/ ٤٥ومسلم٢٨٣/١وزيادة بسم الله في أوله متفق عليه، أخرجها سعيد بن منصور أنظر فتح الباري ٢٤٤/١.

٣- أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي أخرجه في عمل اليوم والليلة انظر تخريج زاد المعاد ٢/ ٣٨٧.

٤- أخرجه أبو داود ٣٢٦/٤وابن ماجه ١٢٢٨/٢ وانظر صحيح ابن ماجة٢/ ٣٠٥.

٥- مسلم ٦١٦/٢ والبخاري ٧٦/٤..

٦- كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال :...." الموطأ ٩٩٢/٢ وقال الألباني صحيح الإسناد موقوفاً.

٧- أبو داود ٣٠٣/١ وصححه الألباني في صحيح أبي داود١/ ٢١٦.

٨- والبخاري ٢٢٤/١ ،مسلم ٦١٣/٢.

٩- أبو داود ٣٠٥/١ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود١/ ٢١٨.

١٠- البخاري مع الفتح ٥١٨/٢.

١١- البخاري ٢٠٥/١ ،مسلم ٨٣/١.

دعاء لقاء العدو وذي السلطان

"اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم "[١]

"اللهم أنت عضدي وأنت نصيري ، بك أحول ،وبك أصول ، وبك أُقاتل"[٢]

"حسبنا الله ونعم الوكيل " [٣]

دعاء من خاف ظلم السلطان

" اللهم رب السموات السبع ،ورب العرش العظيم ،كن لي جاراً من فلان بن فلان ، وأحزابه من خلائقك ؛ أن يفرط على أحد منهم أو يطغى ، عز جارك ،وجل ثناؤك ،ولا إله إلا أنت "[٤]

" الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ،أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ، الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه ،من شر عبدك فلان ،وجنوده وأتباعه وأشياعه ، من الجن والأنس ، اللهم كن لي جارا من شرهم ، جل ثناؤك وعز جارك ، وتبارك اسمك ، ولا إله غيرك " (ثلاث مرات) [٥]

الدعاء على العدو

" اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ،اهزم الأحزاب ،اللهم اهزمهم وزلزلهم "[٦]

ما يقول من خاف قوماً

" اللهم اكفنيهم بما شئت " [٧]

دعاء من أصابه شك في الإيمان

"يستعيذ بالله " [٨] "ينتهي عما شك فيه "[٩]

يقول" آمنت بالله ورسله "[١٠]

يقرأ قوله تعالى{ هو الْأَوَّل والْآخر والظَّاهر والْباطن وهو بكُل شَيءٍ عَليمٌ }"[١١]

فضل الصلاة على النبَي صلى الله عليه وسَلمَ

قال ﷺ " من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا " [١٢]

١- أبو داود ٨٩/٢ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ١٤٢/٢.

٢- أبو داود ٤٢/٣ والترمذي ٥٧٢/٥ ،وانظر صحيح الترمذي١٨٣/٣.

٣- البخاري ١٧٢/٥.

٤- البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٧ وصححه الألباني وفي صحيح الأدب المفرد برقم ٥٤٥.

٥- البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨ وصححه الألباني وفي صحيح الأدب المفرد برقم ٥٤٦.

٦- مسلم ١٣٦٢/٣.

٧- مسلم ٢٣٠٠/٤.

٨- البخاري مع الفتح ٣٣٦/٦ ومسلم ١٢٠/١.

٩- البخاري مع الفتح ٣٣٦/٦ ومسلم ١٢٠/١.

١٠- مسلم ١/ ١١٩- ١٢٠.

١١- سورة الحديد ، الآية :٣ .أبو داود ٣٢٩/٤ وحسنه الألباني في صحيح أبو داود ٩٦٢/٣.

١٢- أخرجه مسلم ٢٨٨/١.

وقال ﷺ: " لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"[١]

وقال ﷺ : " البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي "[٢]

وقال ﷺ " إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام "[٣]

وقال ﷺ " ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أردَّ عليه السلام "[٤]

الاستغفار والتوبة

قال رسول الله ﷺ :" والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة "[٥].

وقال ﷺ :" يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة "[٦]

وقال ﷺ :" من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غفر الله له وإن كان فر من الزحف "[٧]

وقال ﷺ :" أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن " [٨]

وقال ﷺ :" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء " [٩]

وقال ﷺ :" إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة "[١٠]

فضل التسبيح والتحميد ، والتهليل ، والتكبير

" قال ﷺ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرةٍ حطتِ خطاياه ولو كانت مِثل زبد البحر[١١]

وقال ﷺ :" من قال لا إله إلا وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير عشر مرات . كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل "[١٢]

١- أبو داود ٢١٨/٢ وأحمد ٣٦٧/٢ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٣٨٣.

٢- الترمذي ٥٥١/٥ وغيره وانظر صحيح الجامع ٣/ ٢٥ وصحيح الترمذي ٣/ ١٧٧.

٣- النسائي ،والحاكم ٤٢١/٢ وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٧٤/١

٤- أبو داود برقم ٢٠٤١وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣

٥- البخاري مع الفتح ١٠١/١١.

٦- مسلم ٢٠٧٦/٤.

٧- أخرجه أبو داود ٨٥/٢ والترمذي ٥٦٩/٥ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٥١١/١ وصححه الألباني . انظر صحيح الترمذي ١٨٢/٣ وجامع الأصول لأحاديث الرسول صلى الله عيه وسلم ٣٨٩/٤ – ٣٩٠ بتحقيق الأرناؤوط.

٨- أخرجه الترمذي والنسائي ٢٧٩/١ والحاكم وانظر صحيح الترمذي ١٨٣/٣ وجامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط ١٤٤/٤.

٩- مسلم ٣٥٠/١ ٣٥٠.

١٠- أخرجه مسلم ٢٠٧٥/٤ قال ابن الأثير : (ليغان على قلبي) أي ليغطى ويغشى والمراد : السهو ؛ لأنه كان صلى الله عيه وسلم لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات ،أو نسي ،عده ذنباً على نفسه ففزع إلى الاستغفار . انظر جامع الأصول ٣٨٦/٤.

١١- البخاري ١٦٨/٧ ومسلم ٤/ ٢٠٧١ ، وانظر :فضل من قالها مائة مرة إذا أصبح وإذا أمسى .

١٢- البخاري ٦٧/٧ ومسلم بلفظه ٢٠٧١/٤ وانظر فضل من قالها في اليوم مائة مرة.

وقال ﷺ :" كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " [١]

وقال ﷺ :" لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ،ولا إله إلا الله ، والله أكبر ،أحب إلى مما طلعت عليه الشمس " [٢]

وقال ﷺ :" أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة "فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال :" يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنهُ ألف خطيئة "[٣]

" من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة " [٤]

وقال ﷺ :" يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟" فقلت:بلى يا رسول الله ، قال:" قل لا حول ولا قوة إلا بالله "[٥]

وقال ﷺ :" أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر لا يضرك بأيهنَّ بدأت "[٦]

جاء أعربي إلى رسول اللهِ ﷺ فقال: علمني كلاماً أقوله : قال " قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، سبحان الله رب العالمين ،لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم " قال فهؤلاء لربي فما لي ؟ قال : " قل: اللهم اغفر لي ،وارحمني ،واهدني وارزقني " [٧]

كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات :" اللهم اغفر لي، وارحمني ،واهدني ، وعافني وارزقني "[٨]

" إن أفضل الذكر لا إله إلا الله "[٩].

" الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،والله أكبر ،و لا حول ولا قوة إلا بالله "[١٠]

١- البخاري ١٦٧/٧ومسلم ٢٠٧٢/٤.

٢- مسلم ٢٠٧٢/٤.

٣- مسلم ٢٠٧٣/٤.

٤- أخرجه الترمذي ٥١١/٥ والحاكم ٥٠١/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وانظر صحيح الجامع ٥٣١/٥ وصحيح الترمذي ١٦٠/٣.

٥- مسلم ١٦٨٥/٣.

٦- مسلم ٤/ ٢٠٧٢ وزاد أبو داود : فلما ولى الأعرابي قال النبي صلى الله عليه وسلم :" لقد ملأ يديه من الخير "١/ ٢٢٠.

٧- البخاري مع الفتح ١١/ ٢١٣ ومسلم ٢٠٧٦/٤.

٨- مسلم ٢٠٧٣/٤ وفي رواية لمسلم " فإن هؤلاء تجمع لك دينك وآخرتك ".

٩- الترمذي ٤٦٢/٥ وابن ماجه ١٢٤٩/٢ والحاكم ٥٠٣/١ وصححه ووافقه الذهبي وانظر صحيح الجامع ١/ ٣٦٢.

١٠- أحمد برقم ٥١٣ بترتيب أحمد شاكر وإسناده صحيح وانظر مجمع الزوائد ٢٩٧/١، وعزاه ابن حجر في بلوغ المرام من رواية أبي سعيد إلى النسائي وقال :صححه ابن حبان والحاكم.

إفشاء السلام

قال رسول الله ﷺ :" لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم "[١]

ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار"[٢]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال :" تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " [٣]

الدعاء قضاء الدين

" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك "[٤]

" اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ،والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال"[٥].

دعاءٍ من استصعب عليه أمر

" اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزنِ إذا شئت سهلاً "[٦].

ما يقول ويفعل من أذنب ذنبا

" ما من عبدٍ يذنب ذنباً فيحسن الطهور ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله إلا غفر الله لهَ"[٧]

دعاء طرد الشيطان ووساوسه

" الاستعاذة بالله منه "[٨]

" الأذان " [٩]

" الأذكار وقراءة القرآن " [١٠]

١- مسلم ٧٤/١ وغيره.

٢- البخاري مع الفتح ١/ ٨٢ عن عمار رضي الله عنه موقوفاً معلقاً.

٣- البخاري مع الفتح ٥٥/١ ومسلم ٦٥/١.

٤- الترمذي ٥٦٠/٥ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٨٠.

٥- البخاري٧/ ١٥٨.

٦- رواة ابن حبان في صحيحه برقم ٢٤٢٧ (موارد) وابن السني برقم ٣٥١ وقال الحافظ هذا حديث صحيح وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تخريج الأذكار للنووي ص١٠٦.

٧- أبو داود ٨٦/٢ والترمذي ٢٥٧/٢ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٣.

٨- أبو داود ٢٠٦/١ والترمذي وانظر صحيح الترمذي ٧٧/١ وانظر سورة المؤمنون آية ٩٨-٩٩.

٩- مسلم ١/ ٢٩١ والبخاري ١٥١/١.

١٠- " لاتجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة " رواه مسلم ٥٣٩/١ ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء ، والنوم والاستيقاظ ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه وأذكار دخول المسجد والخروج منه وغير ذلك من الأذكار المشروعة مثل قراءة آية الكرسي عند النوم ، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله ،وكذا الأذان يطرد الشيطان.

الدعاء حينما يقع مالا يرضاه أو غلب على أمره

" قدر الله وما شاء فعل "[١]

إذا غلبك أمر فقل : " حسبي الله ونعم الوكيل "[٢]

دعاء العطاس

" إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ،وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ،فإذا قال له :يرحمك الله ،فليقل :يهديكم الله ويصلح بالكم " [٣]

ما يقالُ للكافر إذا عطس فحمد الله

" يهديكم الله ويصلح بالكم " [٤]

دعاء الغضب

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "[٥]

دعاء من رأى مبتلى

" الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً "[٦]

ما يقال في المجلس

عن ابن عمر قال : كان يعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور "[٧]

كفارة المجلس

" سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك "[٨].

ما يختم به جميع المجالس

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قط ، ولا تلا قرآناً ، ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بكلمات قالت : فقلت : يا رسول الله أراك ما تجلس (مجلسا) ولا تتلو قرآنا ، ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات ؟ قال : نعم (من قال خيرا

١- " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعف وفي كل خير ،احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان " .مسلم ٢٠٥٢/٤.

٢- انظر تخريج الأذكار للأرناؤوط ص ١٠٦..

٣- البخاري ١٢٥/٧.

٤- الترمذي ٨٢/٥ وأحمد ٤٠٠/٤ وأبو داود ٣٠٨/٤، وانظر صحيح الترمذي ٣٥٤/٢.

٥- البخاري ٩٩/٦ ومسلم٢٠١٥/٤.

٦- الترمذي ٤٩٤/٥ و٤٩٣/٥ وانظر صحيح الترمذي٣/ ١٥٣.

٧- الترمذي وغيره وانظر صحيح الترمذي ١٥٣/٣ وصحيح ابن ماجه ٣٢١/٢ ولفظه للترمذي.

٨- أخرجه أصحاب السنن وانظر صحيح الترمذي ١٥٣/٣، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت :ما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً ، ولا تلى قرآناً ، ولا صلاة إلا ختم ذلك بكلمات...." الحديث أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٣٠٨ ، وأحمد ٧٧/٦ وصححه الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي ص٢٧٣.

خُتم له طابع على ذلك الخير ، ومن قال شراً كن له كفارة) ، ((سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)). [١]

الدعاء لمن صنع إليك معروفاً

" جزاك الله خيراً "[٢].

ما يعصم به من الدجال

" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال "[٣] والاستعاذة بالله من فتنتة عقب التشهد الأخير من كل صلاة . [٤]

الدعاء لمن قال إني أحبك في الله

" أحبك الذي أحببتني له"[٥]

الدعاء لمن عرض عليك ماله

" بارك الله لك في أهلك ومالك ". [٦]

الدعاء لمن أقرض عند القضاء

" بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء "[٧]

دعاء الخوف من الشرك

" اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم " [٨]

الدعاء لمن قال بارك الله فيك

" وفيك بارك الله "[٩]

دعاء كراهية الطيرة

" اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ،ولا إله غيرك "[١٠]

١- أحمد ٢٨/٥ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٢١٨برقم ٤٢١ تحقيق الدكتور فاروق حمادة.

٢- أخرجه الترمذي رقم ٢٠٣٥ وانظر صحيح الجامع ٦٢٤٤ وصحيح الترمذي٢/ ٢٠٠.

٣- مسلم ٥٥٥/١ وفي رواية من آخر الكهف ٥٥٦/١.

٤- انظر حديث رقم ٥٥ وحديث ٥٦.

٥- أخرجه أبو داود ٣٣٣/٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٦٥/٣.

٦- البخاري الفتح٤/ ٨٨.

٧- أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣٠٠ وابن ماجه ٢/ ٨٠٩ وانظر صحيح ابن ماجه ٨٠٩/٢ وانظر صحيح ابن ماجه ٥٥/٢.

٨- أحمد ٤٠٣/٤ وغيره وانظر صحيح الجامع ٣٣٣/٣ وصحيح الترغيب والترهيب للألباني.

٩- أخرجه ابن السني ص١٣٨ برقم ٢٧٨ وانظر الوابل الصيب لابن القيم ٣٠٤ تحقيق بشير محمد عيون.

١٠- أحمد ٢٢٠/٢ وابن السني برقم ٢٩٢ وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة ٥٤/٣ رقم ١٠٦٥ ، أما الفأل فكان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا سمع من رجل كلمة طيبة فأعجبته فقال : "أخذنا فألك من فيك " أبو داود وأحمد ،وصححه الألباني في الصحيحة٣٦٣/٢ عند أبي الشيخ في أخلاق النبي.

ما يقول ويفعل من أتاه أمر يسره أو يكرهه

كان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال :" الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات " و إذا أتاه أمر يكرهه قال: " الحمد لله على كل حال "[١]

دعاء صياح الديك ونهيق الحمار

" إذا سمعتم صياح الديكة ، فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار ، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا "[٢]

دعاء نباح الكلاب بالليل

" إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهن يرين ما لا ترون "[٣].

الدعاء لمن سببته

قال ﷺ : " اللَّهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة "[٤]

ما يقول المسلم إذا مدح المسلم

قال ﷺ : " إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل : أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً ، أحسبه – إن كان يعلم ذاك – كذا وكذا " [٥]

ما يقول المسلم إذا زُكي أحد أو مُدح أحد

" اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واغفر لي مالا يعلمون [واجعلني خيراً مما يظنون]" [٦]

ما يقول عند التعجب والأمر السار

" سبحان الله "[٧] ، " الله أكبر "[٨]

ما يفعل من أتاه أمر يسره

" كان النبي ﷺ إذا أتاه أمر يسره أو يسرَّ به خر ساجداً شكراً لله تبارك وتعالى " [٩]

دعاء من خشي أن يصيب شيئاً بعينه

" إذا رأى أحدكم من أخيه ، أو من نفسه ، أومن ماله ما يعجبه [فليدع له بالبركة] فإن العين حقٌّ "[١٠]

١- أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم وصححه ٤٩٩/١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤/ ٢٠١.

٢- البخاري مع الفتح٣٥٠/٦ ،ومسلم ٢٠٩٢/٤.

٣- أبو داود ٤/ ٣٢٧ وأحمد ٣/ ٣٠٦ وصححه الألباني في صحيح أبي داود٣/ ٩٦١.

٤- البخاري مع الفتح ١١/ ١٧١ و مسلم٤/ ٢٠٠٧ ولفظه فاجعلها له زكاة ورحمة.

٥- رواه مسلم ٢٢٩٦/٤.

٦- البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٦١ ، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٥٨٥ ، وما بين المعكوفين زيادة للبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٢٨ من طريق آخر ..

٧- البخاري مع الفتح ٢١٠/١ و٣٩٠ و٤١٤ ومسلم ٤/ ١٨٥٧.

٨- البخاري الفتح٨/ ٤٤١ وانظر صحيح الترمذي ١٠٣/٢ و٢٣٥/٢ ومسند أحمد ٥/ ٢١٨.

٩- رواه أهل السنن إلا النسائي . انظر صحيح ابن ماجه ١/ ٢٣٣ وإرواء الغليل ٢٢٦/٢.

١٠- مسند أحمد ٤٤٧/٤ وابن ماجه ومالك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٢/١ وانظر تحقيق زاد المعاد للأرناؤوط ١٧٠/٤.

ما يقال عند الفزع

" لا إله إلا الله "[١]

ما يقول عند الذبح أو النحر

" بسم الله والله أكبر [اللهم منك ولك] اللهم تقبل مني "[٢]

ما يقول لرد كيد مردة الشياطين

" أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق ، وبرأ وذرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن "[٣]

ما يقول من أحس وجعاً في جسده

" ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ، ثلاثاً وقل سبع مرات : " أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" [٤]

ما يفعل من رأى الرؤيا أو الحلم

- " ينفث عن يساره " (ثلاثا) [٥]

" يستعيذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأى " (ثلاث مرات) [٦]

" لا يحدث بها أحدا "[٧] " يتحول عن جنبه الذي كان عليه "[٨]

- " يقوم يصلي إن أراد ذلك "[٩]

دعاء دخول السوق

" لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير "[١٠]

١- البخاري مع الفتح ٦/ ١٨١ ، ومسلم ٤/ ٢٢٠٨ .

٢- مسلم ٣/١٥٥٧ والبيهقي ٩/٢٨٧ وما بين المعكوفين للبيهقي ٩/٢٨٧ وغيره والجملة الأخيرة سقتها بالمعنى من رواية مسلم.

٣- أحمد ٣/٤١٩ بإسناد صحيح وابن السني برقم ٦٣٧ وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه للطحاوية ص ١٣٣ وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٧.

٤- مسلم ٤/١٧٢٨.

٥- مسلم ٤/١٧٧٢.

٦- مسلم ٤/١٧٧٢- ١٧٧٣.

٧- مسلم ٤/١٧٧٢.

٨- مسلم ٤/١٧٧٣.

٩- مسلم ٤/١٧٧٣.

١٠- الترمذي ٥/٤٩١ والحاكم ١/٥٣٨ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/٢١ وفي صحيح الترمذي٣/ ١٥٢.

أهم تواريخ السيرة النبوية

مسلسل	الحادثـــــة	تـاريخها
١.	ميلاد الرسول ﷺ	الأثنين ١٢ ربيع الأول عام٥٧١م
٢.	بدء الوحي	عمر النبي ﷺ ٤٠ عام ١٧رمضان عام ١٣ قبل الهجرة أول فبراير ٦١٠م
٣.	هجرة الحبشة الأولي	شهر رجب الخامس بعد البعثة الموافق٦١٥م
٤.	هجرة الحبشة الثانية	الخامس بعد البعثة الموافق٦١٥م
٥.	عام الحزن	العام العاشر من البعثة
٦.	الإسراء والمعراج	قيل ما بين السنة ١١ إلى ١٢ بعد البعثة
٧.	السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	الزواج ٢٨قبل الهجرة والوفاة ٣ قبل الهجرة
٨.	السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها	الزواج ٣قبل الهجرة والوفاة ٥٤ هجريا
٩.	السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها	الزواج ٢ هجريا والوفاة ٥٦ هجريا
١٠.	السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها	الزواج ٣ هجريا والوفاة ٤٥ هجريا
١١.	السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها	الزواج ٤ هجريا والوفاة ٤ هجريا
١٢.	السيدة أم سلمة (هند بنت أبي أمية) رضي الله عنها	الزواج ٤ هجريا والوفاة ٥٨ هجريا
١٣.	السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها	الزواج ٥ هجريا والوفاة ٢٠ هجريا
١٤.	السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها	الزواج ٦ هجريا والوفاة ٥٠ هجريا
١٥.	السيدة مارية القبطية رضي الله عنها	الزواج ٧هجريا والوفاة ١٦ هجريا
١٦.	السيدة أم حبيبة (حبيبة بنت أبي سفيان) رضي الله عنها	الزواج ٧ هجريا والوفاة ٤٤ هجريا
١٧.	السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها	الزواج ٧ هجريا والوفاة ٥٠ هجريا
١٨.	السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها	الزواج ٧ هجريا والوفاة ٥١ هجريا
١٩.	بيعة العقبة الأولي	شهر ذي الحجة سنة ١١ من البعثة
٢٠.	بيعة العقبة الثانية	شهر ذي الحجة سنة ١٢ من البعثة
٢١.	الهجرة من مكة إلي المدينة المنورة	١٤ من البعثة بداية التوقيت الهجري
٢٢.	غزوة العشيرة	جمادى الأول وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة
٢٣.	تحويل القبلة	رجب ٢ هجريا
٢٤.	فرض صوم شهر رمضان	شعبان ٢ هجريا
٢٥.	فرض الزكاة	٢٩رمضان ٢ هجريا
٢٦.	غزوة ودّان (الأبواء)	١٢صفر سنة٢ هـ
٢٧.	غزوة بواط	ربيع أول سنة ٢هـ
٢٨.	غزوة الكدر	شوال ٢ هجريا
٢٩.	غزوة بدر الأولي (الكبري)	١٧رمضان ٢ هجريا
٣٠.	غزوة السويق	ذي الحجة ٢ هجريا

٣١.	غزوة بني قينقاع	٢ هجريا
٣٢.	غزوة غطفان	٣ هجريا
٣٣.	غزوة بحران	٣ هجريا
٣٤.	غزوة أحد	٧ شوال ٣ هجريا
٣٥.	غزوة حمراء الأسد	٨ شوال ٣ هجريا
٣٦.	غزوة بني النضير	ربيع الأول ٤ هجريا
٣٧.	غزوة ذات الرقاع	٤ هجريا
٣٨.	غزوة بدر الآخرة	شعبان ٤ هجرياَ
٣٩.	فرض الحجاب	٤ هجريا
٤٠.	غزوة دومة الجندل	ربيع الأول ٥ هجريا
٤١.	غزوة بني المصطلق (المريسيع)	٥ هجريا
٤٢.	غزوة الخندق (الأحزاب)	شوال ٥ هجريا
٤٣.	غزوة بني قريظة	٥ هجريا
٤٤.	حادثة الأفك	٥ هجريا
٤٥.	غزوة بني لحيان	٦ هجريا
٤٦.	غزوة الغابة	٦ هجريا
٤٧.	صلح الحديبية	شهر ذي الحجة ٦ هجريا
٤٨.	عمرة القضاء	ذي القعدة ٧ هجريا
٤٩.	غزوة خيبر	شهر محرم ٧ هجريا
٥٠.	غزوة مؤتة	جمادي الأولي ٨ هجريا
٥١.	غزوة حنين	شوال ٨ هجريا
٥٢.	غزوة الطائف	شوال ٨ هجريا
٥٣.	فتح مكة (غزوة الفتح الأعظم)	٢٠رمضان ٨هجريا
٥٤.	غزوة تبوك (جيش العسرة)	رجب ٩ هجريا
٥٥.	فرض الحج	٩ هجريا
٥٦.	حج سيدنا أبو بكر رضي الله عنه	٩ هجريا
٥٧.	وفاة أم كلثوم بنت النبي رضي الله عنه	شعبان ٩ هجريا
٥٨.	حجة الوداع	سنة ١٠ هجريا
٥٩.	وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ	جمادي الأخري ١٠ هجريا
٦٠.	وفاة الرسول ﷺ	يوم الأثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هجريا

تم بحمد الله وتوفيقه

الفهرس

الموضـــــــــوع		الصفحة
المقدمة		٤
الباب الأول نسب النبي ﷺ مولده ونشأته		٧ - ١٧
الفصل الأول	مولده وطفولته ﷺ	٧
الفصل الثاني	نشأته ﷺ ورحلاته	١١
الفصل الثالث	زواجه ﷺ وحياته قبل البعثة	١٣
الباب الثاني البعث والدعوة		١٨ - ٥٣
الفصل الأول	الكتب السماوية تُبشر بمقدمه ﷺ	١٨
الفصل الثاني	بعثة الرسول ﷺ	٢٢
الفصل الثالث	الدعوة إلي الهدي	٢٤
الفصل الرابع	هجرات الرسول ﷺ	٤٢
الباب الثالث بدء الانتصار وتفريج الكُربة		٥٤ - ١٤٧
الفصل الأول	الهجرة إلي المدينة المنورة	٥٥
الفصل الثاني	الغزوات والسرايا	٧٠
الفصل الثالث	الرسائل والفتوح	١٣٢
الباب الرابع الفتح المبين وانتشار الدعوة والهداية		١٤٨ - ٢٣٨
الفصل الأول	فتح مكة	١٤٨
الفصل الثاني	الوداع	١٧٣
الفصل الثالث	شمائل الرسول ﷺ ومعجزاته	١٨٥
الفصل الرابع	الأذكار اليومية من صحيح الكتاب والسُّنة النبوية	٢٠٨
الفصل الرابع	أهم تواريخ السيرة النبوية	٢٣٧